الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان–

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغةالعربية وآدابها

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه تخصص الصّوتيات العربيّة ومستويات الدّرس اللغوي

التّعدّد اللّهجي وعلاقته بالعربيّة الفصحى

–ولاية تلمسان أنموذجا–

إعداد الطّالبة:

سناينة آسية

إشراف:

أ.د. عبد الحكيم والي دادة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. عبد الجليل مرتاض	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
أ.د. عبد الحكيم والي دادة	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرّراً
أ.د. شيخي نورية	أستاذة التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضواً
أ.د. حنيفي بن ناصر	أستاذ التّعليم العالي	جامعة مستغانم	عضواً
أ.د. أحمد مسعود	أستاذ التّعليم العالي	جامعة وهران 02	عضواً

السّنة الجامعيّة: 2021م–2022م/1443هـ–1444هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

إلى الّتي رآني قلبها قبل عينيها, وحضنتني أشجانها قبل يديها,

إلى الّتي حملتني تسعا ووضعتني كرها ,

إلى الّتي قالت لي يوما "أنت سرّ وجودي", آتٍ اليوم وأقول لها "أنتِ سرّ نجاحي ",

إليك أميّ أهدي ثمرة جهدي.

إلى من أحمل اسمه بافتخار ,إلى من علّمني العطاء بدون انتظار, إلى من حصد الأشواك ليمهد لي طريق العلم , إليك والدي أهدي رسالة تخرّجي لتكون عرفانا عن جميلك المتفاني .

إلى روح قلبي سندي وزوجي الّذي قاسمني التّعب في إتمام رسالتي, وأمدّني بتوجيهاته وملاحظاته وقدّم لي كلّ الدّعم لإتمام هذا البحث

إلى روح أخي الغالي الّذي فارقني فجأة إلياس -رحمه الله-، وإلى روح أمّ زوجي الّتي ساندتني بدعائها حتى انهيتها جعلها الرّحمان من أصحاب الفردوس إن شاء الله ،وإلى كل موتانا رحمة الله عليهم .

إلى ابني حبيبي إلياس أمين الّذي شعشع الأنوار في حياتي

إلى كلّ إخوتي "عبد الرّفيع, يوسف,أيوب, إلياس ",

وإلى أُختي "فاطمة الزهراء" وزوجها" وابنائها ,

إلى كل كتاكيت عائلة سناينة عبد الرّحمان وبالأخص أبناء أخي إلياس رحمه الله "وسيم وعبد العالي" .

إلى كلّ عائلة زوجي "بن صافي" كبيرا وصغيرا خاصة الكتكوتة نور الهدى، وآمال وكريمة.

إلى خالتي نعيمة وكروان ، إلى صديقة الرّوح حبيبتي حنان بن علال.

إلى كل من جمعتني بهم أجمل الأوقات وأروع اللّحظات خاصة : السّيدة مديرة المؤسسة الجوارية للصّحة العمومية بني صاف "بلعربي نورية" والّتي كانت سببا في بلوغ هدف نجاحي. وإلى كلّ من قدّم لي يد المساعدة وعلمني حرفا أهدي له ثمرة هذا العمل المتواضع.

آسيا سناينة

الشّكر والتّقدير

أتقدّم بأسمى معاني الشكر والوفاء إلى أستاذي الفاضل ,الدكتور "عبد الحكيم والي حادة" الذي أشرف على البحث وتعهده بالرعاية العلمية الجادة ,والتتبع المستمّر, بإخلاصه وتواضعه في المعاملة ,وكان بحق قدوة حسنة لنا في الدراسة, فجزاه الله على تعبه المضني معنا, وبما جاد علينا من تصويبات وتوجيهات إلى درجة الكلل ,فله منّي كل الاحترام والتقدير.

كما أتقدم بشكري الجزيل لأعضاء اللجنة المحترمين من الأساتذة الدكاترة الذين شرّفنا بانتسابنا تلاميذ إليهم والذين تجشموا عناء القراءة وتقويم البحث.

إلى كل هؤلاء شكرا جزيلا

آمنة سناينة

مقدّمـــــة

الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله كما ينبغي لكمال وجهه وعظيم سلطانه الحمد لله وكفى، والصّلاة والسّلام على المصطفى.

فإنّ الله عز وجلّ قد اختار اللُّغة العربية لتكون الوعاء الحامل لكتابه الخاتم الى الناس كافة العرب والعجم على حدّ سواء، فقال في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة يوسف، الآية: 2).

وعلى ذلك، فقد كفل الله عز وجل لذلك الوعاء من يسهر على حفظه وصيانته من عبث العابثين وجهل الجهلاء، يتّضح ذلك من خلال الدّأب المبكر الَّذي أبداه المسلمون تجاه التّقعيد للُّغة العربية في مرحلة غاية في التّبكير، وقبل أن يشيع الخطأ في لغة القرآن مماّ يؤكد أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي وجّههم تلك الوجهة، وأعانهم على الوصول إلى أفضل السّبل وأيسرها لحفظ كتابه العظيم، وصدق عزّ من قال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (سورة الحجر، الآية: 9).

إنّ الإقبال على الدّراسات اللُّغوية ليس أمرًا هيّنا خصوصا وأنّها تحوي مسائل مقيدة يصعب الخوض فيها، ومع ذلك عقدنا العزم على المساهمة في مثل هذه الدّراسات لبواعث تخالها الموضوعية.

أجل لقد كانت النّفس نازعة والغيرة الشّديدة على لغتنا العربية، فهي أولى من غيرها بموقور الرّعاية وبالغ العناية، لأنّها حاملة كلام الله، وحاضنة ثراثنا الغنيّ، وناقلة تاريخنا المجيد إلى الأبناء والاحفاد، فهي الجسر الَّذي يصل بين الأجيال والحضارات المتعاقبة. وبالنّظر لهذا الدّور الّذي تضطلع به اللُّغة العربية لابد من توليدها بالتّحديث والتّطوير حتى تكون دائما في مستويات التّحديات الّتي يحفل بها العالم المعاصر.

وإنّ الدّافع الَّذي دعاني لاختيار هذا الموضوع والموسوم "**بالتّعدد اللّهجي وعلاقته بالعربية الفصحى–ولاية تلمسان أنموذجا–**" هو أنّ اللُّغة العربية مضطربة اضطراب أهلها فكريا وثقافيا

واجتماعيا واقتصاديا وصوتيا، وهي تواجه مزاحمة مزدوجة من العاميات واللّغات الأجنبية من جهة، ومن الأداء النّطقي من جهة أخرى.

كما شدّ انتباهي موضوع حضرته في ملتقى الّذي احتضنته الجزائر ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثّقافة العربية الإسلامية بعنوان "الفصحى وعاميتها". وذلك في الرّابع والخامس يونيو 2007م، مماّ ولدّ فيّا رغبة في البحث في هذا الموضوع، بغية النّهوض باللُّغة العربية، وتقريب الفصحى، وتهذيب العامية، وإدراك جميع معاني الأصوات.

ومن ثمة فحياة اللُّغة العربية وحيويتها رهن استعمالنا لها وقدرتنا على توسيع مجالها، وحملها على الاستجابة لحاجتنا لا يتوفر إلّا بقدر ممارستنا لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة، فاللُّغة هي الرَّابطة الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان، بل هي ضرورة حضارية ولازمة إنسانية، وظاهرة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في صيرورة حياة المجتمع، مما يقتضي بذل المزيد من الجهد والعناية؛ لجعل اللُّغة تستجيب لحركية التّحولات الَّتي يشهدها راهن المجتمع العربي.

واذا اطلعنا على تاريخ اللُّغة العربية لوجدنا أنّ هذا المسار التّاريخي يثير جملة من الإشكالات الّتي تفرض نفسها وهي: ما واقع اللُّغة العربية في المستوى الصّوتي؟ أو بصفة أخرى ما مصير المنطوق اللُّغوي بولاية تلمسان من الجانب الصّوتي ؟ وما الحلول النّاجعة للنّهوض باللُّغة العربية وجعلها تساير مستجدات العصر في ولاية تلمسان بنطق صوتي سليم أصلي؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات، وحتى تخرج هذه الدّراسة بنتائج محددة، ولا تتشعب بها السّبل، آثرنا أن نوظف المنهج الوصفي الَّذي يتكئ على التّحليل، باعتباره الأنسب لهذا النّمط من الدّراسات الّتي تعتمد على وصف الظّاهرة وتحليلها ومناقشتها. وعرضها على المحك، واستنطاق النّصوص نفسها؛ لاستخراج ما يهدف إليه الموضوع.

-أمّا الخطة الّتي اتبعناها في إنجاز قضايا هذا البحث، فتتألف من مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس لمواد البحث.

فالمدخل كان تمهيدا لما ورد في البحث بحيث عرضنا فيه مكانة اللُّغة العربية والإيطار التّاريخي والمكاني واللُّغوي لولاية تلمسان.

وفي الفصل الأول تطرقنا إلى دراسة التّعدد اللّغوي بين الفصحى والعامية محددة المفاهيم اللُّغوية والاصطلاحية لكل من التّعدد واللُّغة والفصحى والعامية والصوت، مبرزة العلاقة بين اللّهجة واللّغة، ذاكرة خصائص ووظائف كل منهما.

وفي الفصل الثّاني وقفنا عند واقع اللُّغة العربية في الجزائر، وعوامل شيوع العامية فيها، مع ذكر أسباب وعوامل نشاة اللّهجات بين الماضي والحاضر، بالتركيز على ذكر الخصائص الصّوتية وصور الإبدال على المستوى الصّوتي.

أمّا الفصل الثّالث والأخير، فخصّصناه للتّطور الصّوتي والدّلالي في المنطوق التّلمساني بابعاده بعر فيه عوامل التّغير الدّلالي والصّوتي في المنطوق التّلمساني من زاوية الأداء —العامي منه والفصيح— ، مع ذكر أمثلة من الواقع، ثم قدمنا بعض الاقتراحات للنّهوض باللُّغة العربية، وتنمية القدرات اللّغوية وتنقيتها من شوائب الخطأ اللُّغوي.

وختمنا البحث بخاتمة استعرضنا فيها أهم التّوصيات والنّتائج المتوصل إليها. وألحقناها بقائمة المصادر والمراجع، وبوضع فهرس لمواد البحث.

وقد استعنا بجملة من المصادر والمراجع أهمها:

* في اللّهجات العربيّة لإبراهيم أنيس.

* اللّهجات العربية في القراءات القرآنية لعبده الرّاجحي.

* العربيّة الفصحى ولهجاتها لحسام البهنساوي.

* اللّهجات العربيّة في التّراث في النّظامين النّحوي والصّرفي لأحمد علام الدّين الجندي.

وختاما، أرجو من الله أن يوفقني في الإخلاص بالبذل والعطاء من أجل خدمة لغتنا العربية. وأطلب من الله أن يجعله ذخرا في العاجل وأجرا في الأجل.

وصلـــى اللّه على ســـيدنا محـــمـــد وعـــلى آلـــه وصـــحبـــه أجمعين.

والله ولي التّوفيق

تلمسان في :2021/10/17

سناينة آسية

مدخل:

الفضاء المعرفي العام لمدينة تلمسان

تمهيد:

ممّا لا شكّ فيه أنّ هناك علاقة وطيدة تربط دراسة اللّهجات بضرورة معرفة التّاريخ والاطّلاع على جوانبه، فدراسة اللّهجات تفيدنا في معرفة التّاريخ، وما دامت اللّهجة صفات وخصائص تتميّز بها بيئة ما في طريقة الأداء أو النّطق، فإنّ هناك عوامل تساعد على حدوث اللّهجة؛ كأن يقلّ الاتّصال بين المتكلّمين بسبب تباعد البيئات فتنشأ لهجة جديدة، فالّذين يعيشون في بيئة زراعيّة يتكلّمون لهجة غير الّتي يتكلّمها سكّان الصّحراء أو سكّان المدن.

كما أنّ الظّروف الاجتماعيّة في البيئات المتعدّدة الطّبقات تساعد على ظهور لهجات مختلفة؛ فالطّبقة الرّاقية تتّخذ لهجة غير لهجة الطّبقة الوسطى أو الدّنيا، والأهمّ من كلّ هذا الاحتكاك بالجماعات الأخرى نتيجة توسّع الفتوحات الإسلاميّة أو بسبب الغزو أو الهجرات أو التّجاور، ممّا يولّد صراعًا لغويًّا يريد كلّ طرف من -خلاله- أن تكون له الغلبة، والأقوى حضارة ومادّة قد يُكتب له الانتصار، ولكن اللّغة المغلوبة تترك أثرها في الغالبين وتؤدّي إلى التّطوّر والتّغيّر.

يقول ابن خلدون (ت 808هـ): «ولذلك ترى المغلوب يتشبّه أبدًا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله»[1]، والمسلمون بعد الفتح الإسلامي للمغرب نشروا العربيّة، ولكن نشأت معها لهجات خاصّة نتيجة الاحتكاك بين الفاتحين وسكّان البلاد الأصليين، وعلى هذا الأساس كان لزامًا عليّ أن أبدأ بتحديد الإطارين المكاني والتّاريخي لمنطقة تلمسان وتحديد أصول سكانها.

1-الإطار الجغرافي:

تقع مدينة تلمسان في الإقليم الغربي من أرض الجزائر، فهي تقع على ارتفاع يتراوح ما بين 806م/و830م بالنسبة لمستوى سطح البحر، وهي واقعة في سفح عدّة مرتفعات جبليّة في جنوبيها

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدّمة، الدّار التّونسية للنّشر، دط، 1984م، ص: 192.

وتكسوها غابة كثيفة من شجر الصّنوبر الأخضر. يقول عنها المؤرخ "يحي بن خلدون" الّذي تأثّر كثيرًا بالمدينة أنّها: «تقتعد بسفح جبلٍ يحفظها من الجنوب، عروسًا فرق منصّة»[1].

تطلّ المدينة "تلمسان" على سهول خضراء واسعة في شمالها انطلاقًا من سهل "الحنايا" الشّاسع المتّصل بسهول أخرى كسهل "مغنية".... وفي الشّمال الغربي يتحجّب الأفق وراء مرتفع ترارة حيث يلاحظ الرّائي جبال "فلاوسن"، وفي الشّمال الشّرقي مرتفعات السّبعة شيوخ وتاسلة[2]. وبيّن أبو الفداء أهمّية المرتفع الجغرافي لمدينة "تلمسان" وأهميتها الإستراتيجية وخصائصها المناخيّة في قوله: «... يطلّ منها على سهول خضراء واسعة الأرجاء، تحدّها سلسلة من التّلال قليلة الارتفاع، لا تصدّ هواء البحر البليل عن الانتشار في ذلك الإقليم، فيُخفّف من وطأة الحرارة في الصّيف، وتجود عليه في الفصول الأخرى بسحبٍ ممطرةٍ، تروي الأرض فتفيض العيون، وتتدفّق الغدران...»[3].

يحدّ تلمسان المدينة من الواجهة الغربيّة آثار منصورة الّتي شيّدها المرينيون عند حصارهم سنة 1299م، إضافة إلى "إمامة"، وكانت تعني "برج إماما" أي الطّليعة لحماية تلمسان، كما يحدّها جنوبا مرتفعات خضراء بجوارها حي "بودغن" بحيث يعتقد أنّه كان مفعمًا بالكهوف المسكونة من حوالي مائة ألف سنة[4]، أمّا شرقًا فتحدّها العباد وتعني مكان العبادة، وشمالًا الحنايا وتعني جسر الماء[5]، أمّا جبالها المعروفة في اصطلاح الجغرافيين المعاصرين بجبال تلمسان، فإنها تتألّق من أربع سلاسل شبه متوازية بعضها فوق بعض من أهمّها:

1-سلسلة جبال تنوشفي، والّتي تشرف على المغارة الّتي توجدها مدينة سبدو، وأعلى قمّة لها تبلغ ارتفاعها 1438 مترًا.

1- محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر المؤسسة الوطنيّة للكتاب -الجزائر-، 1985م، ص: 07، نقلا عن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر لعبد الرحمان بن خلدون.

2- ابن مريم الريف المليانى المديوني التّلمساني، البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1980م، ص: 09.

3- محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، ص: 07.

4- غوتي شريف، شجرة تلمسان، المطبعة الجهوية صاري، 1993م، ص: 03.

5- نفسه، ص: 15.

2-سلسلة جبال بني إسماعيل (بني صميل) والمشرفة على المغارة الممتدة من قرية "أولاد ميمون" إلى "سبدو"، وتتألّف من اثني عشر قمة.

3- سلسلة "جبال عصفور" والّتي يبلغ ارتفاع أعلى قمّةٍ به 1566 متر وهي تشرف على السّهل الّذي توجد بها مدينة "وجدة المغربية".

4-سلسلة جبال "لالا ستي". والّتي يبلغ ارتفاع أعلى قمة بها 1306 متر، وهذه السّلسلة الأخيرة هي الّتي تشرف على مدينة "تلمسان" الموجودة في سفحها الشّمالي[1].

إضافة إلى هذا، نجد سلسلة جبال "فلاوسن" و"تارة" الّتي تحدّ منطقة "تلمسان" من الشّمال، وهي تمتدّ من منطقة "هنين" إلى غاية الحدود الشّمالية مع المغرب الأقصى، وهي تعتبر كحاجز طبيعي منيع من التّيارات الهوائية الباردة الّتي تجتاح المنطقة في المواسم الباردة.

ويجري على منحدرات جبال تلمسان عدّة أنهار وأودية موسمية تجري شتاءً، كنهر "المفروش"، "الشّولي"، "يسر"، "الصفصيف"، إضافة إلى نهر "تافنة"...، وقد ذكر "يحي بن خلدون" أن لها خمسة أبواب، وهي قبلة "باب الجياد"، وشرقًا "باب العقبة"، وشمالًا "باب الحلوي"، و"باب القرمادين"، وغربا "باب كشوطة"[2].

2-الإطار التّاريخي:

ويرجع تاريخ تأسيس مدينة تلمسان إلى ما قبل التّاريخ حيث تمّ العثور على بقايا أثرية لأواني فخارية بسفح الجبل المعروف حاليًّا ببودغن، كما عمّرت المنطقة بعدّة قبائل مند ثلاث آلاف سنة على غرار الشّمال الإفريقي، وأهمّها من الفنيقيين والقرطاجيين والبرابرة...[3]، ولم يصل لنا من كتب التّاريخ عن اسم المدينة في هذه الحقبة الزّمنيّة إلّا اسمها الرّوماني وهو "بوماريا Pomaria"، وهي

1- الحاج رمضان شاوش، باقة السوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983م، ص: 31-33.

2- عبد الحميد حاجيات، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1980م، ص: 09.

3- غوتي شريف، شجرة تلمسان، ص: 03.

تعني البستان، نظرًا لغناها بكثرة المياه والأعشاب بفضل موقعها الجغرافي الإستراتيجي الفريد من نشأته أن يجعل منها أرض استقرار آهلة، ولعلّ اسم بوماريا ما هو إلا ترجمة للاسم البربري القديم[1].

ولا تزال آثار بوماريا «البساتين الجميلة» قائمة تشهد على وجودهم، ومنها ساقية النّصراني الآتية من أعلى قمم "الوريط" والحمامات الرّومانية في طريق "الحنايا"، إضافة إلى آثار قد اندثرت تسمى "بحمام الغولة"...[2]

ولما استتبّ الأمر للبربر بعد تقويض نفود الأجانب، أطلقوا عليها تسمية صخور وأودية باللُّغة الزّناتية[3]، وقد تعني كذلك جدارًا قديمًا، ومدينة محصّنة، أي أنّها مدينة عريقة أزلية...[4]، ثمّ سميت المدينة "تلمسان"، وهذا الاسم في لغة "زناتة" قوم المنطقة يتركب من كلمتين: "تلم" وتعني تجمع، و"سان" تعني اثنان، ويقصد بها تجمّع الصّحراء والتلّ، وقد جاءت هكذا في شرح كلمة "تلمسان" في نفح الطّيب عند "أبي عبد الله الأبلي شيخ المقري"، وقد كان حافظا بلسان البربر[5].

ويذهب ابن الرقيق إلى أن "سان" من تلمسان يفهم منها البر والبحر، ويذكر المقري أيضًا أنه يقال "تلمشان" أي أنّها مركبة من "تلم": وتعني لها، و"شان" تعني شأن وبالتّالي يقصدها لها شأن[6]، أما ياقوت الحموي فيشير في معجمه إلى أن "تلمسان" أي بكسرتين وسكون الميم[7].

وبالّتالي، فإن كلمة "تلمسان" بربرية الأصل، وقد أثبت ذلك جغرافي العرب كابن الفقيه الّذين أطلقوا على تلك المدينة اسم "تلمسان"، وهو اسم يوفق المسمى كما وافقها اسم "بوماريا" في عهد الرّومان[8].

1- محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، ص: 08.
2- غوتي شريف، شجرة تلمسان، ص: 05.
3- نفسه، ص: 04.
4-محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، ص: 08.
5- نفسه، ص: 09.
6- نفسه، الصّفحة نفسها.
7- ياقوت ابن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر للطّباعة والنشر، دط، دت، ج: 01، ص: 190.
8- نفسه، ص: 09.

وتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف "بأقادير"، وقد أسّسها "ينويفرن" قبل الإسلام والثّانية أحدثها "يوسف بن تاشفين" سنة 474 هجرية بمعسكره المحاصر لأقادير، وقد سماها "تاقرارت"[1]، وتعني "تاقرارت" مكان الإقامة الّذي كان يمتدّ من المشور إلى "مشكانة أرحيبة"[2].

ومن بين منشآت المرابطين مدينة "تلمسان" المسجد الكبير الَّذي بني عام 535 هجرية، وازدادت أهمية مدينة تلمسان في عهد الموحدين، خاصة في عهد ابنها عبد المؤمن بن علي[3]، حيث اعتنى الموحدون ببناء المنازل والقصور وقاموا بتحصين المدينة، حيث تمكنت من الصّمود والنّجاة من هجومات "ابن غانية" وأحلافه[4].

كما أمر النّاس بإعادة تعمير المدينة وإصلاح ما سقط من أسوارها وذلك بعد الاستيلاء عليها وإسقاط المرابطين بها سنة 1144 ميلادية، وفي عهد الموحدين عرفت المدينة أكبر شخصياتها "أبو مدين شعيب بن الحسن"[5]، وتوفي "بتاقبالت"إحدى القرى المجاورة "لتلمسان" ودُفن بإحدى روابي "تلمسان" وهي قرية "العباد" حاليا.

إنّ أكبر نهضة عرفتها "تلمسان" كانت في عهد الزّيانيين بعد سقوط نظام الموحدين، وقد كانت المدينة "تلمسان" عاصمة للزّيانيين، الّتي انتزعها "يغمراسن" بن زيان منهم وجعل منها قاعدة إمارة عظيمة.

وقد اهتم الزّيانيون بعمران المدينة، ومساجدها، ومدارسها، فقد كان قصر الزّيانيين مشيّدًا بوسط المدينة، وقد حطم عندما رفعت صومعة المسجد، فانتقلوا إلى المشور. وفي عهد الزّيانيين

1- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص: 134.

2- غوتي شريف، شجرة تلمسان، ص: 07.

3- عبد المؤمن بن علي، مؤسس دولة الموحدين، ولد بتاجرة بضواحي هنين شمال مدينة تلمسان، توفي بسلا (ضواحي الرّباط) في طريقه إلى الأندلس.

4- ابن غانية يحي بن إسحاق بن محمد بن علي المسرفي، آخر أمراء بن غانية تمركزوا بميروقة وما حولها، ينظر: عبد الواحد المراكش، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963م، ص: 273-275.

5- ولد أبو مدين شعيب سنة 520 هـ/1129م، بمدينة إشبيلية الأندلسية، كان زاهدًا ورعًا، ينظر: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله بم محمّد بن أحمد، ص: 108.

أسّست مدارس تلمسان الخمس، وأوّل مدرسة أسست هي الّتي أمر ببنائها "أبوحمو موسي الأول" (707-718 هجرية) أحد أمراء بني زيان، ومن بعده ابنه "أبو تاشفين الأول" (737-718 هجرية) المدرسة التّاشفينية بجانب الجامع الأعظم.

دامت نهضة الزّيانيين قرابة ثلاثة قرون (1557-1236م) توافد على المدينة وفدٌ كبير من العلماء والفقهاء والأدباء، كما كانت طريقًا تجاريًّا تمرّ بها القوافل التّجارية من جنوب الصّحراء في طريقها إلى الأندلس أو بجاية...، أسّس الزيانيون مساجد هامّة بالمدينة، وأهم عمل قام به يغمراسن تشييد صومعة المسجد الكبير الَّتي مازالت قائمة إلى يومنا هذا.

عرف الزّيانيون صراعًا حول البقاء مع جيرانهم المرينيين الّذين أسّسوا دولتهم سقوط الموحدين بالمغرب الأقصى سنة 642 هجرية، وقد بني المرينيون إبان حصارهم الطّويل المدينة تلمسان في نهاية القرن السّابع وبداية القرن الثّامن الهجري مدينة جديدة بضواحيها سُمِّيت بالمنصورة وذلك تيمّنًا بالنّصر[1].

ولا تزال آثارها واضحة إلى يومنا هذا بغرب المدينة. وهذا فإن المدينة "تلمسان" تتألف من هذه المدن الثّلاثة المتعاقبة: "أقادير" في الشّرق، و"ناقرارت" في الوسط، و"المنصورة" في الغرب، ولم يبق من هذه المدن سوى المدينة الوسطى الّتي احتفظت باسم "تلمسان". بعد سقوط غرناطة آخر الإمارات الإسلامية في الأندلس، بدأت التّحرشات الإسبانية على الثّغور السّاحلية للمغرب والجزائر، ومعها بدأت نجدة العثمانيين سنة 1518م للجزائر، وقد وقعت مدينة تلمسان في يد الأتراك الّذين قادهم "الرّايس باشا" سنة 1557م، وأصبحت المدينة تمثل أقصى الحدود الغربية للدّولة العثمانية، فوفد الأتراك إلى مدينة تلمسان واختلطوا بسكانها.

1- عبد الحميد حاجيات، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص: 210.

وقد اشتهر العنصر الأهلي المدني من سكان مدينة تلمسان باسم "الحضر" بفتح الضّاد، وقد قصرت هذه التّسمية عليهم دون سواهم، كما اشتهر جيرانهم هذه المدينة من غير هذا العنصر باسم "الكراغلة"، وهم الكولوغلية الّذين هم مولودون من أمّهات جزائريات وآباء أتراك[1].

كما كانت تلمسان قبلة إلى هجرات المورسكيين، وهم الَّذين هاجروا الأندلس هروبًا من الاضطهاد الإسباني المسيحي وقد كانوا مزيجًا من المسلمين واليهود، والذين ساهموا في إغناء المدينة بالرّصيد الثّقافي والحضاري، حيث اهتم أغلبهم بالصّناعات التّقليدية والبستنة، وحتّى الفنون والعلوم والتّجارة، حيث اشتهرت المدينة بالطّابع الفنّي الأندلسي، وصناعة المجوهرات....

عاشت تلمسان تحت حكم الأتراك العثمانيين إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، حيث انطلقت معها مقاومة الأمير عبد القادر، حيث فتحت تلمسان ذراعيها لاستقبال الأمير عبد القادر ووقفت إلى جانبه في كفاحه المرير حتى أنّ "الأمير عبد القادر" خلّد قصيدة شعرية أهداها إلى المدينة اعترافًا بجميلها:

إلَى الصّوتِ مدّت تِلمسَانُ يَدَها *** ولَبَّتْ، فهذا حُسن صوتِ نِدَاها.

ولا تزال الشّواهد باقية تخلِّد أعمال الأمير بالمنطقة منطقة جبال "أحبلات بسيدو"، "تافنة"، "سيدي إبراهيم"...

سقطت المدينة في يد الاستعمار الفرنسي بعد القبض على الأمير 1847م، وبقيت صامدة بثقافتها وتاريخها ودينها، وقد اختارها روّاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون عاصمة الغرب الجزائري في الإصلاح والإرشاد نظرًا لرصيدها الثّقافي والتّاريخي، حتى استقرّ بها الشّيخ الإبراهيمي الّذي أسّس بها دار الحديث..

كما تعتبر المدينة مسقط رأس أب الحركة الوطنية "مصالي الحاج" الّذي نشأ بها ودرس بكتاتيبها ومدارسها، ولا زالت إلى يومنا هذا تمدّ مثقفيها وعلمائها.

1- عبد الرحمان محمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982م، ج: 04، ص: 21.

3- الإطار الثّقافي والحضاري والاجتماعي:

نشير في بحثنا هذا إلى العناصر الّتي كونت المدينة تاريخيًّا ونسبهم حتى يسهل علينا البحث عن التّغيرات الصّوتيّة الّتي طرأت على أصوات عامية مدينة "تلمسان".

اشتهر العنصر الأهلي المدني من سكان "تلمسان"، وهو ما يطلق عليهم اسم الحضر، وقد قصرت عليهم دون سواهم....

واشتهر جيرانهم باسم الكراغلة[1]، الّذين استوطنوا المكان العالي للمدينة حول "المشور"، وتوافدوا كعائلات وجنود مدّة ثلاثة قرون من "الجزائر" العاصمة (العاصميون) بعد نجدتها من طرف "بابا عروج"، كما أشرنا سابقا إلى المورسكيين (الأندلسيين) الّذين قدِموا من الأندلس بعد سقوطها سنة 1492م، وقد اندمجوا مع سكان المدينة وهم مزيج من المسلمين واليهود، كما شاركوا في النّشاط اليومي للمدينة معرفتهم للصّناعة (الفخار) والزّراعة (البستنة) والفنون، وصناعة المجوهرات...

كما توجد فئة أخرى وهم سكان ضواحي مدينة تلمسان، وهم ما يعرفون بالبدو أو القبائل، ويتمركزون بشمال المدينة تلمسان في اتّجاه السّاحل أو جنوبها في اتجاه الصّحراء. ويذكر "ابن خلدون" المؤرخ العربي كيف كان يتّفق نسابة العرب مع نسابة البربر على الأصل العربي للبربر، وابن خلدون كعادته يناقش هذه النّسبة ويختلف مع النّسابة حول عروبة كل قبائل البربر، لكنّه يعترف بعروبة أكبر قبيلتين بربريتين، وهما "صنهاجة" و"كتامة".

كما يقرّ ابن خلدون نفسه أنّهما قدمتا من اليمن في هجرات سابقة للفتح الإسلامي بل وقبل الميلاد، يقول: «... ولا خلاف بين نسابة العرب أنّ شعوب البربر الّذين قدمنا ذكرهم، كلّهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسابة العرب خلافًا، والمشهور أنّهم من اليمنية، وأن أفريقس لما غزا إفريقية أنزلهم بها... وعندي أنّهم من أخواتهم أي من العرب، والله أعلم...»[2].

1- أطلقت تسمية كوروغلي أو كولوغلي على المولدين من آباء أتراك وأمّهات المنطقة، ينظر: عبد الرحمان بن محمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ج: 04، ص: 21.

2- عبد الرحمان بن خلدون، المقدّمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر، دار الكتاب لبناني للطّباعة والنشر، 1946م، ج: 06، ص: 192.

ويروي ابن خلدون كذلك... «أن نسابة زناتة ينسبون أنفسهم إلى حمير، وإلى العمالقة»[1]...، وبالتّالي، فإن أهم قبيلة استوطنت منطقة تلمسان وضواحيها هي قبيلة "زناتة" ذات الأصل العربي اليمني، وعلى هذا الأساس فإنّ أهم التّغيّرات الصّوتيّة الّتي طرأت على بعض الأصوات في عامية تلمسان وما تبعها من ظهور لبعض الظّواهر اللّهجية ما هي إلا امتدادًا لأهمّ التّغيّرات الصّوتيّة الّتي حصلت بالمشرق العربي وخاصة القبائل اليمنية، وامتدّت خاصّة إلى سكان "القاهرة"، "تلمسان"، و"فاس"... وبالتال،ي فهي قريبة جدًّا من اللّغة العربية الفصحي.

ويشرح "ابن خلدون" ذلك في مقدمته بالتّفصيل، إذ يقول: «... وممّا وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد، حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النّطق بالقاف، فإنّهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكور في كتب العربيّة، أنّه من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى، والظّاهر أنّ هذه القاف الّتي ينطق بها أهل الجيل العربي البدوي هو مخرج القاف عند أولهم من أهل اللّغة، وأنّ مخرج القاف متّسع فأوّله من أعلى الحنك، وآخره مما يلي الكاف، فالنّطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار، والنّطق ما يلي الكاف هي لغة الجيل البدوي...»[2].

وبالتالي، فإنّ هذا التّطور في نطق هذين الصّوتين ما هو إلا امتداد للصّوتين القديمين، وعليه، فإن تلمسان قريبة من الفصحى، ولها روابط وعلاقات تاريخية مع مدن المشرق العربي. كما أثرت المجالات الثّقافية، والتّنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في تعميق لهجة تلمسان عبر فترات الحكم الإسلامي للمغرب الأوسط حيث كانت المدينة مقصدا للتجّار نظرًا لأهمية نشاطها التّجاري وموقعها الاستراتيجي، فكانت القوافل تغادر "أغادير" نحو بلاد الأندلس عن طريق "هنين" و"أرشقونا"، وفي جنوب أغادير نحو بلاد "السّودان"، فتخرج القوافل باتجاه "سجلماسة" (المغرب الأقصى) ثم "تمبكتو" (مالي حاليا).

1- عبد الرحمان بن خلدون، المقدّمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ، ج: 07، ص: 192.
2- نفسه، ص: 1076-1077.

كما ضرب الإسلام أطنابه في "أغادير"، بفصل تلك الجماعات من الفقهاء الّذين دخلوا المغرب، فأخذ البربر يقرأون القرآن ويتعلمون العربية باحتكاكهم بالعرب والإنصات إلى الدّروس الدّينية، فتنورت عقول النّاس، وتطهّر مجتمعهم من عاداته[1]...

وقد أقام بها رجال الدّين والفكر القادمون من "الأندلس"، والمتّجهون إلى المشرق، وإلى مكة بالخصوص لقضاء الحج، والاحتكاك بالعلماء، والأدباء، والمرحلة الأخيرة يقيم فيها رجال المشرق، وإفريقية، والمعرب الأوسط الّذين أصبحوا يرحلون للبحث والدّراسة في مدن الأندلس الثّقافيّة مثل "قرطبة" و"غرناطة" و"أشبيلية"، فكان المثقفون من أهل "أغادير" يتّصلون هم، وينتفعون من ثقافتهم[2].

والحلة الثّقافية نفسها كانت فيها المدنية في عهد الزّيانيين فكان "يغمراسن" يقرب العلماء، ويشجع الأدباء. وكان لدار الحديث في الحقبة الاستعمارية دور كبير في الحياة الثّقافية للتلمسانيين، وأخذ الشّيخ الإبراهيمي نفسه يلقي دروس التّفسير بعد الغروب، ودروس الموطأ بعد صلاة الفجر، فينهال عليه النّاس، ويحدثنا البشير الإبراهيمي فيقول: «... إذا زارني عبد "الحميد بن باديس"، ورأى الدّروس تتنظم السّاعات وسمع درس التّفسير باللّيل، ودرس الموطأ في الصّباح الباكر، ورأى إقبال الجماهير، وتأثير ابتهاج الظّافر...»[3].

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن المدينة تلمسان عبر فتراتها التّاريخية عرفت إقبال الثّقافة والفكر والقرآن عليها، مما كان له الأثر والانعكاس على لهجاتها الّتي أصبحت قريبة للصّمود الثّقافي في وجه الاستعمار الفرنسي انعكاسًا آخر.

وبالتّاليّ، فإن اللّهجات كلها راجعة للُّغة العربية الفصحى الّتي فقدت علامات الإعراب جميعها، وصار آخر كل كلمة منها ساكنا، ثم دخلها تغيير في النّطق ببعض الحروف، وتعويض بعض المفردات بغيرها من اللّغات كالزّناتية (الأصلية)، والتّركية، وحتى الإسبانية والفرنسية.

1- محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، ص: 37.
2- نفسه، ص: 38.
3- نفسه، ص: 263.

الفصل الأول:الإطار المنهجي

المبحث الأول: التّحديد اُللغوي والاصطلاحي لُلغة واللَّهجة والفصاحة والعامية والصّوت والتّداخل اللّغوي

المبحث الثّاني: وظائف وخصائص اللُّغة واللَّهجة

المبحث الثّالث: العلاقة بين اللغة واللهجة

المبحث الرّابع: اللّهجة بين الماضي والحاضر

المبحث الأول: التّحديد اللّغوي والاصطلاحي: اللّغة–اللّهجة–الفصاحة–العاميّة

I–اللّغة:

أ–لغة:

للّغة تعريفات عديدة تداولتها الدّوائر العلميّة قديمًا وحديثًا، فقد اتّفق اللّغويّون وأرباب المعاجم أنّها مشتقّةٌ من الفعل "لغا" "يلغو"إذا تكلّم أومن" لَغَى" "يلغي" بكسر الغين في الماضي وفتحها في المضارع إذا لَهَجَ...[1]

يقول ابن جني: «أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من" لغوت "؛ أي تكلّمت وأصلها لغوة ككرة وقلّة لقولهم كروت بالكرة وتولّت بالثّلة ولأن ثنة كأنها مقلوب ثاب يثوب، اللّغة مادة (ل غ و) وفعلها من باب "دعا" و"سعى" و"رضى"، ووزنها فعة حذفت لامها وعوض عنها هاء التأنيث»[2].

وقد أقرّ الأزهري بأنّ: «اللّغة من الأسماء النّاقصة وأصلها "لغوة" من "لغاّ إذا تكلّم، واللّغة: اللّسن وحدّها أنّها أصوات يعبِّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت أي تكلمت، أصلها لغوة ككرة وقلة وثبة. كلها لاماتها واوات، وقيل: أصلها لغي أو لغو، والهاء عوض، وجمعها لغى مثل برة وبري، وفي المحكم: "الجمع لغات ولغون"»[3]، ويسمى"لغوا" كل كلام قبيح قال الله تعالى:﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا**﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوِ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا**﴾[6]، وقال سبحانه تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾[7].

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط: 06، 1997، ج: 13، ص: 212.

2- ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، المكتبة العلميّة، ط: 2، 1956م، ج: 01، ص: 33.

3- توفيق محمود شاهين، عوامل تنمية اللُّغة العربيّة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط: 01، ص: 1980م، ص: 19.

4- سورة النبأ، الآية: 55.

5- سورة القصص، الآية: 55.

6- سورة الواقعة، الآية: 25.

7- سورة المؤمنون، الآية: 03.

ونقل صاحب "تاج العروس" أنّه يقال: "لغا لغوا"، خاب وبه فسر ابن شميل الحديث: {من قال في الجمعة صه فقد لغا}[1]، ويعرف "ابن سيدة" اللُّغة من"اللّغا" صوت الطّائر، ألفه منقلبة عن واو؛ لأنه يقال في معناه لغو، وكلّ صوت مختلط لغا[2].

ويحدّد "المعجم الوسيط" اللُّغة: «(اسم) الجمع لغى، ولغات، واللُّغة: أصوات يعبر بها كل قوم عنأغراضهم»[3]ج:لغات ولغون، أما "ابن فارس" يعرف اللّغة قائلا: «اللّام والعين والحرف المعتل أصلان صحيحان أحدهما يدلّ على الشّيء لا يعتد به، والآخر للّهج بالشّيء»[4]، وقال "الجوهري" في الصّحاح: «أصلها لغي أو لغوًا وجمعها لغي مثل بره وبري... والنّسبة إليها لغوي ولا تقل لغوي[5]».

نستنتج من خلال هذه التّعريفات أن كلمة لغة أصيلة في العربية، وقد استعملت هذه السّياقات بمعناها الحقيقي الَّذي هو الأصوات الإنسانية وغيرها، كما تبين لنا أن معظم هذه المفاهيم جاءت متقاربة ومتباينة في الوقت نفسه، متقاربة من حيث تكوينها، ومقاصدها وأثرها[6].

ب-اصطلاحًا:

يُعتبَر موضوع اللّغة من الميادين الخصبة والواسعة للبحث والدّراسة، وقد اهتمّ بظواهر اللّغة قدامى العرب، وخصّصوا لها كتبًا ومعاجم كثيرة، كما اعتنى بها الدّارسون الغربيّون منذ بداية عصر النّهضة إلى يومنا هذا.

1- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 01، 1979م، ص: 210.
2- عبد الوهاب السّيد عوض الله، محمد عبد العزيز القلماوي، مجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط، شركة الإعلانات الشّرقية، دط، 1985م، ص: 152.
3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، بيروت، دط، دت، مج: 1، ص: 125.
4- أبو إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللُّغة وصحاح العربيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1999م، ص: 35.
5- نفسه، ص: 35.
6- أنطوان الهاشم، اضطرابات اللُّغة "ديدينه بورو"، منشورات عويدان، بيروت، لبنان، ط: 02، 1996م، ص: 11.

ويجدر بنا في البداية أن نعرّف اللّغة عند بعض اللّغويين العرب القدامى كظاهرة اجتماعيّة، وفكريّة، ورمزيّة، ثم نعرّف اللّغة ونبرز طبيعتها عند اللّغويين المحدثين، وقد ورد تعريف اللّغة في لسان العرب كما يلي:

قال الأزهري: «واللّغة من الأسماء النّاقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلّم. واللّغة اللّسن، وحدّها أنّها أصوات يعبِّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم، هي فُعلةٌ من لَغَوتُ أي تكلّمت»[1]، أمّا أبو الفتح عثمان بن جني فيقول: «أمّا حدها فإنها أصوات يعبِّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم، هذا حدّها وأمّا اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها: أمواضعة هي أم إلهام؟ وأمّا تصريفها ومعرفة حروفها فإنّها فعلة من لغوت»[2].

يتضمّن التّعريفان أهم ما تتميز به اللّغة، وهي أنها عبارة عن أصوات تؤدي وظيفة اجتماعية، تختلف وتتنوع بتنوع المجموعات البشرية، ويعرفها ابن خلدون بقوله: «اعلم أنّ اللُّغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن يصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللّسان. وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم»[3]، ينظر اللّغويون المحدثون إلى اللُّغة نظرة لا تختلف كثيرًا عما رآه اللّغويون القدامى في تاريخنا الحضاري.

يقول علي عبد الواحد وافي: «اللّغة هبة الله للإنسان، منحه إيّاها، واختصّته بها دون غيره من المخلوقات تكريمًا له وإرشادًا إلى دوره الَّذي قدّر له في هذه الحياة، وهو تكوين المجتمعات ذات المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، وهذه المجتمعات لا يمكن تصور وجودها أو بقائها إلا بلغة، أية لغة، أي وسيلة للتّفاهم، تضمن للنّاس مودّتهم وترابطهم والوفاء بحاجاتهم ودفع عجلة الحياة أمامهم»[4].

1- ابن منظور، لسان العرب، ط: 03، 1994م، مج: 15، ص: 250-251-252.
2- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، دط، 1986م، ج: 01، ص: 34.
3- ابن خلدون، المقدّمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللّبناني للطّباعة والنّشر، ط: 03، 1967م، مج: 1، ص: 1056.
4- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، الفجّالة، القاهرة، ط: 07، 1973م، ص: 28.

فاللُّغة أداة للتّواصل والتّعبير عن كلّ ما تجيش به خاطرة الإنسان ومخيّلته، من أفكار ومشاعر وآراء. كما «تعتبر اللُّغة من أعظم وسائل التَّواصل، كما أنّها أداة ليِّنة مطواعة، بفضل رقيٍّ تراكيبها ومدلولاتها»[1].

يقول ماريو باي: «اللّغة جامعة، بمعنى أنّها توجه وتصاحب كلّ نشاطٍ إنساني يشترك فيه اثنان أو أكثر»[2]، والإنسان بطبعه اجتماعي فهو بحاجة لغيره من الأفراد ليكوّن معنى وهدفًا لحياته. ولا يتحقّق ذلك الهدف إلّا عن طريق علاقة تحكمها طبيعة التّعامل بها، فاللّغة وحدها كفيلة بإعطاء المرء مقوماته الإنسانية لأنّها تمكنه من إجراء عمليّة الإبلاغ والتّواصل، كما أن اللّغة تخرج الإنسان من عزلته.

ويرى "أنيس فريحة" أن اللّغة أكثر من مجموعة أصوات، وأكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيرًا عن عاطفة. ويعتبرها جزء من كياننا البسيكولوجي الرّوحي، وأنّها عملية فيزيائيّة اجتماعيّة بسيكولوجيّة على غاية من التّعقيد، كما أنّها تتناول أربعة أمور أساسية لتمام العملية المعقّدة وهي: متكلّم، ومخاطب، وأشياء أو فكر يتكلّم عنها، ثمّ كلمات أو مفردات (أو إشارات ملامحية أو يدوية)، وهي مجموعة فونيمات لها في الذّهن صور معيّنة؛ أي معان[3].

فاللُّغة جملة من الرّموز المستعملة بين أفراد المجموعة البشرية، هذه الرّموز تتحول بفعل الرّابط اللّغوي إلى مجموعة فكرية حضارية، ثم إنها ترتبط فيما بينها بقوانين، وبفضلها تنصهر هذه الرّموز الجزئية في شبكة من القواعد المجسمة لبناء اللّغة الكلّي. نلحظ إذن أنّ اللّغة تقتضي بالضّرورة قوانين تسيِّرها وتحفظ انتظامها.

أمّا "محمود فهمي حجازي" فيذكر بصفة عامة أن اللّغة فطرية عند الإنسان، فهي تميزه عن كائنات أخرى تشبهه في بعض الجوانب[4]. فاستعمال اللُّغة لا يتوقّف على معرفةٍ واعيةٍ لتلك القوانين؛

1 - Pier Paolo Giglioli, language and social context, Penguin book, 1990, p 219.

2- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم كتب، ط: 03، 1987، ص: 115.

3- أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، المكتبة الجامعيّة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط: 01، 1973م، ص: 11.

4- محمود فهمي حجازي، البحث اللّغوي، ص: 43.

أي أنّ الحدث اللُّغوي يكتسب تلقائيًّا سواء عن طريق التّحصيل الأمومي الّذي سرعان ما يتحوّل إلى ضرب من الإدراك الخفي لقوانين اللُّغة أو غير ذلك.

فدوسوسير "De saussure" يرى أنّ لكلّ لغةٍ لهجاتها، وليس لها أي تأثير في الأخرى وهي عادة متفرّقة مختلفة[1].

وإبراهيم أنيس يرى بأنّ اللُّغة: «تشتمل على لهجات لكلّ منها ما يميزها وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية والعادات الكلامية، الّتي تولف لغة مستقلة عن غيرها من اللّغات فبيئة اللّهجات هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعًا في مجموعة من الظّواهر اللُّغوية الّتي تسيّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم بعضًا، وتلك البيئة الشّاملة الّتي تتألف من عدّة لهجات هي الّتي اصطلح على تسميتها باللّغة»[2].

إن العلاقة بين اللَّهجة والفصحى هي علاقة الخاص بالعام، ومع تعدّد اللّهجات في البيئة اللُّغوية الواحدة، فإن كلّ بقعة تنفرد بلهجتها الخاصّة، كما يلاحظ ذلك في البيئات الحضرية والبدوية والصّحراوية، الّتي لها لهجاتها الّتي تميّزها عن غيرها وتشيع فيها أصوات وتراكيبها تناسبها.

وقد رأى علماء اللّغة بأنّ اللّهجات مقترنة مع الفصحى واتفقوا على أن اقترانها مرتبط بالضّرورة الاجتماعية، في هذا الصّدد يقول الدكتور "محمد عيد": «إنّ وجود اللّغة المشتركة واللّهجات المحلية في اللّغات أمر تحتمه الضّرورة الاجتماعية، وما تقتضيه من تفاوت في مستوى الاستعمال وحاجاته تبعًا لحاجة النّاطقين أنفسهم»[3].

2-اللّهجة:

أ-لغة:

1- ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامّة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطّباعة، دط، دت، ص: 159.

2- في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 04، 1995م، ص: 71.

3- المستوى اللّغوي للفصحى واللّهجات والنّثر والشّعر، دار الثّقافة للطّباعة، القاهرة، دط، 1981م، ص: 89.

أخذ معنى اللّهجة عدّة دلالات واشتقاقات، ورد في لسان العرب لابن منظور مادة (ل، ه، ج): «لَهِجَ بالأمر لَهَجًا، ولَهْوَجَ، وألْهَجَ، كلاهما أولع به واعتاده، وألْهَجَةٌ، ويُقال فلان مُلْهَجٌ بهذا الأمر أي مُولَعٌ به واللّهَجُ بالشّيءِ: الولوع به. واللَّهْجَةُ واللَّهَجَة: طرف اللّسان، واللَّهْجَة واللَّهَجَة: جرس الكلام. والفتح أعلى. ويُقال فلان فصِيح اللَّهجَة واللَّهَجَةِ، وهي لغته التي جُبِل عليها فاعتادها ونشأ عليها. واللَّهْجَة اللّسان، وقد يحرّك. وفي الحديث: {ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، قال اللهجة اللّسان}»[1].

وجاء تعريفها في محيط المحيط كالتالي: «اللَّهْجَة واللّهَجَة اللّسان، وقيل طرفه وقيل هي لغة الإنسان الّتي جبل عليها واعتادها، ويقال فلان فصيح اللّهجة وصادق اللّهجة»[2].

ب – اصطلاحا:

اللّهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: «هي مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئةٍ أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات، لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعًا في مجموعة من الظّواهر اللّغوية الّتي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الرّابطة الّتي تربط بين هذه اللّهجات»[3].

فاللّهجة عبارة عن مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصّة ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، ومن البديهي في قوانين اللّغة أنّه متى انتشرت اللُّغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من النّاس لا يمكنها أن تحتفظ بوحدتها الأولى لوقت طويل، وسرعان

1- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (لهج)، مج: 2، ص: 220.

2- بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، ط: 03، 1998، مادّة (لهج)، ص: 710.

3- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط: 09، 1995م، ص: 16.

ما تتفرّع إلى عدة لهجات[1]. وكل لهجة تعتبر لغة قائمة بذاتها، بنظامها الصّوتي وبصرفها وبنحوها وبتركيبها وبمقدرتها على التّعبير[2].

لم يعرف مصطلح اللّهجة عند القدماء بالمفهوم الّذي نعرفه به الآن، وإنما استعملت كلمة "اللّغة" تارة و"اللّحن" تارةً أخرى للدّلالة على لهجات القبائل العربية المختلفة فقالوا: لغة تميم، ولغة قريش، ولغة طيء. ويبرز هذا عمومًا في المعاجم القديمة وفي بعض الرّوايات الأدبية. «وقد يروى لنا أنّ أعرابيًّا يقول في معرض الحديث عن مسألة نحوية: ليس هذا لحني ولا لحن قومي. وكثيرًا ما يشير أصحاب المعجم إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل، ولا يريدون مثل هذا التّعبير سوى ما نعنيه نحن الآن بكلمة اللهجة»[3].

أما اللّحن فيرد تعريفه كالتّالي: «إنّ اللّحن صرف الكلام عن جهته، ثم صار اسمًا ملازما لمخالفة الإعراب، واللّحن لا يكون إلا في القول، وتقول: لَحَنَ في كلامه، واللّحن أيضًا اللُّغة، يقال: هذا بلحن اليمن»[4].

يشير عالم الاجتماع "ابن خلدون" إلى نشأة اللّهجات عن طريق اللّحن في اللُّغة العربية، والإضافة إليها من اللّغات الأجنبية الدّخيلة، ويعبر عنها بفساد الملكة إذ يقول: «ثم فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات الّتي كانت للعرب، فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضا، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللّسان العربي»[5].

1- علي عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، ص: 108.

2- أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، لبنان، ط: 01، 1989م، ص: 77.

3- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 17.

4- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللّغوية، علّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 01، 2000م، ص: 67.

5- ابن خلدون، مقدّمة، ص: 1072.

يدّعي بعض اللّغويين أن اللّهجة هي عبارة عن تقهقر وانحطاط لغوي من لغة فصحى، وقد أثبت علم اللّهجات بطريقة لا يتسرّب إليها الشّك أنّه ليس ضروريًّا أن تكون اللّهجة انحطاطًا من لغة فصحى، فقد تكون أقدم منها في الزّمن، أو قد يمثّل تطوّرًا وتقدّمًا لا انحطاطًا وهذا ما عبّر عنه "أنيس فريحة" حين ذكر أن أفضل دليل على أن اللّهجات ليست انحطاطًا لغويًّا هو كون بعضها سابقا في الزّمن للُّغة الفصحي، ومثال ذلك كسر حرف المضارع في العامية فإننا نقول "بِكْتَبْ، بِشْرَب"، ولكن حرف المضارع (وهو لغة قديمة) سابق في الزّمن للفترة الّتي اعتبرت فيها لغة قريش اللغة الأدبية الفصحى، ويتساءل كيف يحقّ لنا أن نعتبر هذه الظّاهرة أي كسر حرف المضارع انحطاطًا لغويًّا[1].

وبناءً على ذلك قسّم علماء اللّغة اللّهجات العربيّة إلى خمس مجموعات:

أ-مجموعة اللّهجات الحجازيّة، وتشمل لهجات الحجاز ونجد واليمن.

ب-مجموعة اللّهجات السّوريّة، وتشمل جميع اللّهجات العربيّة في سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن.

ج-مجموعة اللّهجات العراقيّة.

د-مجموعة اللّهجات المصريّة، وتشمل اللّهجات العربيّة في مصر والسّودان.

هـ-مجموعة اللّهجات المغربيّة، وتشمل جميع اللّهجات العربيّة في شمال إفريقيا.[2]

وكلّ مجموعة بحوزتها عدّة لهجات، وكلّ لهجة بدورها تتفرّع وتنقسم إلى لهجات محليّة كما يقول "علي عبد الواحد وافي": «وكلّ لهجةٍ من هذه اللّهجات تنقسم إلى عدّة فروع وشعب وتختلف باختلاف البلاد الناطقة بها، حتّى أنّك لتجد بين القريتين المتجاورتين المنتميتين إلى لهجةٍ واحدة خلافًا واضحًا في كثير من مظاهر الصّوت والمفردات والأساليب والتّراكيب»[3].

1- ينظر: أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 78.

2- ينظر: أحمد علام الدّين الجندي، اللّهجات العربيّة في التّراث في النّظامين النّحوي والصّرفي، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1978م، ص: 130.

3- عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، ط: 7، ص: 1967، ص: 149.

3-مفهوم الفصاحة:

لغة:

اعتاد الدّارسون -وخاصة العرب- أن يحدّدوا المعنى اللّغوي للمصطلحات قبل المعنى الاصطلاحي، وهذا للصّلة الوثيقة الموجودة عادة بين المعاني اللُّغوية والمعاني الاصطلاحية للكلمات، فالرّجوع إلى المعاجم، والكتب العربية للوقوف على مدلول مادة (ف ص ح) يجد أن الفصيح: «خلوص الشّيء مما يشوبه، وأصله في اللّبن إذ يقال أفصح وفصح اللّبن إذا تعرى، وذهبت منه الرّغوة وانجلت منه»[1].

ويقال: «فصح العجمي (بضّم الصّاد) فصاحة، أي تكلّم بالعربية وفهم منه، وقيل جادت لغته حتى لم يلحن...»[2]، ويقال: «أفصح الصّبي في منطقه إفصاحًا، إذا فهمت ما يقول في أول ما تكلم، يفصح الأغتم إذا فهمت كلامه بعد غتمه، وأفصح الشيء، إذا بدا ووضح»[3]، والفعل: فصّح اللين أفصَحَ: إذا تعرّى من الرّغوة فهو فصيح، أفصح الرّجل: انطلق لسانه بكلام صحيح واضح وفصَّح: جادت لغته حتى لا يلحن[4].

ويقال: «أفصح العجمي فصاحة إذا تكلّم بالعربية، فالمعنى اللّغوي للفصاحة من خلال هذه الأمثلة هو البيان والوضوح، فكلّ ما كان بيّنًا وواضحًا، فهو فصيح سواءً أكان كلاما أم غيره، والفصيح في اللُّغة المنطلق اللّسان في القول، الّذي يعرف الكلام الجيد من رديئه، ومن معاني اللّفظ كذلك النقاء والخلوص»[5].

ب اصطلاحا:

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج: 01، ص: 14.

2- نفسه، ج: 01، ص: 14.

3- عبد الرّحمان جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، ج: 01، ص: 185.

4- نفسه، ص: 185.

5- عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللُّغة والنحو حتى أواخر القرن الرَّابع الهجري، ط: 01، ص: 18.

اضطرب مفهوم الفصاحة كثيرا لدى المهتمين بالدّراسات اللُّغوية العربية، وهذا الاضطراب ناتج عن عدم التّفريق بين الفصاحة بمعناها اللُّغوي والمعنى البياني، فالفصاحة اللّغوية عند النّحاة واللّغويين العرب القدماء، كانت تعني السّليقة، أي الطّبيعة والسّجية، نقول: فلان يتكلم بالسّليقة؛ أي بطبيعته، أوبطبعه الّذي نشأ عليه، وهذا المفهوم يمكن أن تستنتجه من كلام (الجاحظ) واسطة المقابلة التي قام بها بين عدة مفاهيم متقاربة، إذ يقول: «فمن يزعم أن البلاغة أن يكون السّامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللّكنة، والخطأ والصّواب، والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا...»[1].

فإذا قابلنا بين هذه المفاهيم على النحو الآتي: (الفصاحة، اللّكنة) (صواب، خطا) (إبانة، اغلاق) (معرب، ملحون)، تلاحظ أن الفصاحة تقابل اللّحن والخطأ ومقابلتها للّحن، يفهم منه الخروج عن أوضاع العرب في كلامهم، كما لا يطلق على عدم الفصاحة البيانية اللّحن، ومن هنا ندرك أن الكلام في هذا المضمار مستويان، مستوى السّلامة اللُّغوية[2]، وهو خلوه من اللّحن، ومستوى السّلامة البيانية، وهو اختيار للكلام الجيد المؤثر في السّامع، فلكي يكون كلام الشّخص فصيحا، يجب أن يكون موافقا لنظام العربية وسننها من حيث تأدية أصواته وأبنيته، ومن حيث إعرابه وصوابه واختيار كلماته الفصيحة، إذ نبين ما هي الكلمة الفصيحة، والكلام الفصيح والمتكلم الفصيح[3].

ويشترط في فصاحة الكلمة المفردة خلوصها من الأمور الآتية:

1- أبو بكر محمد حسن بن مذحج الزّبيدي، مراتب النّحويين، ص: 04.

2- ينظر: أبو القاسم الزّجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن مبارك، مكتبة دار العروبة، القاهرة، دط، 1909، ص: 19.

3- عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللُّغة والنّحو حتى أواخر القرن الرّابع الهجري، ص: 18.

-تنافر الحروف، أي لا تكون الكلمة ثقيلة على السّمع، صعبة على اللّسان مثل (الهعجع) نبات ترعاه الإبل، إذ سئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى المعجع، وقول امرئ القيس: "غدائره مستشزرات العلى"[1].

-غرابة الاستعمال، وذلك كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب حتى لا يفهم المراد منها، ويتجلى ذلك مثلا في قول (عيسى بن عمرو النّحوي) حين وقع من حماره واجتمعت عليه النّاس: "مالكم تكأكأتم علي كتكأكئكم على ذي جنة أفرنقعوا عني..."[2].

- مخالفة القياس: ذلك أن تكون الكلمة شاذة عن القانون الصرفي مثل: الأجلل.

ويشترط في فصاحة الكلام المركّب خلوصه من الأمور التالية:

- عدم فصاحة بعض كلماته، فإذا اشتمل على كلمة غير فصيحة، سقط الكلام عن الفصاحة.
- تنافر الكلمات المجتمعة، بأن يكون بين كلماته تنافر، فتثقل على السّمع، وتعسر على النّطق.
- ضعف التّأليف؛ أي يكون الكلام جاريًا على خلاف قوانين النّحو[3].

1- جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، ج: 01، ص: 70.

2- محمد داوود، العربيّة وعلوم اللُّغة الحديث، ص: 254.

3- ينظر: حسام البهنساوي، العربية الفصحى ولهجاتها، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، دط، دت، ص: 32.

شكل توضيحي لمفهوم الفصاحة

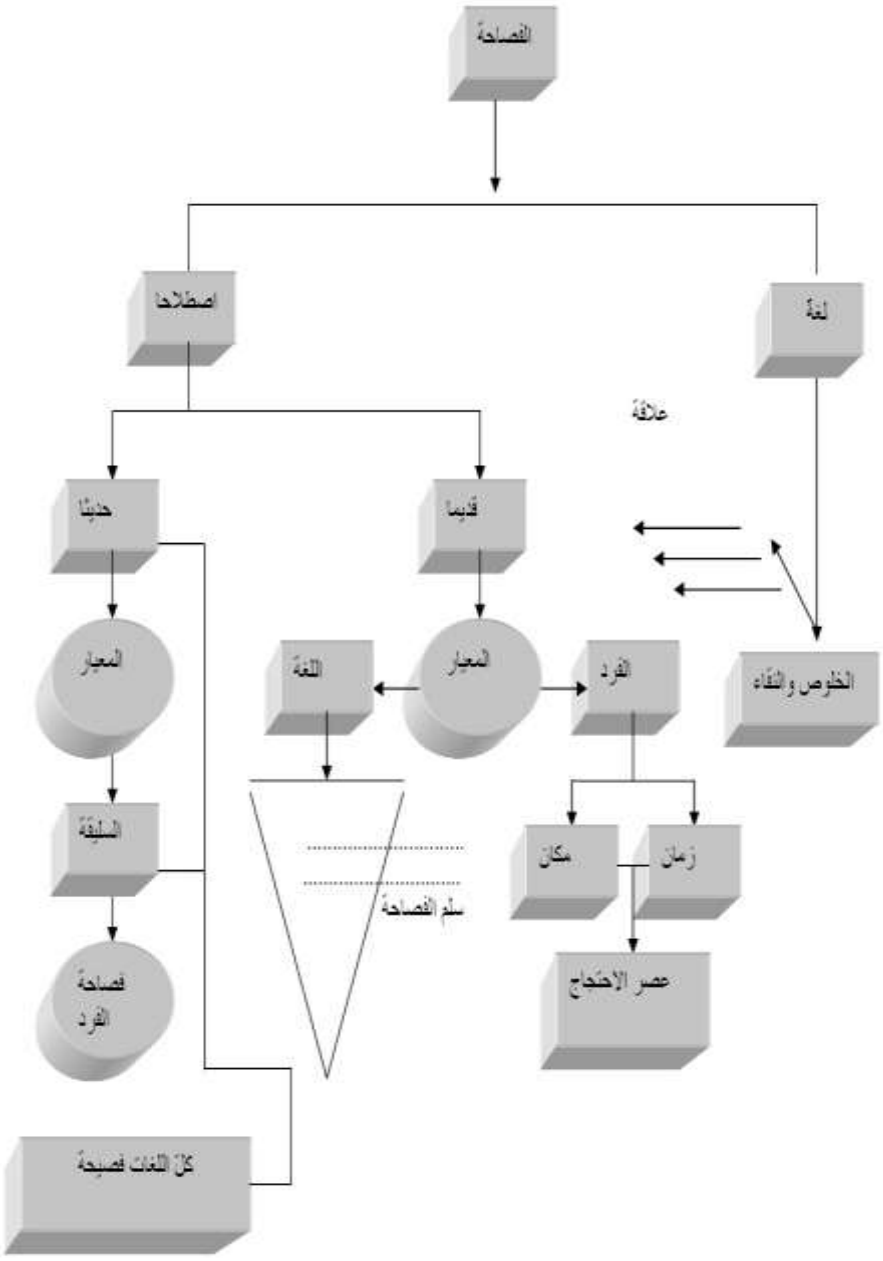

4- العاميّة:

إن مصطلح العامية ليس بجديد، فنجد في مؤلفات القدماء: "لحن العامية"، "لحن العوام"، فبقيت النّسبة إلى العوام، يقول الزبيدي: «فهذا ما أفردته العامة عندنا، فاحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه،... فرأيت أن أنبه عليه وأبين وجه الصّواب فيه»[1].

فتلمح من سياق النّص أنَّ المقصود بالعامية هم النّاس العاديون، كما أن المقصود بالعامّية هنا ليس اللّهجة الّتي لها صفات صوتية خاصّة، كما يقول مصطفى صادق الرافعي "في كتابه (تاريخ آداب العرب)": «العامية هي اللُّغة الّتي خلقت اللّغة الفصحى في المنطق الفطري وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة، ثم صارت بالتّصرف إلى ما تصير إليه اللّغات المستقلة، وعادت لغة في اللّحن بعد أن كانت لحنا في اللُّغة»[2].

وكذلك يعرف "نهاد الموسى" العامية وهو كونها اليوم لغة الأم الّتي تُكتسب عفويا فيقول: «العامية هي النموذج اللغوي الذي تكتسبه اكتسابا ويستحوذ على البرنامج اللغوي الأول لدى الناطقين بالعربية»[3].

فمن هذا المنطلق "فالعامية" لغة أنشاها العامة لحياتها اليومية، والدّليل على أنها لغة البيت والشّارع، والسوق والمجتمع، ومن الملاحظ أن عامية أية لغة ليست واحدة في كل جهات الوطن وهذا الّذي قاله تمام حسان: ... وإنما يقال لهجة القاهرة حين ينظر إلى الخصائص المشتركة بين هذه اللّهجات حتى تبرز أن تضمها جميعا في لهجة واحدة في مقابل لهجة (أسيوط) ولهجة (الإسكندرية)، فمن هنا تدرك أن العامية هي لغة العامة جميعا، لغة الأمي والمتعلم، ولغة الفقير والغني، أي لغة كل الفئات الاجتماعية، ولكنّها تضم اختلافات لهجية ترتبط خاصة بالموقع الجغرافي، ولهذا نقول عاميات الشّمال وعاميات الجنوب، وعاميات الشّرق وعاميات الغرب.

1- نهاد الموسى، الفصحى وعاميتها، بين تجليات الكائن وتطورات الممكن، ندوة الفصحى وعاميتها، ص: 44.
2- مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، ج: 01، ص: 152.
3- عبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العام، بيروت، ط: 04، 1404هـ-1984م، ص: 225.

أما عن العامية العربية: لقد سمعنا أنّ في كل البلدان العربية توجد عاميات، ونحن نتسائل عن ماهية العاميّة العربيّة؟

لقد عرف الكاتب "عبد الجليل مرتاض" العامية العربية في قوله: «وحتى العامية العربية الّتي فقدت جانبا من محاصيلها النّحوية والصّرفية بفعل آثار العوامل الصّوتية وعوامل أخرى خارجية لم تتغير بنيتها الوظيفية»[1].

فإن العامية العربية حسب الكاتب هي لغة لها نظام لكنّها قد فقدت جزءًا منه على المستوى النّحوي والصرفي بسبب عوامل خارجية وبسبب العوامل الصّوتية.

وما يمكن إضافته أنّه لا توجد عامية واحدة في الوطن نفسه، بل لكلّ عامية تأديات متنوعة؛ أي الخلافات الهجية كما قال "عبد الصبور شاهين": «فاللّهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات...»[2].

فنلاحظ مثلا في عاميتنا الجزائرية أو غيرها من العاميات العربية اختلافات لهجية تختلف من منطقةٍ إلى أخرى، فنقول أنّ هناك عامية جزائرية تضم لهجات متنوعة: كلهجات الشّرق ولهجات الشّمال ولهجات الغرب ولهجات الجنوب، ولأن اللغة كما قال "عبد الصبور شاهين" هي: «كائن اجتماعي يتأثر بالأحداث والظّواهر الاجتماعية، ويؤثر فيها أيضا، فاللغة بهذا المفهوم ملك للمجتمع تنعكس في حالتها صورته»[3].

1- عبد الجليل مرتاض، العربيةّ بين الطّبع والتّطبيع، (دراسات لغويّة تحليلية لتراكيب عربيّة)، ص: 186.

2- عبد الصّبور شاهين، في علم اللُّغة العام، ص: 221.

3- معين زيادة، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، ص: 29.

5-الصّوت:

أ-لغة:

لقد ذهب صاحب المقاييس إلى أنّ جذر صيغة (صوت)، هي: «الصّاد والواو والتّاء، أصل صحيح وهو الصّوت، وهو من جنس لكل ما وقر في أذن السّامع»،[1]وهو مفهوم عام يَشمَل صوت كلّ شيء سواء أكان كائنا حيّا، أم جمادًا يبلغ الأذن، ويثبت فيها.

في المقابل تناول صاحب اللّسان، معنى الصّوت، بقوله: «صات، يصوت، صوتًا، فهو صائت، معناه صائح»[2]، وهو بهذا يُخصّ المعنى العام للصّوت، فيحصره في الجهاز الصّوتي سواءً أكان إنسانيًّا، أم حيوانيًّا.

ب-اصطلاحًا:

ومفهوم الصّوت في اصطلاح "الشريف الجرجاني"، هو: «كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصّماخ»[3]، والمعنى نفسه نجده عند "فندريس" في قوله: «هو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء»[4]، حيث كان تحليله للصّوت تحليلًا فيزيائيًّا، يخُص التّموّجات، والذّبذبات الصّوتية؛ لأنّ الصّوت قِوامه الهواء الّذي يلعب دورًا أساسيًّا في أثناء عمليّة التّصويت، وبانْعِدامه ينعدِم الصّوت، فلا يُرسَل من طرف الملقي، ولا يُستقبل من قِبل المتلقّي؛ لأنّه لم يبلُغ جهازه السّمعي ولم يتمّ إدراكه.

ومن ثمّة نعدّ الصّوت: «ظاهرة طبيعية، ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها»[5]، لما ينبثق عنه من إدراك لفظي، يتبعه إبلاغ دلالي، للأداء الملقى من قِبل مُلقي الصّوت اللُّغوي الدّال.

1- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مادّة (صوت)، مج 3، ص: 381.

2- ابن منظور، معجم لسان العرب، مادّة (صوت)، مج 02، ص: 57.

3- الشّريف الجرجاني، التّعريفات، ص: 140.

4- فندريس، اللّغة، تعريب: عبد الحميد الدّواخلي، محمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، مطبعة لجنة البيان العربي، دط، د ت، ص: 43.

5- محمّد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللّغويّة الحديثة في اللّغة العربيّة، معجم عربي أعجمي، وأعجمي عربي، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص: 126.

6-التداخل اللغوي:

أ-لغة:

انتبه علماء اللّغة العربيّة لهذه الظّاهرة فنجدها واردة في المعاجم العربيّة القديمة والحديثة كالآتي: جاء في لسان العرب لابن منظور في مادّة دَخَلَ: «تَدَاخَلَ الأمور هو تشابهها والتباسها ودُخُولُ بعضها في بعض»[1]، وفي المعجم الوسيط: «دَاخَلت الأشياء مُدَاخلة ودِخالًا دَخَلَ بعضها في بعض، وتَدَاخَلت الأشياء: دَاخَلت والأمور التَبَسَتْ وتشابهتْ»[2]. نلاحظ اتّفاق المعاجم على معنى التّداخل، فهو: تشابه الأمور وتداخلها والتباسها.

ب- اصطلاحا:

تعدّدت مفاهيم التّداخل بتعدّد مجالاته، فنجد مثلا: التّداخل الثّقافي والتّداخل الاجتماعي وتداخل الأجناس وأيضا التّداخل اللُّغوي ... إلخ، وهذا الأخير هو موضوع بحثنا، وسنعرض فيما يأتي جملة من التّعريفات لهذه الظّاهرة بالتّدرّج بدءًا من علماء اللّغة العرب من قدماء ومحدثين ثم نتوجّه لها من المنظور الغربي:

ضمّن "ابن جني" في كتابه الخصائص بابا واسعا سماه بـ: "تركب اللّغات" ويقصد به تداخل اللّغات، وعرفه بقوله: «تلاقى أصحاب اللّغتين فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا فأخذ كلّ واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته فتركبت هناك لغة ثالثة»[3].

فقد أبان عن فكرة التّداخل حين عرّج على أسبابه، وهو اجتماع هذه اللّهجات في لسانٍ واحد، فيسمع هذا لغة هذا ويأخذ هذا من لغةٍ الآخر، فالبعض يتأثر بلهجات غيره وتجري على لسانه والبعض يمتنع عنها ويستقر على أصله، وقد عد "ابن جني" ذلك تداخلًا بين اللّغات، يقول: «واعلم أنّ العرب مختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره فمنهم من يخف ويسرع قبول ما

1- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (دخل)، ص: 1343.

2- مجمّع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدّولية، جمهوريّة مصر العربيّة، ط: 04، 2004م، مادّة (دخل)، ص: 275.

3- ابن جني، الخصائص، ج: 01، ص: 372.

يسمعه ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتّة، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره عليه لصفت به ووجدت في كلامه ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل: يا نبيء الله فقال: لست نبيء الله ولكنني نبي الله»[1].

ومن الأمثلة الّتي قدمها "ابن جني" قوله: «وكذلك حال قولهم: فقط يقنط إنّما هو لغتان تداخلتا. قنط يقنط لغة وقنط يقنط لغة أخرى، ثم تداخلتا فتركبت لغة ثالثة فقال: من قال: فقط: يقنط ولم يقولوا قنط يقنط، لأن أخذ إلى لغته لغة غيره قد يجوز أن يقتصر على بعض اللّغة الّتي أضافها إلى لغته دون بعض[2]»، نتيجة تداخل هذه اللّغات فيما بينها تولدت صيغ جديدة في لسان المتكلم[3].

ومن تعريفات المحدثين للتّداخل ما يأتي:

عرفه "صالح بلعيد" بقوله: «مصطلح التّداخل يشير في عمومه إلى الاحتكاك الّذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف»[4].

وفي تعريف آخر: «نفوذ بعض العناصر اللُّغوية من لغة إلى لغة أخرى، مع تأثير الواحدة في الأخرى، ويؤثر في عملية التّواصل نتيجة لممارسة الشّخص لأكثر من نظام لغوي، حيث يتجلى التّداخل في أكثر الأحيان من حيث الألفاظ والتّراكيب، حيث ينقل صفات صوتية أو صرفية أو معجمية أو تركيبية للغة معينة وهو يتحدث بلغة أخرى»[5].

فالمتكلم يجد نفسه أمام مستويين من اللّغة يؤثر كل مستوى في الآخر، خاصة أثناء عملية الكلام، فيدخل عناصر متعلقة بلغة ما سواء كانت صرفية أو نحوية أو معجمية أو تركيبية في لغة أخرى مغايرة.

1- ابن جني، الخصائص، ج: 01، ص: 381.

2- نفسه، ج: 01، ص: 382.

3- نفسه، ج: 1، ص: 370.

4- صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التّطبيقيّة، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، دط، 2003م، ص: 124.

5- الطّيب شيباني، استراتيجية التّواصل اللّغوي في تعليم وتعلّم اللّغة العربيّة (دراسة تداوليّة)، مذكرة ماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009-2010، ص: 28.

أو هو احتكاك بين مستويين لغوبين أو أكثر يقع فيه المتكلم فيمزج عناصر لسانية سواء كانت صرفية أو نحوية أو معجمية أو دلالية فيدخلها على اللّغة قيد الاستعمال.

ومن تعريفات اللّسانيين الغربيين ما يأتي:

عرفته "غارمدي" بقولها: «يقال إن لغتين أو أكثر هما على اتصال واحتكاك إذا كانتا مستعملتين استعمالا تعاقبيا من قبل الأشخاص أنفسهم[1]»، بهذا المعنى فالتّداخل لا يسمى تداخلا إلا إذا كان هناك تعاقب وتناوب بين نظامين لغويين أو يحدثه المتكلم أثناء عملية الكلام.

وفي تعريف آخر: «تأثير اللُّغة الأم على اللُّغة الّتي يتعلمها المرء، أو إبدال عنصر من عناصر اللّغة الأم بعنصر من عناصر اللُّغة الثّانية»[2]؛ أي تأثير اللُّغة الأولى الّتي يكتسبها الطّفل من أسرته ومجتمعه وهي العامية على الثّانية الّتي يكتسبها عن طريق التّعلم والدّرية والمران، والّتي تدرس في مراكز التّعليم كالمدرسة والجامعات وفق برامج ومناهج وأساليب معينة بالتّدريج حسب كل مرحلة.

إجمالا لما سبق ذكره نستنتج:

1. التّداخل اللُّغوي يحدث كنتيجة لاحتكاك اللّغات وتقاربها.
2. يمس التّداخل اللُّغوي جميع مستويات اللّغة الصّوتية والصّرفية والمعجمية والنّحوية والدّلالية.
3. قد يحدث التّداخل اللُّغوي بين مستويين مختلفين من اللّغة، أو بين عدة مستويات وقد يحدث في اللّغة الواحدة.

1- جولييت غارمدي، اللّسانيات الاجتماعيّة، عرّبه: خليل أحمد خليل، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط: 01، 1990م، ص: 115.

2- علي القاسمي، التّداخل اللّغوي والنّحول اللّغوي، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد: 01، 2010م، ص: 77.

المبحث الثّاني: وظائف وخصائص اللّغة واللّهجة

1-وظائف اللغة:

تعدّدت وظائف اللّغة، فبالإضافة إلى وظيفتها الاجتماعية الأساسية ووظيفتها الاتصالية التبليغيّة، هناك وظائف أخرى في غاية الأهميّة تتماشى والعلاقات المختلفة الّتي تكون بين اللّغة والمجتمع أو اللّغة والسّياق الّذي تستعمل فيه.

أ – الوظيفة الاجتماعية:

وهي من أهم وظائف اللُّغة، إذ ليس فيها من الأفكار والمعلومات ما هو هام يحتاج إلى توصيل، والعبارات المختلفة المستخدمة في التّحيّة والّتي تستعمل للتّأدّب تعتبر بداية الوظيفة الاجتماعيّة. «وللغة جانب فردي، وآخر اجتماعي، ولا يمكننا الاستغناء عن كل منهما»[1].

يعتبر مارتيني أن الوظيفة الأساسيّة للّغة هي التّبليغ. فالعربية مثلا هي قبل كلّ شيء الوسيلة الّتي تمكّن أهل اللّسان العربي من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم[2]، إنّ الأحاديث العادية الّتي تدور بين النّاس الّذين يتعارفون معرفة جيّدة أو مجرّد معرفة سطحيّة لا تعدو أن تكون لمجرّد إقامة العلاقات الاجتماعية، هذا يدعونا للقول بأن الوظيفة الأساسية للُّغة هي وظيفة اجتماعية. وهذه الوظيفة هي أساس الشّعور بالانتماء الاجتماعي[3].

واللُّغة تعتبر أداة الإنسان الَّتي تمكنه من إنجاز العملية الإبلاغية مع أفراد مجتمعه ممّا يسمح بالتّعايش الاجتماعي ضمن هذه المؤسسة الإنسانية التي تتمتّع بكل المقومات الثّقافية والحضارية. «فاللُّغة عماد الاتصال والتَّواصل بين النّاس، أي أن لها وظيفة اجتماعية»[4].

---

1 -Ferdinand De Saussure, Cours de Linguistique Générale, Edition Talantikit, 2002, p 14.

2- ينظر: أندريه مارتيني، مبادئ في اللّسانيات العامّة، ترجمة: سعدي زبير، دار الأفاق، دط، دت، ص: 14.

3- نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، عالم المعرفة، ط: 03، 1979م، ص: 210.

4- شحدة فارغ وآخرون، مقدّمة في اللّغويات المعاصرة، وائل للطّباعة والنّشر، ط: 01، 2000م، ص: 292.

تظهر اللّغة إذن في سلوكنا الاجتماعي، ابتداءً من عبارات التّحايا والمجاملة حتى أحاديثنا المطولة سواء في البيت، أو الشّارع، أو مقر العمل. ولا نقصد بها أحيانًا نقل أفكار معينة أو التّأثير في سلوك السّامعين. إنّما لمجرد تمثيل عادات اجتماعية قصد تقوية الرّوابط الاجتماعية وهذه الوظيفة الاجتماعية تدعى كذلك بوظيفة الاتصال.

ب – الوظيفة الفكرية:

تعتبر اللّغة أساس كلّ نشاطٍ ثقافي، فاللّغة تعبّر عن المعاني والأفكار بدقّة وموضوعية. ومن الواضح أن المعلومات الّتي يتمّ نقلها من شخصٍ لآخر، لا تكون دائمًا معلومات عادية متعلقة بأمور الحياة اليومية، إذ يمكن أن تكون المعلومات رفيعة المستوى وغاية في الأهمية، كما قد تؤثر في حياة الملايين. وبهذا تؤثر على النّاس وليست مجرد أداة لنقل المعلومات إليهم[1].

تمكن البشر بفضل اللُّغة من تسجيل أفكارهم ونقلها فكانت نتيجة ذلك تلك الحضارة المتقدمة التي نشهدها اليوم في العالم، حيث أنّ عملية نقل الأفكار تعتبر من أهم وأعظم وظائف اللُّغة[2].

يرى مارتيني أنّ اللّغة تستعمل أيضًا لوظائف أخرى غير تلك الّتي يتمّ بها التّفاهم بين متكلّميها، فاللُّغة تستعمل في المقام الأول كعماد للفكر إلى الحدّ الّذي نتساءل فيه عن جدوى أيّ عمل ذهني يعزوه الإطار اللّساني، والواقع أنّ عالم النفس هو الجدير بالإجابة عن هذا السّؤال وليس عالم اللّسان[3].

ج – الوظيفة النّفسية:

يعبّر الإنسان عن مشاعره وأحاسيسه بفضل اللّغة، ولعلّ هذا السّلوك اللُّغوي هو أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، إذ أنّ له الطّاقة على التّعبير عن مشاعره بأسلوبٍ رمزيّ معيّن مثل البكاء والضّحك والسّرور والسّعادة كما يمكنه تبليغ أفكاره وإيصال معارفه، «اعتبر سابير الجملة

1- ينظر: نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، ص: 231.

2- نفسه، ص: 215.

3- أندريه مارتيني، مبادئ في اللّسانيات العامّة، ص: 14.

اللّغوية وحدة وظيفية أساسية في العمليّة التّبليغيّة أو الاتّصالية، وقد نظر إلى الكلمات على أنّها وحدات نفسية تختلف من لغة إلى أخرى»[1].

ومن جهة أخرى، فإنّ الإنسان غالبًا ما يستعمل اللّغة للتّعبير؛ أي أنّه يحلّل ما يختلج في صدره دون أن يكترث بوجود مستمعين، وإنّه لا يجد في تلك المناسبة وسيلة ليثبت وجوده اتجاه نفسه واتجاه الآخرين دونما حاجة حقيقيّة لتبليغ أيّ شيء. يمكننا أيضًا أن نتحدّث عن وظيفة جمالية للّغة يكون من الصّعب تحليلها لما لها من تداخل مع وظيفتي التّبليغ والتّعبير، وفي نهاية المطاف فإن التّبليغ أي التّفاهم المتبادل هو الجدير بالاعتبار كوظيفة مركزية لهذه الوسيلة[2]

أثبتت اللّسانيات أن اللّغة ليست بالفعل الغريزي ولا هي بالمحصول الوراثي، فالطّفل مثلا إذا عزل عن البيئة النّاطقة نشأ أبكمًا، أما إذا أخذناه من بيئته وأودعناه إلى بيئة لخرى تتكلم لغة مغايرة للغة والديه يصبح إذا يتحدث بلغة القوم الّذين احتضنوه، كما أن اللُّغة ليست بالرّابطة الجنسية ولا العرقية، وإنما هي رابطة ثقافية تؤكّد روابط انتماء حضاري وهكذا تترفّع منزلتها إلى البعد الإنساني.

يذكر علي عبد الواحد وافي أن كلّ هذه الأمور والحقائق المتعلّقة باللّغة وعاها العارفون من النّاس واهتم بها أولو الفكر والوعي، ومن ثم أجهدوا أنفسهم منذ أزمان قديمة وحاولوا النّظر والتّأمل في هذا السرّ العجيب المعروف باللُّغة، وعكفوا على دراستها والبحث في طبيعتها وحقيقتها. والبحث في موضوع اللُّغة عمومًا هو بحث في الإنسان نفسه[3]

فاللّساني مثلا يهتم بعلاقة اللُّغة بالحياة الاجتماعية، ويعتبر هذه اللّغة نظامًا أي جملة من القواعد الَّتي يخضع لها المجتمع بكلّ أفراده فكلّ فرد يجد هذه اللّغة قائمة أمامه كالقانون الجماعي الصّارم والّذي يتوجب إتّباعه واحترامه.

1- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيات الحديث، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنشر، ط: 1، 1988م، ص: 67-77.

2- أندريه مارتيني، مبادئ في اللّسانيات العامّة، ص: 14-15.

3- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص: 28-34.

2-خصائص اللُّغة:

تحمل اللُّغات خصائص مشتركة رغم تعدّدها وتنوّعها ولعلّ أبرز هذه الخصائص هي أن كل اللّغات عبارة عن أصوات تصدرها أعضاء النّطق الإنسانية. هذه الأصوات يجب أن توضع في شكل تتابعي، ومحدد، ومعين، مكونة كلمات أو مجموعة من الكلمات. وهذه الأخيرة يجب أن تكون موضع اتفاق أعضاء المجموعة اللُّغوية بما أنّها قيم رمزية تستحضر في ذهنهم أفكارًا معيّنة[1].

يؤكد "تمام حسّان" هذا الرّأي ويجعله أكثر وضوحًا وموضوعيّة إذ يقول؛ أنّ جسم الإنسان جهاز حيوي واحد ذو وظيفة معيّنة، مركّب من أجهزة فرعية كالجهاز (الهضمي، والعصبي، والإفرازي، والدّوري، والتّنفسي، وغير ذلك)، وهذه الأجهزة كلّها تقوم بوظائف. كما أنّها أجهزة متناقصة الوظائف في نطاق الجهاز الحيوي الأكبر ولصالحه. ويضيف أنّ اللّغة شبيهة بالجسم بما أنّها جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية. والخلاف الوحيد بين هذا الجهاز الأكبر وذلك أن الجسم جهاز حيوي وأنّ اللُّغة جهاز رمزي عرفي. أمّا وظيفة الجسم الإنساني فهي تحقيق الوجود البيولوجي للفرد كما أن وظيفة اللُّغة هي تحقيق الوجود الاجتماعي للفرد نفسه[2].

اللّغة إذن عبارة عن أصوات تحمل رموزًا يفهم منها متلقّي الرّسالة مغزى هذه الرّسالة المراد إبلاغها، ولكلّ لغة قواعدها، وقوانينها الخاصّة بها، وللّغة أسس صوتيّة، ونحويّة، ودلاليّة مشتركة بين جميع لغات العالم، فجميع هذه اللّغات تتألّف من مفردات للدّلالة على الأشياء وأخرى للدّلالة على المشاعر بالإضافة إلى الصّفات والأفعال.

تلازمنا اللّغة منذ ولادتنا، فكلّ إنسان يكتسب لغة قومه من غير عناء كثير، يستخدم الإنسان اللّغة في حياته اليومية بيسر وسهولة. ولهذا السّبب قلّما يفكّر فيها أو يلتفت إلى أهميتها ومقدار تعقيدها، يرى "نايف خرما" أنّنا استخدمنا اللّغة في جميع أوجه حياتنا للتّعبير عن مشاعرنا، وأحاسيسنا لقضاء حاجاتنا، استخدمها لنقل الخبر أو الاستعلام عن أمر. للنّفي وللزّجر، نستخدمها

1- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص: 40-41.

2- ينظر: تمام حسان، اللُّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثّقافة، دط، دت، ص: 33-34.

في المراسم الاجتماعيّة والشّعائر الدّينية ونستخدمها لتقوم مقام الحدث أو الفعل، نستخدمها للتّشجيع وتستخدمها للإقناع: للإعلان والدّعاية والتّأثير في النّاس، في الأغاني والتّرانيم، والشّعر والخطابة، في تنظيم علاقاتنا السّياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونستخدمها للتّعبير عن تراثنا الشّعبي بأشكاله المختلفة كما نستخدمها في محاولة إصلاح المجتمع أو إفساده[1].

ويظهر ممّا سبق ذكره أنّ اللّغة تتميز بالعموميّة، إذ يشترك أفراد المجتمع في إتباع قواعد اللُّغة ويستعملونها كأداة للتّعبير عن أفكارهم، ووسيلة للتّفاهم فيم بينهم[2]، أصبح الفرد كذلك غير مقيد بلغته الأم فقط، بل امتدّ ذلك إلى اللّغات الأخرى، كلغة ثانية أو ثالثة يتداولها، خصوصًا وأنّ هذا العصر هو عصر الثّورة الاتّصالية والّتي قرّبت المسافات بين بلدان العالم إلى أقصى الحدود. فهذا العصر لا يسمح بالعزلة. إذ أن الفرد الّذي يحسن لغته الأم فقط، لا يسعه التّعبير عن رأيه في مواقف معينة تقتضي استعمال لغة ثانية، كما قد يتعسّر عليه النّهل من كتاب مهم أو معلومات قيمة.

اللّغة إذن شديدة التّداخل، وتبادل التّأثير مع غيرها من النّظم الاجتماعية. كما تتميز بالتّلقائية، حيث تبرز اللّغة تلقائيًّا بفضل تفاعل الأفراد بعضهم مع بعض، فهي ليست من صنع فئة معينة في المجتمع، وتختلف اللّغات من مجتمع لآخر، من حيث النّوع والقوة ونسبة الانتشار، فلكلّ لغة طابعها الخاص[3]، ويقول ميشال زكريا: «إنّ اللّغة مادة حية وظاهرة اجتماعية تخضع كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الإنساني، لعوامل الزّمان والتّطور»[4].

يرى علي عبد الواحد وافي أن اللّغة هي الأساس في تشكيل أنماط سلوك الإنسان وطرائق تفكيره، وطموحاته ومثله ونظرته إلى الآخرين وجوه العقلي والثّقافي[5]. لقد أدرك الدّارسون أنّ اللُّغة

1- ينظر: نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، ص: 72-73.

2- ينظر: أحمد بنعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزيع، ط: 02، 1998م، ص: 44.

3- نفسه، ص: 44-45.

4- ميشال زكرياء، الألسنة (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، للمؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط: 2، ص: 1983، ص: 145.

5- علي عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، ص: 22.

تعتبر من مقومات الحياة الأساسية، ولم تعد دراستها مقصورة على رجال اللُّغة فقط، بل امتدّ الاهتمام بها إلى اختصاصيين في حقول علمية أخرى ذات صلة مباشرة بالإنسان وحاجاته في الحياة، فاهتم بها علماء الاجتماع، والأنتروبولوجيا، وعلماء النّفس والتّربية والمختصون بوسائل الاتصال ورجال الإعلام والدّعاية والتّثقيف الخاص والعام والمهتمون بتعليم اللّغات الأجنبية، ويرجع اهتمام هؤلاء العلماء من مختلف التّخصصات بهذه الملكة الإنسانية الفريدة إلى إحساسهم بحاجة النّاس إليها والبحث عن أسرارها وتحقيق التّقدم نحو عالم أفضل[1].

تتميز اللُّغة بأنّها دائمة التّغيير مع التّحولات الّتي تعتري البناء الاجتماعي ككلّ، فاللُّغات تقوى وتضعف، تزدهر وتموت وذلك تبعًا لظروف الحياة الاجتماعية وتطورها[2]، يستعمل الإنسان وسائل عديدة من أجل التّواصل مع بني جنسه وحتى مع مخلوقات أخرى. يستطيع مثلا أن يعبر عن سروره بالابتسام وعن غضبه بالعبوس وعن انفعاله بالصّفير. كما يستعمل بالإضافة إلى ذلك الإشارات للتّعبير عن أغراض أخرى، لكن تظل اللّغة وسيلة أبلغ في إيصال المقصود، وكما يستطيع الإنسان وبسهولة وعفوية فائقة، أن يتحكّم في النّفس المنبعث من رئتيه فينظمه أصوات منسقة تصبح ذات معان ومدلولات.

من هذا المنطلق نقول: «إنّ اللّغة أداة تعبيرٍ وتفاهم بين أفراد الجماعة اللُّغوية الواحدة، واللُّغة أحسن ما أوتي الإنسان للتّواصل مع غيره»[3].

إنّ استعمال اللّغة قاسم مشترك بين بني البشر العاديين على اختلاف أصولهم وتفاوت مستويات معيشتهم ونشأتهم في البداوة أو الحضارة. وفي عالم المثقفين يستعملها الأديب للتّعبير عن شعوره وعواطفه في صور منسقة جميلة، كما يستعملها الفيلسوف لتجسيد أفكاره وتصوراته، في حين يستعملها العالم لوصف ملاحظاته في الطّبيعة وتدوين استنتاجاته، فلا أحد منهم يستغنى عن اللُّغة. ويلجأ إلى دراسة اللغُّة ضمن مستويات محدّدة. فهناك الفونيتيك (الصّوتيات) والفونولوجيا

1- علي عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، ص: 27.

2- أحمد بنعمان، التّعريب بين المبتدأ والتطبيق، ص: 46.

3- ابن رشد، المعتمد وخريص محمد، مدارس علم اللُّغات، المكتبة الثقافية، مكتبة المعرفة، دط، 1993م، ص: 15.

(النّطقيات) لدراسة الأصوات، والصّرف والتّركيب لدراسة بناء الكلمات وانتظامها في وحدات، والدلّالة لدراسة المعاني. هذا بالإضافة إلى الأبعاد النّفسية والاجتماعية والأسلوبية للُّغة[1].

3-خصائص اللهجة:

تتميز اللّهجة بمجموعة من الصّفات تكاد ترتكز في الأصوات وطبيعتها وطريقة صدورها، فالفرق بين لهجةٍ وأخرى يتجلّى في بعض الاختلاف الصّوتي، «فيروى لنا مثلًا أن قبيلة تميم كانوا يقولون في "قُرْتُ": "قُزْدُ"، كما كانوا ينطقون بالهمزة عينًا. كما يروى أن "الأجلح" وهو الأصلع ينطق بها "الأجله" عند بني سعد، ويجب أن تشترك لهجات اللّغة الواحدة في أغلبية الكلمات ومدلولاتها والقواعد الّتي تخضع لها بنية الكلمات، وتركيب الجمل، وإذا اختلفت معاني جلّ كلماتها واتّبعت قواعد خاصّة في بنية كلماتها وتركيب جملها؛ أي أنها تختصّ بصفاتها تبعد إذن وتستقلّ وتصبح قائمة بذاتها؛ لأنه متى كثرت هذه الصّفات الخاصة باللّهجة بعدت باللّهجة عن أخواتها، فلا تلبث أن تستقل وتصبح قائمة بذاتها»[2].

إن العناصر الّتي تحتفظ بها لغات الفصيلة الواحدة هي تلك العناصر الّتي لا يصيبها إلا قليل من التّغير رغم مرور الزّمن عليها ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة. وتلك العناصر القديمة تكاد تنحصر في الأمور التالية:

1. الضّمائر.
2. الأعداد.
3. أسماء الإشارة والموصول.
4. الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدّلالات القديمة كالأرض والسّماء وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن.
5. أدوات الرّبط بين أجزاء الجملة.

1- ابن رشد، المعتمد وخريص محمد، مدارس علم اللُّغات، ص: 16-17.

2- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 17.

6. الاشتراك العام في كيفية تركيب الجمل[1].

يذكر "إبراهيم أنيس" أهمّ الصّفات الّتي تميز اللّهجات والّتي نلحظ بعضها وكلها بين لهجات اللّغة الواحدة، كما أنّه ليس من الضّروري أن تجد كلّ هذه الفروق ممثّلة في لهجات لغة من اللّغات، بل قد نشهد بعضها فقط، ويلخّصها في النّقاط الآتية:

1) تختلف مخارج بعض الأصوات اللُّغوية.

2) يختلف وضع أعضاء النُّطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف أو تفخيمه.

3) تختلف مقاييس بعض أصوات اللّين، وهو اصطلاح علمي حديث يُطلق على ما يسمى بالحركات طويلها وقصيرها.

4) تتباين النّغمات الموسيقية للكلام من لهجة لأخرى.

5) تختلف قوانين التّفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثّر بعضها ببعض.

واللّهجات تتباعد أو تتقارب بعضها من بعض، على قدر اشتمالها على الصّفات المذكورة أعلاه، وعلى قدر شيوع تلك الصّفات فيها. إذ يمكن أن تشتمل اللّغة الواحدة على لهجات متقاربة، لا يفرّق بينهما سوى صنفين أو ثلاث من تلك الصّفات. ومن جهة أخرى تتباعد لهجات بعض اللّغات حتى لا تكاد تظهر للسّامعين، ولا يكاد يفهمها كل الأفراد في شعب من الشّعوب[2].

يقول أنيس فريحة: «لقد أثبت لنا علم اللّغة أن لكلّ إنسان لهجته الخاصة، وأن هناك لهجات في اللّغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللُّغة وهذه أول مفاجأة يفاجئنا بها علماء اللُّغة. يقولون لنا أن المجتمع الَّذي يتكلم أفراده لغة واحدة لا وجود له»[3].

ومن الصّعب أن نحدّد الفرق بين لهجات اللُّغة الواحدة. وهذا راجع إلى أن عملية النُّطق ليست سوى نشاطًا عضليًّا يتباين أداؤه بتباين أفراد البيئة اللُّغوية الواحدة، وقد برهن علماء الأصوات بفضل تجاربهم الدَّقيقة أنّه لا يوجد شخصان ينطقان نطقًا مماثلا في نفس البيئة. كما أن نفس الفرد

1- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 18-19.

2- نفسه، ص: 19.

3- أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 86.

يختلف نطقه في كل مرّة يتكلّم فيها، وذلك راجع إلى أن عضلات النّطق لا تؤدّي عملها بنفس الشّكل في كل مرة[1].

ويرى بعض العلماء أنّ الفارق الموجود بين الطّبقات الاجتماعية، والّذي يبرز في الثّقافة والتّربية، وطريقة التّفكير، ومستوى المعيشة، بالإضافة إلى العادات والتّقاليد. أسباب تترك أثرا كبيرا في لهجات هذه الطّبقات الاجتماعية المتفاوتة والّتي تظهر في طرق التّعبير، واستعمال بعض المفردات وغيرها من الظّواهر اللغويّة المختلفة، واللّهجات الاجتماعيّة تتميز تميّزًا واضحًا في المدن الكبرى، والّتي تشهد تكاثفًا وازدحاما للسكان ومركزا اقتصاديا مهما يشجع وينشط تعتد المهن والحرف[2].

وبما أن اللّهجة ترتبط بالطّبقات الاجتماعية فهي عرضة لآراء مختلفة. هناك من يعتبرها تنوعًا لغويًّا راقيًا؛ لأنّ تراكيبها صحيحة، جميلة وتوصل المعنى. من جهةٍ أخرى يعتبرها البعض محدودة وخاطئة، لكن الدّراسة العلميّة للّغة أثبتت أنّ كلّ اللّغات واللّهجات، على المعيار نفسه من الصّحة كأنظمة لغوية.

كل التّنوعات اللُّغوية تعتبر بنى معقّدة، وهي أنظمة ذات سيادة تلائم احتياجات متكلّميها، أمّا تلك الأحكام الّتي تخصّ صحّة تراكيبها فهي أحكام اجتماعية لا لسانية[3].

يرى "عبده الراجحي" أنّ التّقرير بأفضليّة لغة من اللّغات تقرير مرفوض في الدّرس اللّغوي الحديث، ويستدلّ في ذلك على حديث فندريس عن لغات البدائيين بأنّهم يتكلمون أحيانًا لغات على درجة من التّعقيد لا تقلّ كما في أكثر لغاتنا تعقيدًا، ولكن منهم من يتكلّم لغات على درجة من البساطة تحسدهم عليها أكثر لغاتنا بساطة. كما يستدل كذلك بما ذكره سابير في هذا السّياق، على أنّه لا معنى لأن يقول إنّ هناك لغة مهما تكن أكثر فصاحة أو أكثر ارتباطًا من لغة أخرى[4].

1- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 19-20.

2- ينظر: رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي، دار الرّفاعي، ط: 01، 1982م، ص: 169.

3- Peter Trudgil, Sociolinguistique, An Introduction to language and Society, Penguin books, 3 th, 1995, p 08.

4- عبد الراجحي، فقه اللُّغة في الكتب العربية، دار النّهضة العربيّة، دط، 1972م، ص: 103.

فاللّغات كلّها تخضع لنظام معيّن، إذا ما لاحظنا تركيبها الفونولوجي، ونظامها، وارتقاء أساليبها، وسهولة التّعبير بها وارتفاع دلالاتها من أجل دوافع لغوية عامّة. يقول أنيس فريحة: «ليس هنالك من لغة لها عبقرية تفوق اللّغات الأخرى، وليس هناك من عرق صاف خلق لغة خاصّة تعكس عقليّته، وكل ادّعاء بأنّ هذه اللّغة أو تلك أحسن اللّغات وأفصح اللّغات وأغنى اللّغات وأشرف اللّغات هو من باب المباهاة، اللّغة شيء والحضارة شيء آخر، واللّغة شيء والعرق شيء آخر ويجب أن لا نخلط بينهما»[1].

1- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص: 51.

المبحث الثّالث: العلاقة بين اللُّغة واللّهجة

تعتبر اللّهجات مستويات محليّة للكلام تبعد إلى درجة كبيرة أو صغيرة عن المستوى المعياري، لكنّ يمكن التّعرّف عليها أحيانًا بالرّجوع إلى الأصول التّاريخية باعتبارها تكون معه كلاً موحّدًا، أمّا اللّغة المعيارية فهي ذلك المستوى الكلامي الّذي حظي بصفة رسمية، والّذي يتميز بالرّقي، وغالبًا ما تكون اللُّغة المعيارية في أول الأمر لهجة محلية تنال شيئا من التَّمجيد أو التَّقدير ثم يعترف بها كلغة رسمية لبعض الأسباب كأن تكون لهجة منطقة من البلد اتخذت مقرًّا للحكم (مثل الفرنسية الباريسية)، أو لهجة مجموعة من النّاس أصبح لديهم سيطرة عسكرية (مثل القشتالية الإسبانية) أو لهجة منطقة لها زعامة أدبية (مثل التُّوسكانية في إيطاليا)[1].

ويرى غاليسون و كوسط (R.Galisson/ D.Coste) أنّه لا يمكننا اعتبار اللّهجة شكلًا لغويًّا منحطًّا من لغة. فهذه اللُّغة تعتبر شكلًا مختلفًا من بين أشكال لغوية أخرى منحدرة من أصل واحد جعلتها الظُّروف التّاريخية أو السّوسيوثقافية تتمتع بمرتبة اللّغة المهيمنة فالبيكار (Picard) والنورماند (Normand) هما لهجتان، بالإضافة إلى تكلّم (l'ile de france) ولو كانت الظّروف التّاريخية غير تلك لكان من الممكن أن تكون لغات وطنيّة[2].

أدرك اللّسانيون إذن بعد تعمّقهم في دراسة اللّهجات أنّه وفي بعض مراحل التّاريخ يمكن للهجة ما أن ترتقي وتحرز تأثيرًا مهما على باقي اللّهجات وتصبح لغة رسميّة، كما أثبتت الدّراسات أنّه ليس من الضّروري أن تكون اللّهجات انحطاطًا من لغةٍ فصحى، فقد تكون أقدم منها في الزّمن، ويمكن أن تمثل تطوّرًا وتقدّمًا لا انحطاطًا.

ويتعجب أحمد علم الدّين الجندي على أن توصم اللّهجة بالفساد وذلك لأنّها تطوّرت، وهو يرى أن الفساد هو أن تتجمّد في مكانها وتتكتّل، بل وتتحجّر أساليبها ومعانيها، ويتساءل إن لم تكن عامّيتنا من صنع مجتمع عربي أصيل. إذ أنّ ظواهر العاميّة ليست بنت اليوم أو الأمس ويقول:

1- ماريوباي، أسس علم اللُّغة، ص: 138.

2-R.Galisson/D.Coste, Dictionnaire de Didactique des langue, librairie, Hachette, 1976, p 148-149.

«أنّها قديمة قِدَم التّاريخ، موصلة النّسب بفصحانا، قوية الوشائج بلغة القرآن وأدب العرب، وإذا كان التّطوّر قد أصاب هذه اللّهجات فلقد أصاب الفصحى هذا التّطور وذلك التّصرّف»[1].

يذكر "أنيس فريحة" أنه لا فارق جوهري بين لهجةٍ ولغة، فالفارق يعود إلى أن لهجة ما ولسبب خارجي أو لظروف خاصة تعتبر لغة قومية رسمية، بينما لهجة أخرى ربما أفضل منها لا يعترف بها[2]، إنّ الفرق بين اللّغة واللّهجة يعكس التّنظيم الاجتماعي، أي ما تقتضيه الضّرورة الاجتماعية من تفاوت في مستوى الاستعمال للّغة واللّهجة؛ أي تبعًا لحاجة النّاطقين أنفسهم، لاستخدام اللُّغة في المواقف الرّاقية والرّسمية واللّهجة في مواقف الحياة العادية.

فللّغة العربيّة الفصحى مثلا نظامها الخاص، والّذي حدّد لها هذا النّظام وقرّره هو عرف الاستعمال الّذي جاء به تراثنا واستعمالها في المواقف الرّسمية. وللهجات أيضا عُرفها اللّغوي والفرد يستعمل لغة مجتمعه الّذي ينشأ فيه ويتطابق معها تلقائيًّا دون تفكير في ذلك كأنواع سلوكاته الأخرى.

يؤكد اللّسانيون والواقع العلمي أنّ اللّهجة سلوك لغويّ لا يختلف عن اللّغة الرسميّة في أن له نظامٌ صوتيّ وصرفيّ ونحويّ ودلالي، فاللّهجة تتمتّع بأساليبها الرّفيعة وبكلماتها وعباراتها الّتي تؤدّي وظيفتها بأوضح شكلٍ ممكنٍ.

إنّ إصدار حكم توصف فيه لغة ما بأنّها تحتلّ مرتبةً عظيمة على حساب غيرها اللّغات، ليس حكمًا ذا قيمةٍ إذا أخذنا في الاعتبار عوامل مثل عدد السّكان ومنطقتهم السّكانيّة وإنتاجيتهم. وليس حكما ذا قيمة أن تدّعي أنّ لغة ما تفوق غيرها ثقافيًّا إذا كانت ثمرات الثّقافة تتحقّق في شكل نتاج عقليّ وأدبيّ وعلمي. وليس حكمًا ذا قيمة أن تدّعى أن شكلًا من أشكال اللّغة تستعمله مثلا الطّبقة المثقفة أفضل من شكلٍ آخر يتّصف بالمحلية، ويستعمل بين طائفة من الأشخاص العاديين ذوي مستوى محدود أو الأميين.[3]

1- أحمد علم الدّين الجندي، اللّهجات العربيّة في التّراث، الدّار العربيّة للكتاب، دط، 1978، ص: 132.
2- أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 79.
3- ماريو باي، أسس علم اللُّغة، ص: 78.

أما العلاقة بين اللُّغة واللَّهجة فهي العلاقة بين العام والخاص، فاللُّغة تشمل عادةً على عدّة لهجات لكلٍّ منها ما يميزها، وجميع هذه اللّهجات تشترك في عددٍ من الصّفات اللّغوية، والعادات الكلامية الّتي تؤلف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات[1]، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد تلك البيئة. وهذه البيئة هي جزءٌ أو قسمٌ من بيئة أعمّ وأشمل.

يذكر بعض اللّسانين أنّ التّمييز بين اللّهجة واللّغة يرتكز في الاستعمال اليومي غالبًا على اعتبارات سياسية أو ثقافية، كما أنّ معيار سهولة الفهم المتبادلة يكفي لتعيين معالم حدودٍ محايدة ما بين اللّغات واللّهجات، إلّا أنّه في هذا المعيار تظهر مشاكل تتعلّق بالتّغيّرات التّدريجية المستمرة في اللّهجة، والتي قد تظهر في مناطق جغرافية واسعة، فقد لا يستطيع متكلمان ينتمي كلٌّ منهما إلى منطقة جغرافيّة مختلفة أن يفهما بعضهما بعضًا، كما أنّنا نواجه مشكلةً أخرى أكثر تعقيدًا وهي أنّ سهولة الفهم ليست دائمًا أمرًا فيه "الفهم الكلّي" أو انعدامه تمامًا، فمن الممكن جدًّا أن يفهم "س" من النّاس ما يقوله "ض" من النّاس وألّا يفهم "ص" إلا القليل أو لا شيء مما يقوله "س" عندما يتكلّم كل منهم بلهجته الخاصة[2].

تختلف اللّهجات من منطقةٍ إلى أخرى في البلد الواحد نفسه، وتتجلى هذه الاختلافات في طريقة نطق الكلمات واستعمال بعض المفردات، وتجدر الإشارة إلى أنّ استعمال لهجةٍ ما بإمكانه أن يعبّر عن الهويّة أو الانتماء العرقيّ لفئةٍ ما.

ثم إنّ البحث في لهجةٍ ما من اللّهجات العاميّة، لا يعدّ دعوة إليها أو دفعًا إلى استعمالها، أو حتى إغراء بإحياء ما اندثر منها، إنّما يُعدُّ بحثًا قائمًا بذاته الغاية منه إدراك المعرفتين معا، المجردة والهادفة، كما لا يجوز الاقتصار خلال عملية البحث، في الاهتمام باللُّغة على الفصحى أو اللّهجات، فكلا المستويين جدير بالبحث والتّقصّي، حيث لا ينبغي إهمال أي زاوية من زوايا البحث تجنبًا

1- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 16.

2- شحدة فارغ وآخرون، مقدّمة اللّغويات المعاصرة، ص: 296.

للخلط بين المستويين في الدّراسة والاستعمال معًا، فلعلّ المعارضين لدراسة اللّهجات إشفاقًا على الفصحى التبس عليهم الأمر في التّفريق بين الدّراسة والاستعمال الفعلي للّغة.

يقول سابير: «من رأي علماء اللّغة أنّ كلّ اللّغات واللّهجات، من النّاحية التّاريخية بمنزلةٍ واحدةٍ، ممّا يدلّ على أن لكلّ لغةٍ أو لهجةٍ ما قيمتها، ويفهم منه أنّه من واجب الباحث إلزام نفسه ترك تفضيل لغةٍ على أخرى، أو فصحى على لهجة[1]، فلكلّ من اللّهجات واللّغة نظام من الرّموز يؤدّي وظيفة محدّدة، واللّهجات شكلٌ لغوي فعلي لا سبيل لإنكاره ولا حتى التّقليل من أهميته.

إنّ ما بين العامية والفصحى إذن، ستار من الواجب جَلْو غشاوته عن العيون، فليس من خير الفصحى أن ينشأ بينها وبين العاميّة ما يشبه العزلة، ففي حال تتبعنا لغة الحديث والخطاب لمعرفة نسبتها من العربية وجدنا الفرق ضئيل جدًّا، نظرًا للحكم المبالغ فيه عن بعد الألفاظ العاميّة عن العربيّة.

فإنّ اهتممنا بإعادة الاعتبار لكلّ المفردات العلمية، وعملنا على تصحيح ما أمكن منها، لتوصّلنا إلى كونها نفس العربية تعدّدت صورها في الأمصار والأقاليم بكل ما حملته من لحن، ورطانات وتحريف، من جرّاء نقص أحوال الإعراب، أو تغيير حروف بعض الكلم في الحركة أو السكون وفي التّخفيف أو التّشديد وفي الحذف أو الزيادة، وفي القلب أو الإبدال...

ففي الولايات المتّحدة الأمريكيّة مثلا يستعمل السّود (الزّنوج) لهجة تدعى (Black English Vernacular BEV) قصد تعبير عن انتمائهم العرقي وإبراز نوع من الخصوصية، وهي تختلف في جميع المستويات اللُّغوية عن اللُّغة الإنجليزية المتداولة نذكر على سبيل المثال أنهم ينزعون (S) من الفعل المضارع اللازم عندما يستعملونه مع الضّمير هو (he) أو هي (she)، وهم بذلك يخالفون القاعدة الّتي تستوجب وضع (S) آخر الفعل المضارع اللازم (Regular) عند استعماله مع الضّميرين هو وهي.

1- نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللُّغوية المعاصرة، ص: 92.

فالعلاقة بين اللّغة واللّهجة تعدّ علاقة الخاص بالعام، ذلك أنّ اللّهجة تمثّل مجموعة من الصّفات اللُّغوية المنتمية لبيئة خاصة، تكون من بيئةٍ أوسع وأشمل تحوي في طياتها عدة لهجات، ولكلّ منها خصائصها غير أنّها تشترك في جملة من الظّواهر اللُّغوية الّتي تسهل عملية الاتصال بين أفراد البيئة بعضهم ببعض، لاستيعاب ما يجري بينهم من حديث، فعادةً ما تشمل اللّغة على عدد من اللّهجات متفرق مختلف، يقول دي سوسور: «ولكل لغة لهجاتها، وليس لواحدة منها السّيادة على الأخريات»[1]، فاللُّغة مجموعة من المقاطع الصّوتية، يعبر بها القوم عن أغراضهم في الحياة، وما يشدّ من أصوات عن تلك المجموعة يعَدُّ لهجة.

1- محمد عيد، المستوى اللُّغوي للفصحى واللّهجات، ص: 89.

المبحث الرّابع: اللّهجة بين الماضي والحاضر

بخلاف علماء العرب القدامى، لم ينظر الباحثون الغربيون، قبل أواخر القرن التّاسع عشر إلى دراسة اللّهجات المتفرعة عن لغاتهم، بل حاولوا أن ينشروا بين النّاس الاتجاه إلى الفصحى، ونبذ العاميات ففي الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضاري والأدبي، وبحفاظهم على الفصحى من لغاتهم يستطيعون الحفاظ على وحدتهم الثّقافية والقومية[1].

ويبدو أن اتّساع استخدام معنى الفصاحة، هو الّذي دفعهم إلى ذلك، فتباين مفهومها من غرضٍ إلى غرضٍ، ومن عالمٍ يشتغل في حقلٍ مختصٍّ إلى عالمٍ مهتم بحقلٍ آخر، إذ مفهومها في وجهة نظر البات أو المستعمل هي ليست ذاتها فيوجه نظر المستمع أو المتقبل للرّسالة[2].

وعلى هذا الأساس مضى الباحثون ومعهم الحكام، إلى ابتكار الطّرق والوسائل الّتي تؤدي إلى منع انتشار العاميات، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام 1794م إلى الأب جريجوار بأن يضع تقريرًا يوضح فيه الوسائل المساعدة للقضاء على اللّهجات الشّعبية ومنع انتشارها ونشر الفصحى[3]، وقد ساعدت عدّة عوامل على نشر هذا الاعتقاد في تلك الحقبة من التّاريخ، فتوجّه العلماء إلى البحث في الفصحى، مردّه إلى سهولة البحث فيها؛ لأن الفصحى معبدة الطّرق واضحة المسار مستقرّة النّظم، ممتدّة عبر التّاريخ بسمات يمكن تحديدها والنّظر في أمرها، على العكس من اللّهجات الشّعبيّة الّتي يحتاج تحديد مسارها ونظمها إلى دراسة دائبة تكاد تنطلق من العدم، وجهود جبارة يتجشمها الباحث فيها، ويحتاج معها إلى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها

كما أن الباحثين وقت ذاك، كانوا يحبون الهدوء، ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك، لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعي الأسفار ولا مشقات الانتقال، خلافًا للهجات الّتي تحتاج إلى بحثٍ

1- عبد الغفار حامد هلال، علم اللّغة بين القديم والحديث، ص: 97-98.

2- عبد الجليل مرتاض، دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة، رسالة دكتوراه في اللّسانيات غير منشورة، جامعة تلمسان، معهد اللُّغة والأدب العربي، 1414هـ-1994م، ص: 92.

3-عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، دار الثّقافة والنّشر والتّوزيع، دط، دت، ص: 98.

دائمٍ، ونقصٍ متواصل لتتبّع خصائصها والتّعرف على ظواهرها[1]. غير أنها؛ أي اللّهجات فرضت نفسها عليهم، إن طوعًا أو إن كرهًا إلى دراستها، وتتبّع مناحيها؛ لأنّ التطوّر سنّة الحياة، وكما يقول المثل: "الّذي لا يتغير يموت" والتّغير والتّبدل من سنن الكون المقرّرة، واللّغات خاضعة فيما تخضع لهذه السّنة، إذًا هي عرضة لذلك على مرور الزّمن واختلاف الأحوال، وسبحان من لايتغير[2]. لذا وعلى الرّغم من كلّ المحاولات، وجدنا سيل هذه اللّهجات يتدفّق في كل مكان ورأينا انشعاب اللّغات الفصحى إلى عديدٍ من اللّهجات الشّعبيّة، تبعًا لسنة الطّبيعية، وعوامل الاجتماع، في الدّاخل والخارج، فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها، فاضطروا إلى التّسليم بالأمر الواقع، والاتجاه إلى تلك اللّهجات الناشئة، حتى يعرفوا خطّ سيرها، فبدأوا في أواخر القرن التّاسع عشر، وأوائل القرن العشرين في الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها.

وقد استعانت هذه الدّراسات بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللّغات، وما يعرض لها من انقسام إلى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه، فحياة اللّغات مرهون باستعمالها على ألسنة أهلها، وقد تموت لانقراضها من الاستعمال، أو تغيّرها، واضمحلالها وليس معنى موت اللُّغة أن يُقضى عليها نهائيًّا بحيث لا يبقى لها أثر؛ لأنّها عندما تموت، تكون قد تركت آثارًا في خليفاتها، فاللُّغة اللّاتينية لم تمت في الحقيقة من النّاحية التّاريخية، بل أصابتها تغيرات عميقة أنتجت أشكالاً حديثة لها، كالبرتغالية، والقشتالية والفرنسية، والإيطالية، وقد أدّى هذا التّطور إلى إدراك بعض الفروق الّتي توحي لنا بأنها لغات مختلفة[3].

غير أنّ الأمر يختلف في بعض اللّغات فالنّاظر في أمر اللّهجات العربية، سواء القديمة أم الحديثة منها، في مختلف البلاد العربية، يدرك ويجد أنّها اللّغة العربية الواحدة، من الجزيرة العربية، مع ما طرأ عليها من تحريف لألفاظها وأصواتها، نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الشّعوب الأعجمية، ونتيجة لتحريف عامّة النّاس وخروجهم عن أعراف اللّغة وقوانينها وأنظمتها.

1- عبد الواحد وافي، علم اللّغة، مطبعة نهضة مصر، دط، 1382هـ-1962م، ص: 49.

2- معجم متن اللغة، أحمد رضا وآخرون، ج: 01، ص: 25. (المقدّمة)

3- عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 99-100.

وإذا تأملنا مؤلفات الباحثين في اللُّغة واللَّهجات، نجد أنهم أطلقوا مجموعة من المترادفات على الهجة منها:[1]

- اللُّغة المحكية.
- الشّكل اللّغوي الدّارج.
- اللّهجة الشّائعة.
- الكلام الدّارج إلى غيرها من الاصطلاحات.

1- ينظر: رياض قاسم، اتّجاهات البحث اللُّغوي في العالم العربي، مؤسسة نوفل، لبنان، بيروت، ط: 01، 1982م، ص: 25-26.

المبحث الخامس: واقع اللُّغة العربية في الجزائر وعوامل شيوع العامية فيها

إن واقع العربيّة يشير إلى أنّها مشكلة كبيرة ذلك أنّ هذه اللّغة يراد لها أن تكون لغة العرب أينما كانوا، ثم أن تكون في مستويات ودرجات مختلفة، إنّ من العوائق الّتي تحول بيننا وبين إدراك شيء من هذا الهدف هو أنّ هذه العربيّة ما زلنا نجهلها، يجهلها ابن الشّارع كما يجهلها المتعلم المثقّف، وقد أكون مصيبًا لو قلت يجهلها ذوو الاختصاصات المختلفة، وقد أكون غير مفرط لو قلت أنّ مدرس اللّغة العربيّة وأساتذتها في محنة منها؛ ذلك أنّ طائفة كبيرة منهم لا تملك القدرة الوافية الكافية على الإعراب بفصيحة مليحة.

إنّ العربيّة الفصيحة في عصرنا الحديث مشكلة صعبة ذلك بأنّنا شاعرون أبدًا أن في لغتنا حاجة إلى أن تيسّر رسمًا وبناءً ونحوًا، لكي تصبح لغة يباشرها المعرّبون فيتصرّفون بها كلامًا وفكرًا وكتابة. «إنّنا معاشر العرب نجهل لغتنا ونجد في مباشرتها صعابًا كثيرة فلا يستطيع كثير من جمهرة المختصّين أن يملك من هذه العربيّة القدر الّذي يعينه على إيصال العلم والمعرفة إلى غيره بيسير»[1].

«تحتل اللُّغة العربية مكانة بارزة في المجتمع الجزائري لكونها اللُّغة الرّسمية للبلاد، ضف إلى ذلك فإنّها بحر زاخر لا يسير غوره ولا تحصى دُرره، لذلك اتخذت زادًا في تكوين الشّخصيّة الجزائريّة حتى تكون رمزًا للشّخصية العربيّة المتطوّرة القابلة للتكيّف مع جميع التيّارات الفكريّة والقادرة على صيانة وتأمين مستقبل اللّغة»[2].

إنّ التّعليم في الجزائر بصفةٍ عامّةٍ يعاني من مشاكل عديدة، وتعليم اللُّغة العربية خاصة وهذا ما يظهر جليًّا من خلال ضعف المتمدرسين في كل الأطوار التّعليمية ولكي نكون في مستوى الطّموحات الّتي نتوق تحقيقها، تبذل الجزائر وكغيرها من الدّول العربيّة جهودًا جبارة لتطوير تدريس اللّغة العربيّة الّتي تعزّز وجودها بتعريب المواد، وإصلاح النّظام التّعليمي وبداية تطبيقه في اللّغة العربيّة خاصة لجعلها مسايرة لما استجد في الحقل التّربوي.

1- رشدي لأحمد طعيمة ومحمود كامل النّافة، اللُّغة العربية والتّفاهم العالمي، دار الميسرة والتّوزيع، عمان، دط، دت، ص: 25.
2- حسام البهنساوى، العربية الفصحى ولهجاتها ، مكتبة الثّقافة الدّينية، دط، دت، ص: 9.

والواقع أننا نعيش الآن مرحلة تعرف فيها العلوم الإنسانية سيطرة المنهج العقلي على تصوراتنا ومناهج العمل في الميدان اللّساني، وأنّ التّربية لم تبتعد عن هذا التّأثير إذا ارتفعت أصوات عديدة تنادي بالبحث عن بؤرة المشاكل الّتي تلاحق اللّغة العربيّة وبالتّالي السّعي لأجل القضاء عليها وكلّ هذه الأصوات تنادي بالتّريّث وإتباع العقل في التّخطيط للعمليّة التّربويّة عن العفويّة والارتحال لإنجاح تدريس اللّغة العربيّة بالجزائر[1].

وأنّ الاهتمام بالمراحل الأولى من التّعليم قد يبعدنا عن بعض المشاكل المتعلّقة بالأستاذ نفسه، كمستواه الدّراسي وتكوينه الأكاديمي وأساسيات مهارات التّدريس عنده وشخصيته ومدى تذوقه للمادّة وطريقة توصيلها، أمّا أهم سبب في صعوبة تعليم اللّغة هو المنهج الدّراسي الّذي يتذبذب حسب ميول ومصالح منها سياسية أحيانًا وسوسيو اقتصادية أحيانًا أخرى والمؤسف في كلّ هذا أن تستبعد مصلحة المتعلم في جميع الحالات[2].

وأنّ أكثر الأمور تعقيدات إذا كان مصير هذا المتعلم الطّرد والإقصاء من التّعليم، فتزداد المشكلة تعقيدا مما يعانيه من نظرة المجتمع المتدنية، وعدم دمجه في مجالات عمل محترمة وربما الانقطاع التّام والشّامل عن مصادر العلم بكلّ أنواعها، تكون في البداية تعليم اللُّغة العربية في الجزائر كوسيلة لتوضيح المناقشة المعاصرة في السّياسة اللّغوية في نظام التّعليم، تم استكشاف القليل من الوقائع الجادّة في إطار محدود من التّعليم بالجزائر بعد الاستقلال بالأخصّ وبطريقة مبسّطة، وهذا يعود في الأصل إلى جذور الاستعمار مما يوحي بأنّ السّلطات الاستعماريّة شنّت حملة عدائية ضدّ اللّغة العربيّة.

1- د.جودة الرّكابي، طرق تدريس اللُّغة العربية، دار الفكر دمشق، ط2، دت، ص: 10.

2-عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة والتّجديد، دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النّحوية، ص: 232.

في«1973م صرّح وزير الإعلام والثّقافة أحمد طالب أنّ فرنسا قتلت الثّقافة الجزائرية الّتي تم عزلها عن شريان الحياة، وإبقائها خارج لحظة من التّاريخ، وهكذا انتقل النّظام التّعليمي والقطاعات العامة تدريجيا إلى اللُّغة العربية بدلا من الفرنسية»[1].

وبسبب الزّيادة السُّكانية الهائلة والجديدة والتّعليم باللُّغة العربية، ظهرت مجموعة واسعة من الشّباب العاطلين عن العمل، ظهر في الآن ذاته مجموعة من النّاطقين بالفرنسيّة عن غير قصد؛ لأن أغلب الأطر كانت قد نقلت تعليمها باللّغة الفرنسيّة، ونقلت اللّغة الفرنسيّة من الأجداد إلى الأبناء، ونتج جيل ناطق بالفرنسية دون قصد، ومع التقدّم الحضاري وتوسّع العمراني والانفتاح على الحضارات الأخرى، وتزايد عدد السكّان كلّ هذه المؤشّرات خلفت شباب الجزائري بطالًا وعاطلًا، والأكثر سواءً من ذلك منقطعا عن التّعليم في بلد يعيش قوة انفجار اجتماعي وسياسي غير معهود[2].

والمؤسسات التّعليمية بالجزائر عانت وقاست من تأثير فرنسا لها حيث حاولت فرنسا طمس الهوية العربيّة، خلال 123 سنة آثار هذا ما زالت واضحة في تداخل الفرنسيّة بالعربيّة، تقرير فرنسي مع دخولها الجزائر، أثبت أن نسبة المتعلمين أربعين بالمائة ممّن يمكنهم الكتابة والقراءة، أكثر من معدل الفرنسين أنفسهم، المدارس القرآنية كانت وراء دعم التّعليم، صار الأمر لنصف العدد، بعد تطبيق نظام التّدريس الفرنسي، لتتأخر العربية في مجال التّقنية وتبقى لغة للأدب[3].

لا يخفى على أحد أنّ المدرسة الجزائرية مرت بظروف عصبية، وخلال تلك الفترة الزمنية لم تحظ بنموذج تدريس هادف، ولم يكن اهتمام الباحثين والمؤطرين والمخططين والممارسين في الميدان التّربوي، ومع ذلك لا يرجع فقط التّخطيط لمناهج تدريس فعّال والسرّ أيضا لا يرجع فقط الدّعوة

1- جودة الرّكابي، طرق تدريس اللُّغة العربية، دار الفكر، دمشق، ط2،، دت ص: 20.

2- المجيد عيساني، النَّحو العربي بين الأصالة والتَّجديد، دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النَّحوية، ص: 233.

3- صالح بلعيد، اللُّغة الأم والواقع اللُّغوي في الجزائر، مجلة اللُّغة العربية، المجلس الأعلى للُّغة العربية، الجزائر، العدد: 9، 2003م، ص: 137.

الرَّائجة حول ضرورة تحديد أهداف التّربيّة، وإنما يعود الأمر كذلك إلى الطُّموح المعلن لتحقيق تنظيم عقلاني للفعل التَّربوي.

وجعل البيداغوجية قائمة على التَّخطيط الهادف لمسار التَّعليم، ويرى بعض الباحثين أن الاهتمام بصياغة أهداف التَّربية يجد تفسيره في الممارسة الفعالة والدّيمقراطية؛ لأن المجتمع الَّذي يقوم على أساس التَّعايش المتعدِّد الأطراف يستوجب تحديد أهداف التَّربية بكامل الوضوح، حتى لا يُصبح النّظام التّربوي والغايات الّتي يسعى إليها معرضًا للانحرافات والمغالطات والتَّأويلات[1]، وكما أنّ هذا الاهتمام يرجع إلى التّوجيه التّكنولوجي المعاصر لجعل الممارسة التَّربوية خاضعة لمبادئ التَّخطيط العقلاني والعلمي واتخاذ قرارات تربويّة صائبة، فمن ناحية نشهد لهم بالتَّجديد والتَّشييد، ومن ناحية أخرى هناك خسارات، وفشل في البرامج التَّربويّة ونأخذ كدليل على ذلك الحقبة المدرسيّة لأي تلميذ يتوجّه صباحًا نحو المدرسة حاملًا معه كمًا من الكتب والكراريس الَّتي أثقلته، وبالتَّالي لا يستطيع حتى حمل محفظته وتعب فكر التّلميذ لكثرة المواد ولم يستطيع استيعاب ما بداخلها فكان مردوده سلبيًّا.[2]

1- عوامل نشوء العامية:

إن العامل الأهم لنشوء العاميّة، هو عامل تاريخي يتمثل بالأثر الَّذي تركته القبائل في اختلاف لغاتها في الفُصحى نتيجة اختلاف الزَّمان والمكان، وانتشار القبائل في أطراف الجزيرة العربيّة، الأمر الَّذي أبقى في كل لهجة شيئًا من تراثها القديم من حيث التَّعريب والهيئة والإبدال وأوجه الإعراب والبناء، وهذا ما ترك آثارًا لا زالت تنسب إلى العاميّة، «إنّ اختلاف لهجات القبائل وأثره كان سببًا لنشوء العاميات العربيّة يتمثّل هذا الاختلاف بظاهرة إبدال الهمزة عينًا في لغة تميم وقيس: (مثل أنت وعنت)، وإخفاء لبعض الحروف في الكلام وقلبها الياء الأخيرة جيمًا، وإبدال الحاء عينا في

1- محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثُّنائية اللُّغوية، دار الفلاح للنَّشر والتَّوزيع، الأردن، دط، 2002م، ص: 92.

2- نسيمة ربيعة جعفري، الخطأ اللّغوي في المدرسة الأساسية الجزائرية مشكلاته وحلوله، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، دت، ص: 90-91.

لغة هذيل، وقلب لام التَّعريف ميمًا، وكسر تاء المضارعة في بهراء، وقلب السّين المتطرّفة تاء عند أهل اليمن، وظاهرة ما يعرف بالاستنطاء أي قلب العين السّاكنة قبل الطّاء نونا. يقولون (إنطي) في أعطي وهي لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار، وهي اليوم لغة معروفة في الجزيرة السّورية...[1].

ويرى البعض أنّه مهما تطورت اللّهجات العاميّة، فإنّها متفرعة حتما عن الفصحى ومتأثرة بها، وإن كانت أحيانًا تشويهًا وتحريفًا، فالكلمة الفصيحة "رجل" تستخدم في العاميّة راجل ورجّال وريال، وعبارة من أين تصبح: منين، ومن وين وهكذا، وفريق آخر من الباحثين وجد في العاميات أكثر فصاحة مما نعده فصيحا، فكلمة خش بمعنى دخل، ونش بمعنى طرد، ودبق بمعنى لصق، وحاش بمعنى قطف، وشاف بمعنى رأى، وعشم بمعنى طمع، ومره بمعنى زوجة، والعجي فاقد أمه، والقائمة تطول.

وقد عمل الباحث "هشام النحاس" على إصدار معجم بهذا الخصوص أسماه (معجم فصاح العاميّة) سنة 1997م في بيروت[2]، كما عرفت عدّة معاجم تُعنى بشأن فصيح العامة كمعجم الفاخر للمفضّل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة 291هـ، ومعجم (بحر العوّام فيما أصاب فيه العَوام) لابن الحنبلي رضي الدّين محمد بن إبراهيم بن يوسف المتوفي سنة971هـ، كما صدر في بيروت معجم فصيح العامة. وقاموس المصطلحات الشّعبية. وصدر معجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة للدّكتور عبد المنعم سيد عبد العال في القاهرة سنة 1971م[3].

ولكن الأمر لم يعد يقتصر على اللهجات العاميّة التي لا تعدو أن تكون لهجات عربيّة تتفاوت وتختلف في بعدها وقربها من الجذر اللغوي السليم وتظل أبدا متصلة بالفصحى كونها ليست ظاهرة

1- عبد الرّحمان الحاج صالح، العاميات العربية ولغة التَّخاطب الفصيحة، أعمال الندوة الدولية، الفصحى وعاميتها: لغة التَّخاطب بين بين التّقريب والتّهذيب، 2007م، الجزائر، ص: 80-81.

2- نفسه، ص: 86.

3- نفسه، ص: 80-81

طارئة محدثة، بل هي ظاهرة طبيعية وموجودة في كل اللُّغات الحية، لكن بنت الشَّاطئ الدّكتورة (عائشة عبد الرّحمن) ترى أنّ الاستعمار استغلّ هذه الظَّاهرة الطّبيعية ليحارب الفصحى بلهجاتها المتعدّدة، وقد وجد في اختلاف اللّهجات الإقليميّة ذريعة للقضاء على اللُّغة الواحدة المشتركة، وقد سارت هذه الحملات في اتجاهين: فمن ناحية تكشف عن جمود الفصحى وتعقدها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر وتلقي عليها مسؤولية تخلّفنا وانحطاطنا، ومن ناحيةٍ ثانية تدعو للعامية وتضيف إليها مزايا من الفصاحة والسُّهولة والمرونة، وترى فيها الوسيلة لتثقيف جماهير الشَّعب وتعليم الأميين، وهذه الحملات بدأت إثر فترة الاحتلال التُّركي حيث انحدرت اللّغة إلى غاية من السّقم والضّعف، وفيما بعد كانت الجزائر ومصر حقلا لتجربة الغزو اللّغوي في قلب المغرب العربيّ ومشرقه، ففي عام 1880م وضع كتابا في قواعد اللُّغة العربيّة العاميّة تنبأ فيه بموت الفصحى[1].

وبعد: فإن الشّقة بعدت بين الفصيحة والعاميّة نتيجة تلكؤ تعلم الفصحى وتعليمها، فالعاميّة سائدة في المدارس والجامعات والمؤسسات الرّسمية والخاصة، وإن المدرّسين يعانون من شرخ في اعتزازهم باللُّغة العربيّة الفصيحة فهم يلجؤون إلى الفصيحة في القراءة والكتابة وإلى العاميّة في المحادثة الشّفوية والحال – كما يقال – إن هناك شرخا في الشّخصيّة الثّقافيّة العربيّة، يؤثر تأثيرًا مباشرًا وأساسيًّا في علاقة العربيّ بلغته وأمته، ويبدو ذلك جليًّا في التَّعليم والنّصوص المكتوبة والمنطوقة، وقد برزت دعوات عديدة لتيسير النّحو العربيّ لتيسير تعليم اللُّغة منذ اللّجنة الّتي شكلتها وزارة المعارف المصرية عام 1928م، إلى جهود مجمع اللُّغة العربيّة في المؤتمر الثَّقافي العربيّ الأول عام 1976م، ومؤتمر اتحاد المجامع اللُّغوية العربيّة الأول في دمشق عام 1947-1956م وندوة الجزائر[2].

لا زالت قضيّة تيسير العربيّة وما زالت غولا يتربص بالفصحى، فهي قديمة العهد زاحمت الفصيحة حيث اختلط العرب بالأمم الأخرى إثر الفتوح وسميت آنذاك باللّحن ولم تكن مظاهر

1- موسى الشّامي، مسخرة التّرويج للدّارجة، ص: 10.

2- ريمون طحان، اللُّغة العربية وتحديات العصر، ص: 25.

اللّحن عمّا نعرفه اليوم من إسقاط حركات الإعراب، وترك التّصريف، وتحريف أصوات وحركات عن معانيها ومخارجها وإسقاط ألفاظ لها بدائل فصيحة، وانحرافات نحويّة وصرفيّة كصرف الممنوع وتسهيل المهموز وتعدية اللازم ونقل الجموع من صيغة إلى أخرى، فاستمع إلى المذيعين والمذيعات يقفون على أواخر الكلمة بالسّاكن، ويتعثرون في ضبط عين المضارع وفي نطق الأحرف اللّثويّة...[1].

ويرى آخرون بأنَّ الازدواجية اللُّغوية تاريخية وليست شيئًا طارئًا وأنّنا لا نخاف العاميّة، ولجأ رواد القصة والرّواية إلى لغة وسط سمّاها زكريا الحجازي (اللُّغة الدّيمقراطية)، وسمّاها توفيق الحكيم (اللُّغة الثالثة)، وسماها عيسى عبيد (اللُّغة المتوسطة). ثم دعا الرّواد أنّ الجملة الحوارية لا تستمد قيمتها الجمالية من ذاتها بقدر ما تستمدها من وظيفتها في الكشف عن الشّخصية وصدى لحدث فيها، وعلاقتها ببقية الشّخصيات ومن ثم عادوا إلى استعمال الفصيحة[2]: اللُّغة العربيّة ليست لغة علم ولا تواكب العصر[3].

نحن نحتاج إلى تحليل نقدي علمي موضوعي لمفهوم العرب للتّطور اللّغوي، ونعي اللّغة على إنها ظاهرة اجتماعية تنمو وتتطور، «وإنّ خصوم اللُّغة العربيّة هم الَّذين أحاطوا تلك اللَّهجات البائدة بالكثير من القيمة والأهمية والخطورة، وثمة وعي لهذه النَّوايا كفيل بإسقاط كلّ الرِّهانات على مستقبل العاميّة، ذلك أن بدء انحرافها عن الفصحى لا يكاد يتجاوز العصر الرَّاشدي بكثير أعني منذ وضع أبو الأسود الدّؤلي أصول النّحو بأمر علي بن أبي طالب إثر ملاحظته بادرة التّغيير في الكلام عند النّاس، وهذا مؤشر مهم برأينا يقودنا إلى الاعتقاد بلا تاريخية العاميّة، وبذلك تغدو بلا تاريخ ولا مستقبل»[4].

1- نسيمة ربيعة جعفري، الخطأ اللّغوي في المدرسة الأساسية الجزائرية مشكلاته وحلوله، ص: 100 .

2- نفسه، ص: 101.

3- أمين الخولي، مشكلات حياتنا اليومية، الهيئة المعربة العامة للكتاب، دط،1987م،ص: 8.

4- عبد المجيد عيساني، النّحو العربيّ بين الأصالة والتّجديد، ص: 252.

ونستنتج ممّا ذكر سابقًا أنّه لابدّ من اعتماد تعريب المقررات الجامعية، وتدريس اللّغة العربيّة بغية إنهاء ظاهرة الازدواجية اللّغوية مع اللّغات الأجنبيّة، وتطبيق نظام التّعليم الإلزامي في المرحلة الابتدائية أو الأساسية والمثابرة على تصويب لفظ الأطفال في المنزل، ومكافحة الأمية مكافحة جديّة غير استعراضيّة واحتفاليّة ومنع استعمال العاميّة في وسائل الإعلام بأية وسيلة وتشجيع استعمال الفصحى في المدارس والجامعات ودور الثّقافة لهي أسباب كفيلة برفع شأن لغة الضّاد اللّغة المقدسة. ففي التّاريخ الحديث مَارس إعلام الاستشراق دورًا تخريبيًا لقيم الثّقافة العربيّة، حتى القرآن الكريم والحديث الشّريف مرورًا بالشّعر واللُّغة العربيّة لإحداث قطيعة بين أجيال الأمة وفكرها وتراثها الثّقافي[1]. وبالتّالي إحداث تبعية للثّقافة الغربيّة الّتي ستدخل ساحة الفعل التّربوي والتّثقيفي بعد إفراغ هذه السّاحة من معطياتها وصولًا إلى التّشكيك بوجود أمة عربيّة واحدة وقوميّة عربيّة وهويّة وشخصية، حيث جعلت من تعريف الغرب لهذه المعطيات تعريفًا ينطبق على قوميتنا، فالمخططات تهدف إلى تأكيد دونية العرب بتأكيد غيابهم معرفيا، وأنّ الغرب يعرفنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا، إنّ خصوصية الظّرف الّذي تعيشه أمتنا العربيّة من غزو ثقافي محمول على فوهات المدافع والصّواريخ، العابرة لفرض ثقافة غريبة عليا وإلباسنا لبوسًا غريبًا عن قيمنا وحضارتنا وإرثنا وأخلاقنا وديننا وعروبتنا وتربيتنا وشخصيتنا الثّقافية...[2].

لقد قدّم لنا الغرب تجاربه السّياسيّة والعلمية والاجتماعيّة ونظمه وصناعاتهّ، فبهرنا وأشعرنا بالدونية ووصل الأمر إلى التّشكيك بالعقل العربيّ وبإمكاناته وبالجنس العربيّ محدود القدرة، فخرج علينا بمقولات، مثل: – الفكر العربيّ تجريدي – العرب أمّة بيان لا أمّة برهان أي أمة كلام إنشائي – الشّخصية العربيّة شخصية عاطفية ...[3].

1- نسيمة ربيعة جعفري، الخطأ اللُّغوي في المدرسة الأساسية الجزائرية مشكلاته وحلوله، ص: 90-91.

2- عثمان سعدي، اللُّغة العربية واللّهجات المتفرعة عنها: مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، الجزائر، دط، 2007م، ص: 12.

3- عبد المجيد عيساني، النّحو العربي بين الأصالة والتّجديد: دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النّحوية، ص: 331.

ويعتقد الدّكتور (علي عقلة عرسان) العلاج لن يأت بأن تتكرّم الثّقافات الغازية وتكف بلاءها عنّا وتتركنا وشأننا، فعلى الثّقافة العربيّة أن تتواصل وتتفاعل بحيوية من موقع الثّقة بالنفس فتتمثل ما تأخذ ولا تمتثل له، أن يستعيد العربيّ تواصلًا واعيًا مع تراثه الثّقافي ومع معطيات واقعه وعصره وليحوز خصوصيته ويكرسها في ثقافته[1].

1- عبد المجيد عيساني، النّحو العربي بين الأصالة والتّجديد: دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النّحوية، ص: 333.

الفصل الثّاني:

اللّهجات العربية بين التّغيرات الصّوتية وآثار عوامل التّوحد اللّغوي

المبحث الأول: أسباب وعوامل نشأة اللّهجات

المبحث الثّاني: أثرها في اختلاف اللّهجات العربيّة

المبحث الثّالث: التّغيرات الصّوتيّة والعوامل المتحكمة فيها

المبحث الرّابع: عوامل التّوحّد اللّغوي

المبحث الأول: أسباب وعوامل نشأة اللّهجات

يمكن القول: إنّه ومنذ القدم واللّغات الإنسانية يتوالى عليها الانشطار والانقسام إلى لهجات متنوعة، وقد جاء في القرآن ما يصدق هذا القول، إذ يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾[1]. فاختلاف النّاس في لغاتهم سنة من السّنن الكونية الثّابتة.

ولا ريب أن اللُّغة تبقى متّحدة في المجتمع الّذي يتخذها أداة له، إذ كانت حياته الاجتماعية والأرض الّتي يعيش فيها متحدة في أهدافها وعوامل تكوينها، فإذا تغيّر شيء من ذلك كان إيذانًا بانشعاب تلك اللّغة إلى لهجات[2]. كاللُّغة العربية الَّتي اختلفت ألسنة العرب في نطق لهجاتها تبعًا لاختلاف القبائل وظروفها الاجتماعية، والمكانية وحتى الزّمانية.

هكذا كان ويكون التّطور في اللُّغات، وهكذا تتشعب، بينما يكون اختلاف لهجة ولهجة في قطر واحد بين مدينتين فيه أو ناحيتين من نواحيه، يكون اختلاف أكثر بين قطرين متجاورين كالشّام والعراق، وهو أشدّ أثرًا منه إذا كانا متباعدين كالشّام والمغرب الأقصى، ثم يشتد التّباعد مع تطاول المدة فيكون كالاختلاف بين المضرية والحميرية، فإذا ازداد شدّة كان كالاختلاف بين العربية والعبرانية... وهكذا حتى يبلغ الاختلاف أقصاه[3].

وقد أرجع العلماء والباحثون هذه الفروقات والاختلافات الّتي تعتري اللُّغة إلى عدة عوامل وأسباب، وهي كالآتي:

1-أسباب جغرافية:

كلنا يعلم أنّ للطّبيعة أثرها في اللُّغة، فإذا كان أصحاب اللُّغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، وتختلف الطّبيعة فيها من مكان لآخر كأن يكون هناك جبال ووديان وأنهار، فإن

1-سورة الروم، الآية: 22.

2-عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورًا، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1998م، ص: 41.

3-معجم متن اللغة، أحمد رضا وآخرون، ج:1، ص: 26. (المقدّمة).

هذا يؤدي إلى تباين في اللّهجة وتعدد فيها[1] وفي الحقيقة، ونحن نبحث في لهجة توات، كان لزامًا علينا الحديث عن العوامل الجغرافية، ونبيّن موقعها الجغرافي لنصل في النّهاية إلى أثر الطّبيعة الجغرافية في نشأة اللّهجة، فإن كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميًا وخلقيًا ونفسيًا، كما هو الحال في كثير من البيئات، كذلك تؤثر على أعضاء النّطق وطريقة الكلام.

ويبدو أن اتساع رقعة مدينة أدرار أو "توات" كما كانت تعرف قديمًا، أدى إلى ظهور لهجتين بارزتين، لهجة أمازيغية في مناطق معيّنة، ولهجة عربية في وسط الإقليم، ويتّضح أنّ للرّقعة الجغرافية أثرها في تكوّن هذه اللّهجات.

2-أسباب اجتماعية:

نحن نعلم أن المجتمع مكوّن من طبقات ونظرا إلى وجود هذه الطّبقات، فلابدّ من وجود لهجات تختلف حسب هذه الطّبقات، فالطّبقة الأرستقراطية أو العليا تتّخذ لهجة غير لهجة الطّبقة الوسطى أو الطّبقة الدّنيا من المجتمع، ويتّفق ذلك أيضا مع ما نلحظه من اختلافات لهجية بين الطّبقات المهنية، إذ نلحظ لهجات تجارية وأخرى صناعية وثالثة زراعية، وعن هذه الأسباب ينشأ ما يسميه فندريس بالعاميات الخاصّة Les argots، وهو يقرر أنه: «يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحدّ وأنّها في تغيّر دائم تبعًا للظّروف والأمكنة فكل جماعة خاصة وكلّ هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة»[2].

وتوجد عوامل سياسية وتتعلّق باستقلال المناطق الّتي انتشرت فيها اللُّغة، بعضها عن بعض وضعف السّلطان المركزي الّذي كان يجمعها ويؤثر فيها بينها، وذلك اتساع الدّولة وضعف سلطانها يؤدي إلى ضعف حصيلتها اللُّغوية.

1- عبده الرّاجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعيّة للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة، دط، 1996م، ص: 43-44.

2-جوزيف فندريس، اللّغة، ص: 315.

يضاف إلى ذلك، توجد عوامل اجتماعية نفسية تتمثّل في الاختلاف الّذي يحصل بين سكان المناطق المختلفة من فروق في النّظم الاجتماعية والعُرف والتّقاليد والعادات ومبلغ الثّقافة ومناحي التّفكير والوجدان، فمن الواضح أنّ الاختلاف في هذه الأمور يتردّد صداه في أداة التّعبير[1].

3-احتكاك اللّغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو مجاوره:

إن الاحتكاك بين اللُّغات أمر لابدّ منه، لأنّ اللُّغة ظاهرة اجتماعية متغيرة، ولأنّ تطور الحضارة وتنوع مصادر الحياة تؤثر في حياة الإنسان[2]، وأنّ الاحتكاك من أهم الأسباب الَّتي تؤدي إلى نشأة اللهجات[3]. فلقد غزا العرب في تلك البلاد الّتي فتحوها شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا لغات مختلفة، منها ما يمتّ إلى العربية بسبب ومنها ما يقرب منها قربا ومنها ما يبعد عن العربية بعدًا واسعًا، ولقد عاشت بقايا تلك اللّغات عالقة بأهداب اللُّغة العربية، تَقّل أو تكثر تلك الآثار وفقا لقوانين طبيعية كثيرة يعرفها الدّارسون لعلم اللّغات وعلم الاجتماع ويكادون يجملونها فيما يلي:

أ-حضارة الشّعب المغزو، إذ على حسب تلك الحضارة تصمد اللُّغة المغزوة للغة الغازية، ولا تجد اللُّغة الغازية بدًا من الإذعان للغة المغزوة في بعض الميادين.

ب-الصّلة بين اللُّغة الغازية واللُّغة المغزوة، فكلما كانت اللُّغة المغزوة بعيدة بعدًا واسعًا عن اللُّغة الغازية تعرضت لزوال مبيد، وبخاصة إذا كانت تلك اللُّغة المغزوة تفقد حضارة تعيش في ظلها ألفاظها، وكلما كانت الصّلات قريبة من اللُّغة المغزوة واللُّغة الغازية كان هناك أنس بين الكلمات، ولم تكن ثمة وحشة، وقبلت اللُّغة الغازية الكثير من كلمات اللُّغة المغزوة لا تجد في ذلك ضيرًا.

ج-سلطان اللُّغة الغازية، ويعنون به القوة المستمدة من السُّلطان السّياسي، فكلما كانت للغازي سلطانه الّذي لا يرد كل للغته هي الأخرى سلطان لا يرد، والشّعوب المغلوبة تسعى دائمًا إلى التّقرب من الشّعوب الغالبة تجاملها في كل شيء وتحاكيها في كل شيء، وليست ثمة وسيلة

1- علي عبد الواحد وافي، اللُّغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، القاهرة، دط، دت، ص: 131-132.

2- أحمد عبد الرّحمان حماد، الخصائص الصّوتية في لهجة الإمارات العربية، دراسة لغوية ميدانية، دار المعرفة الجامعية، دط، دت، ص: 13.

3-إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص: 20.

للتّقرب خير من اللُّغة من أجل ذلك كانت الشّعوب المغلوبة أسرع إلى التّحلل من لغتها والدّخول في لغة الغالب[1].

لذلك يرى فندريس بأنّ: «تطور اللُّغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعدّ أمرًا مثاليًا لا يكاد يتحقّق في أية لغة، بل على العكس من ذلك فإن الأثر الَّذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًا في التَّطور اللُّغوي»[2]، وفي التَّاريخ شواهد كثيرة على أثر الصّراعات اللغوية، فاللَّهجات انتشرت في البلاد الإسلامية يعد الفتح دليل عليه، ولهجاتنا العامية الحالية فيها مظاهر كثيرة من آثار الاحتكاك اللُّغوي[3].

فالألفاظ الأمازيعية أو الزّناتية، الَّتي نجدها في لهجتنا، لهجة توات، مظهَرٌ من مظاهر الاحتكاك اللُّغوي، وإن كان استعمالها يقتصر على الجانب المعيشي، أو الفلاحي، فهذا يدلّ على ضعف هذه اللَّهجة إزاء العربية أو اللُّغة الغازية.

4-أسباب فردية:

لقد أثبت لنا علم اللُّغة أنّ لكلّ إنسان لهجته الخاصة[4]. فاللُّغة وإن «كانت واحدة، فهي متعدّدة بتعدّد الأفراد الّذين يتكلّمونها، ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان وبصورة واحدة ولا تفترق»[5]. فكما أنه هناك لهجات في اللُّغة فإنّ هناك أفرادًا يتكلمون هذه اللُّغة، وهذه كما يقول أنيس فريحة، أول مفاجأة يفاجئنا بها علماء اللُّغة[6].

1- محمد بن أبي السّرور الصديق الشافعي، مقدمة كتاب القول المقتضب، فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب ، تحقيق: السّيد إبراهيم سالم، راجعه وقدم له: إبراهيم الأبياري، المؤسسة المصرية العامة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، دط، دت، ص: 01.

2- فندريس، اللّغة، ص: 348.

3- عبده الرّاجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: 45.

4- أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ1989م، ص: 86.

5- فندريس، اللُّغة، ص: 295.

6-أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 86.

فعلماء اللُّغة يقولون: إن المجتمع الَّذي يتكلّم أفراده لغة واحدة لا وجود له، وإذا أبديت شكًا في ذلك أدخلوك إلى مختبر الفونتيك وقالوا لك أجلس أمام هذه الآلة المسجلة وتلفظ بهذه العبارة: ما أَجْمَلَ الطَقْسَ، ثم بعد ربع ساعة يقولون لك تَعالَ سجلها لنا مرة أُخرى، ثم يتركونك تقابل بين تسجيلك الأول والثّاني وستجد لنفسك فروقًا، ولكنها فروق لا تستطيع الأذن تمييزها[1].

تعرف هذه الظّاهرة في اللُّغة بالمغايرة الفردية، والَّتي مفادها أن اختلاف الأفراد في النّطق يؤدي مع مرور الزّمن إلى نشأة اللَّهجة إلى جوار اللَّهجات الموجودة، بل إن سابير يذهب إلى أن منشأة اللّهجات يعود إلى «الميل العام إلى الاختلاف الفردي في الكلام»[2].

وبعد هذا، فإنّنا نرى بأن اللّهجات العربية المنتشرة الآن لا تختلف أسباب وجودها على أسباب وجود اللّهجات العربية القديمة في الجزيرة العربية، ونحن نعلم بأنّ اللّغة العربية لم تكن متوحدة توحدًا كاملًا، بل كانت لهجات متناثرة ومتعددة، غير أن هذه اللّهجات لم تكن حائلا دون وجود لغة مشتركة يستعملها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جدل القول[3].

1- أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ص: 86.

2- عبده الرّاجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: 45.

3-نفسه، ص: 46.

المبحث الثّاني: أثرها في اختلاف اللّهجات العربية

لقد كان لهذه العوامل والأسباب أثرها في لهجاتنا العربية، والّتي عاشت في مناطق مختلفة، فقد كانت الصّحراء، تمثل جانبًا من بيئتها الطّبيعية، ثم انتقلت الأمة العربية إلى الحضارة والمدنية، فوجدت مناطق زراعية وأخرى تجارية، وكل ذلك أسهم في تنوع خطاباتها اللّهجية تبعًا لهذه الظروف.

وما لبث العرب أن خرجوا من جزيرتهم إلى التُّخوم المجاورة لهم كالعراق والشّام، ومصر وشمال إفريقيا، فالتقت العربية مع أخواتها من السّاميات كالعربية والآرامية وغيرها، كما التقت مع لغات أخرى أجنبية عنها كالفارسية، والرّومية والقبطية والأمازيغية.

وقد كان لهذه العوامل أثرها في تبدل العربية ولهجاتها، وتجلى ذلك في تلكم العوامل الثّقافية والجغرافية الاجتماعية، والّتي أسهمت بقسط وافر في تطور العربية بعد أن كانت تقبع في بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح، إلى لغة منفتحة على الحضارات الّتي وجدتها في طريق زحفها، فنشأ فراق واضح بين صور النّطق عند لهجات البادية كتميم، ولهجات الحاضرة الحجازية المتمثلة في القرشية، فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبّة، وتلتلة بُهراء «فأما عنعنة تميم فإن تميمًا تقول في موضع (أن): (عن)..، وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تِعلمون وتِفعلون، وتِصنعون بكسر أوائل الحروف.

وأما كشكشة ربيعة، فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: إنَّ كِشْو رَأَيْتُ كِشو أَعْطَيْتُ كش تفعل هذا في الوقف، فإذا وصلت أسقطت الشّين[1]. فقريش ما ترفعت عن ذلك إلا للثّقافات الاجتماعية التي نشأ عليها أهلها، فبيئة الحجاز الحضرية غير الصحراء التي يعيش بها بنو تميم البدو»[2].

وقد أسهم الاتصال البشري بين العرب وغيرهم، في تبدّل لغتهم ولهجاتهم، فالعرب لم يكونوا في معزل عن غيرهم من المجتمعات، وقد ساعد في ذلك الاتصال البشري، عدة عوامل ولا غرو، أن

1- ابن جني، الخصائص، ج: 2، ص: 11.

2-عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورًا، ص: 46

الإسلام كان أهمها على الإطلاق، فقد أسهمت الفتوحات الإسلامية، إلى تغلب العربية على لغات تلكم الشّعوب الّتي فتحوها، وقد تأثرت العربية أيضا، بلغات البلدان المفتوحة وأثرت فيها، وإذا كان التّغلب قد كُتب لها، فإنّ التّشعب إلى لهجات متنوعة كان نتيجة ذلك.

ويصدق هذا القول ويؤكده، فشو اللّحن على ألسنة العرب بعد انتشار الإسلام واتساع رقعة الدّولة الإسلامية، فقد أثر عن النّبي- صلى الله عليه وسلم- عندما سمع رجلا يلحن في كلامه، فقال: (أرشدوا أخاكم فقد ضل) ،كما أنَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال لأحد كتَّاب ولاته: "أن قنع كاتبك سوطًا"، وغير ذلك مما كان سببًا في وضع علم النّحو على يد أبي الأسود الدّؤلي، لذلك رأينا النحاة يرفضون الاحتجاج بكلام العرب المجاورين للأعاجم، كلخم وجذام[1].

ويستفاد من الكلام، بأنّ احتكاك الشّعوب يؤدي إلى احتكاك لغتها، «ولو لا مقاومة المجتمع للتّفكك اللُّغوي لأصبح العالم أمام حشد من صور التّكلم لا تزيدها الأيام إلا تفرقًا، ولكن الَّذين يتكلمون إحدى هذه اللُّغات يميلون دائمًا إلى المحافظة عليها كما هي»[2].

وكما أسهم اختلاط العرب بغيرهم من الأمم في تبدل لغتهم، فقد أسهم اتصال العربي إلى تبدل لهجته، تبعًا لقانون التّأثير والتّأثر، فقد دعت الحاجة الاجتماعية العرب إلى التّلاقي والتّعامل الاجتماعي، «فإنّ العرب بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة في دار واحدة، وهذا الاتصال الوثيق يؤدي إلى اتصال لهجاتهم بعضها ببعض، فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغة كما يراعي ذلك من مهم أمره»[3].

فلقاء اللّهجات مهم للعرب كأمور الحياة الّتي يلتقون من أجلها، وإذا التقى العربي بغيره حدث واحد من ثلاثة أمور.

-تمسكه بلهجته الأصيلة.

1-عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورًا، ص: 47.

2- فندريس، اللُّغة، ص: 32.

3- ابن جني، الخصائص، ج: 2، ص: 15-16.

-انتقال لسانه إلى اللّهجة الجديدة.

-اجتماع لهجته مع لهجة غيره.

وفي هذا يقول ابن جني: «اعلم أنّ العرب تختلف أحوالها في تلقّي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يخفّ ويسرع فيقول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه»[1].

فعندما يلتقي العربي بأخيه ويتحادثان، أو يسمع كل منهما لغة صاحبه، فإما أن يستحسن أحدهما كلامه صاحبه، فيتلقف كلماته بسرعة، ويترك لهجته الأصلية، وإما أن يستعملها مع لهجته الخاصة دون حرج في ذلك، وإما أن يستهجنها ويمّجها ويتعصب للهجته ويتمسك بها.

ومن أمثلة تمسك العربي بلهجته الأصلية، موقف أبي زياد الكلابي من نطق كلمة "النطع" بلهجته الخاصة وعدم اعترافه بغيرها، فقد سأل أبا عبد الله عن قول النابغة الذبياني: على ظهر مبناة...

فقال أبو عبد الله: النَّطع بفتح النّون، فقال أبو زياد: لا أعرفه، فقال: النِّطع بكسر النون فقال أبو زياد: نعم فقد أنكر غير لغته كما ترى مع ما بينهما من قرب[2]. غير أنّ الغالب في هذه الظّواهر، هو تأثر لهجة العربي بلهجات إخوانه الآخرين، بل إنّ الأعم هو التّفاعل بين تلك اللّهجات، فتأخذ هذه من تلك وتلك من هذه.

وقد عقد "ابن جني" في الخصائص بابًا (في العربي يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها)[3]، وقد أشار فيه إلى سؤال أبي زيد للخليل عن الّذين قالوا: مررت بأخواك، وضربت أخواك، ممن يلزمون المثنى الألف، فقال الخليل: هؤلاء قولهم على قياس الّذين قالوا في ييأس: يأس، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها.

1- ابم جني، الخصائص، ج: 1، ص: 383.
2-نفسه، ج: 1، ص: 383.
3-نفسه، ج: 2، ص: 14-16.

وأخذ ابن جني يفسّر قول الخليل على أن بلحرث بن كعب نظروا في استعمال أكثر العرب للمثنى بالياء نصبًا، وجرًا وجعلوا مكان الياء ألفًا في لغتهم حالتي النّصب والجر استخفافًا للألف.

وقد فسّر بعضهم قول الخليل على أن العرب جميعًا كانوا يستخدمون الياء في المثنى حالتي النّصب والجر إلا أن بلحرث بن كعب فضلت استعمال الألف في أوجه الإعراب كلّها، وإن كان القياس يقتضي رأي الجمهور.

غير أن ابن جني كان يرى بأن الاحتمال الأقوى عنده، أن يكون بلحرث بن كعب قد نطقوا بالألف من أول الأمر، ولم يكونوا ينطقون المثنى بالياء، ثم تحولوا إلى الألف؛ لأن الياء هي القياس للفرق بين المرفوع وغيره، وهي الأقوى والجماعة عليه، فكيف ينتقلون من الأقوى إلى الأضعف وهم لم ينطقوا قط بالياء، ولم يبدلوها ألفًا، لكن بلحرث راعت لغة الكافة الكثيرة فصنعوا لغتهم من أول الأمر بالألف، ولم يعدلوا إليها من غيرها.

ويصل ابن جني من هذا الكلام إلى نتيجة حتمية مفادها، أن صاحب أيّ لغة يراعي لغة غيره؛ لأن العرب يتصل بعضهم ببعض، وهم خلق كثير منتشر متجاور لهم علاقات وارتباطات، وبعضهم يلاحظ صاحبه، ويراعي أمر لغته، وهذا التّبادل قد يؤدي إلى انتقال لسان العربي إلى غير لهجته إذا كثرت صلاته[1].

1-عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورًا، ص: 49-51.

المبحث الثّالث: التّغيرات الصّوتية والعوامل المتحكمة فيها

1-اللُّغة نظام متغير:

اللُّغة كسائر الظَّواهر الاجتماعية خاضعة للتّغير، فلا تتوقف عن التّطور إلا إذا انقطعت عن الاستعمال فتغدو لغة ميتة[1]. ويرتبط تغيرها بتطور المجتمع الّذي يتكلمها، ذلك أنّها ظاهرة تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها[2]، وثيقة الصّلة بالإنسان وبيئته، فهي كائن حي تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، كما تتطوّر بتطوره، وترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه[3].

يعود هذا التّغير في اللُّغة إلى طبيعتها الاجتماعية، حيث إنّها تحيا على ألسنة متكلميها، ومن ثم فهي تخضع لسنة التّغير الّتي يخضع لها الكائن الحي سواء في نشأته أو في نموه[4]. وهذه التّغيرات الّتي تطرأ عليها لا يمكن شرحها وتفسيرها إلا في إطار التّحولات الّتي يعرفها المجتمع. وقد أكّد ذلك لسانيون منهم، فَرْدِينَانْد دي سُوسِير (Ferdinand de saussure) الَّذي ركّز في مقالاته على العلاقة القائمة بين التّغير اللغُّوي والتّطور المجتمعي[5]، وأَنْطْوَان مَايِيه (Antoine meillet) الّذي يَعْتبر أنّ اللُّغة انعكاس للثّقافة المجتمعية، فتبدو اللّغة من هذه الزّاوية بالذات تمظهرا لثقافة المجتمع الّذي يتكلمها[6].

1- ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللُّغة ومناهج البحث اللُّغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة الإسكندرية، دط، 2002، ص: 194.

2- ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللُّغة والتّواصل (اقترابات لسانية للتّواصلين الشّفهي والكتابي)، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع الجزائر، دط، دت، ص: 51.

3- ينظر: رمضان عبد التواب، التّطور اللُّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرّفاعي، الرّياض، ط: 1، 1404هـ-1983م، ص: 5.

4- ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثّقافة الدّينية، القاهرة، ط: 1، 1425هـ- 2004م، ص: 174.

5-ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف الغازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطّباعة، دت، دط، ص: 96-97.

6- ينظر: ميشال زكريا، الألسنية: المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط: 2، 1304هـ-1983م، ص: 113.

إن التّطور اللُّغوي وثيق الصّلة بتغير الظُّروف الاقتصادية والاجتماعية والسّياسية والجغرافية، ذلك أن كلّ تطور يصيب ميدانا من هذه الميادين يتردّد صداه في اللُّغة وينعكس على استعمالاتها.

ليست اللُّغة هامدة أو ساكنة، فهي كبقية الظَّواهر الاجتماعية تخضع لسنة التَّطور مهما حرصنا على خصائصها، فهي في اندفاع مستمر لا قدرة لأحد على إيقافه أو مخالفته أو الخروج عن مقتضى التّوافق معه، «ومِنْ هذا يظهر أنّه ليس في قدرة الأفراد والجماعات أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص أو يُحولوا دون تطورها على الطّريقة الّتي ترسمها قوانين علم اللّغة، فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط قواعدها وأصواتها وكتابتها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة، وكتابة ونطقا، وفي وضع طريقة ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصّدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنّها لا تلبث أن تحطم الأغلال، وتفلت من هذه القيود وتسير في السّبيل الّذي تريدها على السّير فيها سنن التّطور والارتقاء الّتي ترسمها قوانين علم اللُّغة»[1].

لا تبقى عناصر اللُّغة من أصوات وتراكيب وألفاظ ومعان ثابتة على حالاتها الأولى، فهي معرضة للتّغير، فاللّغة من شأنها الحركة، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تثبت في مكانها بلا حراك، ذلك أن اتجاهها الطّبيعي وبخاصة في صورتها المنطوقة وهو اتجاه يبعدها عن المركز. فاللُّغة تميل إلى التّغيير سواء عبر الزّمان أو المكان إلى الحد الّذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز. هذه الخاصية العالمية للّغة هامة لعالم اللُّغة التّاريخي حيث أنّها تشكل الأساس في كل تغير لغوي[2].

تختلف نسبة التّغير من فترة زمنية لأخرى، فقد يكون هذا التّغير المستمر في اللُّغة بطيئا، كما قد يكون في فترات زمنية سريعًا، كما قد يكون شاملا لساحات واسعة اللُّغة أو مقصورا على نواح دون الأخرى، كما أنه قد يكون بطيئا لا يحصل إلا في الآماد الطّويلة أو سريعا تبدو نتائجه في زمن قصير لا يعدو العشرات من السّنين. فاللُّغة العربية لم تتغير مثلا أصواتها (حروفها) منذ مدة تزيد على خمسة عشر قرنا، وكذلك صيغها وأصول موادها، على حين أننا نرى اللُّغة الفرنسية مثلا قد

1- علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، نهضة مصر للطّبع والنّشر، ط: 6، 1387هـ-1967م، ص: 18.

2- ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط: 3، 1408هـ-1987م، ص: 71.

تبدل منذ خمسة قرون الكثير من عناصرها كالأصوات وتصاريف الأفعال وبعض التّراكيب ومعاني أكثر ألفاظها[1].

وما دامت اللُّغة أصواتا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، والأغراض لا تنتهي والمعاني لا تنفذ والحضارة تهدي النَّاس كل يوم بمخترع جديد والعلوم تطالبهم بمصطلحات جديدة، فإنّ اللُّغة لا يمكنها أن تثبت ثبوت الدّين ولا أن تستقل استقلال الحي، فكل نبأة وهمسة في حياة الجماعة الّتي تتكلّم لغة تترك أثرها فيها، وتغير حالها وتترك أثرا في تطورها[3]. كما أن الصُّور المتعددة للظّاهرة اللُّغوية ليست جميعها وليدة فترة زمنية واحدة، بل إن إحداها فقط وهي الَّتي تمثل مرحلة البداية، أما بقية صور الظَّاهرة فقد جاءت بسبب التّغير الّذي يصيب الظّواهر اللُّغوية على فترات حياتها[4].

نستطيع أن نقرّر أنّ التّغير المستمر في اللُّغة لا يوصف بأنّه اتجاه نحو الأحسن، وأنّه تطور إلى الارتفاع أو الصّحة؛ بمعنى ليست عربية القرن الأول الهجري أصح منها في القرن الحالي، ولا ينسب إلى لهجات العصر الجاهلي من التّفضيل والتّمييز ما تحرم منه اللّهجات الّتي تنطق الآن في البلاد العربية، والعكس أيضا غير صحيح فكلّ اللُّغات عرضة للتّغير، وهي حقيقة ثابتة، وعلى عالم اللُّغة أن يبني نظرية تفسيرية للتّغير اللُّغوي تسهم في فهمنا لطبيعة اللُّغة[5]. يقول إبراهيم السّمَرَّائي: «وهكذا يكون سَيْر التّطور سلبا كما يكون إيجابا، فربما لا تتطور اللُّغة نحو مستوى متقدم رفيع، بل تنزل إلى دَرَك من التّغير والتّبدل، تبعا للمستوى الحضاري والثّقافي الّذي عليه الأمة، ومن أجل ذلك نستطيع أن نقرّر ما يُسَمَّى في كتب اللُّغة والنّحو "لغة" من الاستعمالات غير المألوفة، أو غير الصّحيحة، تلك الاستعمالات الّتي نسبت إلى هُذيل، أو عقيل، أو طيء، أو غير هؤلاء، لم يكن

1- محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية –دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التّجديد والتّوليد- محمد مبارك، دار الفكر، ط: 5، 1392هـ-1972م، ص: 32.

2-ينظر: أبو الفتح ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 33.

3- ينظر: توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللُّغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 1، 1400هـ-1980م، ص: 177.

4- ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص: 177.

5- ينظر: عاطف مدكور، علم اللُّغة بين التّراث والمعاصرة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 1987م، ص: 287.

إلّا من قبيل هذا التّطور في اللُّغة، ثم نسبت اعتباطا لفئة معينة من النّاس، وما من اللّغات العامية الحديثة، أو ما نسميه باللّهجات العربية الحديثة إلا نتيجة لهذا التّطور في العربية الفصيحة»[1].

كما يجب أن نقرّر أن التّغير اللُّغوي مفهوم حيادي لا يحمل شحنة معياريّة، ولا يمثل موقفا من الظّاهرة اللّغوية لها أو عليها، وإنما معناه أنّ اللُّغة تطرأ عليها تغييرات نسبية في الأصوات والتّراكيب والدّلالة، فهي كسائر مجالات الحياة لا يتّجه تطورها دوْمًا نحو التّهذيب والكمال، ولا يكون دائما بمعنى التّقدم والارتقاء، فقد يكون ترديا وانتكاسا، وإنّ موازنة بين حالة الكلمات في اللُّغة العربية الفصحى وما آلت إليه في اللّغات العامية لَأكبر دليل على ما نقول، وما حدث في اللّغة العربية بهذا الصّدد جرى مثله في كثير من اللّغات، فالتّطور اللّغوي لم يتجه نحو التّهذيب، ولم يحقّق زيادة، بل أدى في معظم مظاهره إلى اللّبس وجرد مما بها من دقة، وسمو وأنزلها منزلة وضيعة في التّعبير[2].

تتغيّر اللُّغة بصورة دائمة، فأصواتها وتراكيبها، وعناصرها النَّحوية وصيغ كَلمَاتها على سواء في سرعة قبول هذا التّغير، واللُّغة في تطورها الصّوتي أسرع وأثر تنوعا من تطورها في جوانب الصّيغ والنّحو والمفردات والأساليب، كما أنّ النّطق في أي لغة من اللّغات لا يبقى دائما في حالة واحدة، فعلى مر الزّمان تعتريه تغيرات[3]. ومَرَدّ ذلك إلى أن الجانب المنطوق في اللّغة يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسيابية، ويتغير أكثر مما يتغير الشّكل المكتوب، وأنّ دراسة هذا التّطور تفتح آفاقا جديدة في مجال فهم اللُّغة الإنسانية بصورة عامة[4].

وحين يحاول الباحث تعليل ذلك يخلص إلى أن اللّغة بطبيعة أصواتها المنطوقة تخضع لكثير من النمو، والاتساع الّذي يكون في حدود ضيقة في الصّيغ والتّراكيب والمفردات، كما أنّ الصّوت

1- إبراهيم السمرائي، التّطور اللُّغوي التّاريخي، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط: 2، 1983م، ص: 29.

2- ينظر: علي عبد الواحد الوافي، علم اللُّغة، ص: 263.

3-ينظر: برتيل مالمبرج، الصّوتيات، ترجمة: محمد هليل، عين الدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دط، 1994م، ص: 197.

4- ميشال زكريا، ينظر: الألسنية (علم اللُّغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص: 154.

يمتلك ظلالا وتَلَوُنَات تجد في مسرح النّطق حرية أوسع لممارسة أنشطتها[1]. وهو ما يؤكّده أحمد مختار عمر الّذي يقول: «إنّ الجانب المنطوق في اللُّغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب بالإضافة إلى أنّ اللُّغة تصادف في تركيباتها وتجمعاتها الصّوتية ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصّوت عن صورته ويتطور دونه»[2].

2-خصائص التّغير الصّوتي:

أشرنا فيما سبق أنّ اللُّغة ليست هامدة، فهي كبقية الظّواهر الاجتماعية تخضع لسُنّة التّغير، وأن المستوى الصّوتي أكثر عرضة للتّبدل، ذلك أن الجانب المنطوق في أي لغة يمارس حرية أكثر مما تمارسه باقي المستويات الأخرى.

بناء على ذلك يتّسم التّغير الصّوتي بمجموعة من الخصائص أهمها:

أ-أنه مقيد بزمان ومكان معينين: يرتبط التّغير الصّوتي بمكان وزمان معينين: «فمعظم ظواهر التّطور الصّوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة، وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللّغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلا إلى همزة (قُلْت: أُلْت) لم يظهر إلا في بعض المناطق النّاطقة باللّغة العربية، ومنذ عهد غير بعيد، وتحول صوت "a" في بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت "e" لم يظهر إلّا عند الفرنسيين، ولم يبدأ أثره لديهم إلّا في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثّامن وأوائل الرّابع عشر»[3]. لقد كان تبادل عكسي بين العربية والآرامية بالنسبة للسّين والشّين، فـ "السَارِيَة" في العربية معربة من الآرامية"sarita" و كلمة "السَاع" العربية، وتعني الكلس معربة هي الأخرى من الآرامية "syaa" وكلمة "دمشق" معربة هي الأخرى من الآرامية

1- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1998م-1418هـ، ص: 261.

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللُّغوي، عالم الكتب، ط: 3، 1405هـ-1985م، ص: 317.

3- علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، ص: 262.

"Dammesek".[1] وقد حدّد برجشتراسرBerajstrarser ذلك التّطور ببداية القرن الخامس قبل الميلاد، وهو الوقت الّذي جاور فيه العرب الآراميين[2].

ب-يتّسم التّغير الصّوتي بأنه بطيء في سيره وتدرجه، لا يحدث بين يوم وليلة، ولا يحصل إلّا في الآماد الطّويلة، وتظهر آثاره بعد أجيال، والتّطور المعَيّن الأصوات لا يشمل كل الصّيغ اللُّغوية، فقد يحدث في صيغة، ولا يحدث في أخرى[3]، فَتَغَيُّر الأصوات لا يحدث فجأة، وإنما يظهر أثره بعد أجيال[4]. يقول علي عبد الواحد وافي: «فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغَة آبائنا المباشرين ولكنّها تختلف اختلافا بينا في هذه النّاحية عَمّا كانت عليه في ألسنة أجدادنا في العصور الوسطى أو صدر العصور الحديثة»[5]. هذا الاختلاف لا يَتَبَيَّنه إلّا الرّاسخون في ملاحظة هذه الشّؤون، ويظهر بصورة جلية إلّا إذا وازنَّا حالتيها في جيلين تفصلهما مئات السّنين[6].

ج-التّغير الصّوتي تغير تلقائي: يحدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للإرادة الإنسانية يقول فندريسvendrys: « فالطّفل يعتقد أنّه يقوم بنفس الحركات الصّوتية الّتي يقوم بها أبواه مع أنّه يخالفهما، فعدم شعورية التّغير هو الّذي يفسر لنا استمراره، لأنّ الطّفل قد يسعى إلى تصحيح خطئه لَوْ أنه شعر به»[7]. فتحول صوت التّاء في بعض اللّهجات العربية العامة إلى تاء، وصوت الذّال إلى

1-ينظر: برجشتراسر، التّطور النّحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعي، الرّياض، دط، 1402هـ -1982م، ص: 25.

2- نفسه، ص: 26.

3- ينظر: صلاح الّدين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات –دراسة مقارنة-، دار الاتحاد العربي للطّباعة، ط1، 1981م، ص: 71.

4- ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ص: 262.

5- نفسه، ص: 261.

6-ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

7-ينظر: اللّغة، لفندريس، ترجمة: عبد الحميد الدّواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجان البيان العربي، دط، 1950م، ص: 65.

دال، الظّاء إلى ضاد، وانقراض الأصوات الّتي كانت تلحق في أواخر الكلمات للدلالة على إعرابها، ووظائفها في الجمل كل ذلك حدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للتّواضع أو إرادة المتكلمين[1].

د-يتسم التّغير الصّوتي بأنه مطَرَّد، فما يصيب الصّوت من تغير في بيئة معينة، يَسْري عليه في جميع أحواله، ويظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصّوت، وعند جميع الأفراد الّتي تكتنفهم تلك البيئة: «فإذا لاحظنا مَثَلا أن القاف الفصحى قد اختفت من لهجة القاهرة وحلَّت محلها الهمزة، فهذا قانون صوتي مطَرَّد لا يعرف الشّذوذ أو الاستثناء».[2] وذلك أنّه لما كما كان التّغير لا ينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلية النّطق نفسها، فإنّ جميع الكلمات الّتي تتّبع آلية واحدة في النّطق تتغير بالصّورة نفسها[3].

هـ-من خصائص التّغير الصّوتي أنه تعبير اجتماعي، وليس تعبيرا فرديا كما كان يسود الاعتقاد لفترة طويلة من الوقت يقول فندريس vendrys: «سَادَ شطرا طويلا من الزّمن، الاعتقاد بأنّ كل تغير صوتي، إنما يصدر عن الفرد، وأنّه لم يكن إلّا تغييرا فرديا ثم عُمّم، وهذا إدراك غير صحيح فليس في وسع أي فرد أن يفرض على جيرانه نطقا تَنبو عنه فطرتهم، وليس هناك من قسر جدير بتعميم تغير صوتي، فلأجل أن يصير تغير ما قاعدة لمجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي من تلقاء أنفسهم، بل إنّ سلطان المحاكاة نفسه لا يقدر هنا على شيء، فإن النّطق الشّاذ لا يجلب إتباعا لصاحبه بل لا يجلب له بوجه عام إلا السّخرية منه»[4].

3- التّأثير والتّأثر بين الأصوات

لا تحتفظ الأصوات في الكلام المتصل بخصائصها الّتي تعرف بها حين تكون أصواتا مستقلة، بل تكتسب خصائص جديدة، وذلك كأن تتّصف الباء بالشّفوية والجهر والشّدّة، فإذا حدث أن

1- ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، ص: 262.

2- محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية -مدخل تاريخي في ضوء التّراث واللّغات السّامية-، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دط، دب، ص: 65.

3- فندريس، اللُّغة، ص: 69.

4- نفسه، ص: 69.

فقدت إحدى هذه الصّفات كان هذا استجابة لمقتضيات السّياق. يقول محمود السّعران: «إنّ للأصوات فيما بينها نحوا خاصا، إن علاقاتها تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد أن هذا الصّوت ينقلب صوتا جديدا إذا وقع في سياق صوتي معين، ونجد أن صوتا ثالثا يحذف إذا توافر فيه وفيما يجاوره شروط معينة»،[1] ففي كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، مُكونة بذلك نظاما متجانسا تنسجم عناصر هياكلها فيما بينها[2].

تتأثر الأصوات اللُّغوية بعضها ببعض في المتصل بالكلام، فمن الأصوات ما يقع عليه التّأثير بشكل سريع، مما يؤدي إلى الاندماج في غيره، والبعض الآخر لا يمتلك خاصية الاستجابة الفورية لهذا التّطور. يقول عبد الصّبور شاهين: «ومن البين أن التّأثر قد يكون جزئيا، بمعنى أن يفقد الصّوت صفة من صفاته كالجهر والهمس، ويتحقّق الصّوت حينئذ ببعض صفاته الأخرى، وقد يكون كليا بمعنى أن يفقد الصّوت وجوده كلّه ويصبح صوتا آخر»[3].

ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السّر فيما قد يصيبها من تأثر «فتتغير مخارج بعض الأصوات، أو صفاتها لكي تتّفق في المخرج أو الصّفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التّوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصّفات ذلك أنّ أصوات اللّغة تختلف فيما بينها، كما نعرف في المخارج وفي الشّدّة والرّخاوة والجهر والهمس والتّفخيم والتّرقيق وما إلى ذلك، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلّها أو في بعضها»[4]، ومن هنا تنشأ عملية التّأثير والتّأثّر بين الأصوات، وهي ظاهرة شائعة في كل لغات العالم.

1- محمود السّعران، علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي، ص: 200.

2-ينظر: فندريس، اللُّغة، ص: 62.

3- أبو عمرو بن العلاء، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1408هـ-1987م، ص: 232.

4- رمضان عبد التّواب، التّطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 22.

والأصوات في تأثرها تهدف غلى تحقيق نوع من التّشابه، أو التّماثل بغية التّقارب في الصّفة والمخرج، وخلق نوع من التّوافق بينهما، «ويمكن أن نسمي هذه الدّرجة من التّأثر بإمكانية التّكيف والانسجام الصّوتي اللُّغوي»[1]. والانسجام الصّوتي من الظّواهر البارزة في اللُّغات، فإذا ما اشتملت كلمة على بعض الأصوات المتباينة نراها تتغيّر وفي أثناء هذا التّغير تحاول تقريب تلك الأصوات فيما بينها، ومن هنا تقع عملية التّأثير والتّأثر بين الأصوات اللّغوية، والّتي هي مصدر التّغيرات الصّوتية.

نعني بمصطلح التّغيرات الصّوتية تلك الاختلافات والفروق الّتي يدركها السّامع في أثناء سماعه للصّوت الواحد في عدّة مواقع من الكلمة، أو منطوقا من قبل عدّة أشخاص[2]، فالعربية في مستواها الفصيح لأصواتها سمات خاصة من حيث المخرج والوظيفة، هذه الأصوات قد يعتريها إبدال في العامية[3]، وقد قسّم علماء الأصوات هذه التّغيرات إلى قسمين أساسيين: مطلقة ومقيدة.

فالتّغيرات المطلقة تشمل التَبَدُلات الّتي تحصل عن طريق التّحول في النّظام الصّوتي من جراء تعاقب الأجيال في تعاملهم مع اللُّغة، أو كما عرّفها رمضان عبد التّواب: «تلك التّغييرات الّتي تحدث مع التّحوّل في النّظام الصّوتي للّغة بحيث يصير الصّوت اللّغوي في جميع سياقاته صوتا آخر»[4].

إن التّغييرات التّاريخية غير مشروطة، تحدث مع تطور الكلام بغض النّظر عن السّياق الصّوتي[5]، بمعنى أنّها إذا أصابت صوتا ما فإنّها لا تصيبه في تركيب دون آخر، بل تصيبه في كلّ تركيب من تراكيب اللّغة، من ذلك أن الأصوات اللّثوية (ث، ذ، ظ) أبدلت في كثير من اللّهجات

1- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللّغوية، ص: 283.

2- ينظر: آمن عبد المالك، مصطلحات الدّراسة الصّوتية في التّراث العربي (دراسة وتقويم)، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في فقه اللّغة،جامعة الجزائر، معهد اللّغة والأدب العربي، 1987م، ص: 413.

3- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدّلالة والمعجم، دار الغريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 2001م، ص: 67.

4- رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي: علله ومظاهره وقوانينه، ص: 17.

5- ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللُّغة، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، القاهرة، دط، 1987م، ص: 48.

العربية العامة بالتّاء والدّال والضّاد أو الزّاي المفخمة، فهذه الأصوات لم تبدل في تركيب وبقيت في آخر بل اختفت كليا من جميع تراكيب اللّهجات العربية[1].

ويُعَدّ صوت القاف في العربية ولهجاتها العامية مثالا حيا لهذا النّوع من التّغير الصّوتي فقد عدّه اللّغويون القدامى من الأصوات المجهورة[2]، فإنْ صدق وصفُهم هذا نقول ربما وصفوا قافا أخرى غير هذه الّتي نسمعها من مجيدي القرّاء هذه الأيام، وكان ذلك النّطق من التّغيرات التّاريخية المطلقة في العربية القديمة[3]. ولقد تعرضت "القاف" إلى تغييرات في اللّهجات العامية في مختلف أنحاء الوطن العربي مثل:

أ-تحول هذا الصّوت إلى همزة في الحواضر العربية في مصر وبلاد الشّام عامّة وفي مدينة تلمسان[4] بالجزائر، فـ"قَالَ" تنطق عند سكان هذه المناطق "آل" و"قَلْب" تنطق "أَلْب" ومن العبارات المشهورة في العامية التّلمسانية قولهم: "الْفَارْ مْأَلَّأْ مَزْهَرْ لْأَطْ" في: الفَارْ مقلق مَزْهَر القط.

وتطور القاف إلى همزة هو قانون عام في لهجات معظم الحواضر العربية في مصر وبلاد الشّام، ففي القاهرة كما في الإسكندرية كما في القدس والخليل واللّد والرَمْلَة كما في دمشق وبيروت، وجميع السّكان الأصليين في هذه المدن ينطقون القاف همزة، ويبدو أن هذا النوع من التّطور في القاف قديم في اللّغات السّامية[5].

1- ينظر: محمد الأنطاكي، الوجيز في قفه اللّغة، مكتبة دار الشّرق، بيروت، ط: 3، 1389هـ-1969م، ص: 276، وينظر: محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 54.

2- ينظر: سيبويه، كتاب، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1411هـ-1991م، ج: 4، ص: 478.

3- ينظر: رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 17.

4- ينظر: التيجيني بن عيسى، حول تحول صوت الهمزة إلى قاف، لهجة تلمسان وعلاقتها بالعربية الفصحى، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 1990-1991م.

5- ينظر: فوزي حسن شايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1425هـ-2004م، ص: 55.

وتطور القاف إلى همزة كان معروفا لدى العرب قديما، فقد روى أبو الطّيب (ت351هـ) قولهم: «القَفز والأَفز»،[1] والتّفسير الصّوتي لهذه الظاهرة أن القاف تأخر مخرجها إلى الخلف باحثا عن أقرب الأصوات شبهها من النّاحية الصّوتية ولا يوجد في أصوات الحلق ما يشبه القاف إلّا الهمزة وذلك لوجود صفة الانفجار في كلّ منهما[2].

ب-تطور صوت القاف إلى كاف وهذا النّطق شائع على نطاق واسع لدى كثير من الفلسطينيين[3]، وعند سكان جيجل وسكان السّواحيلية[4]، فالسّواحليون يقولون مثلا:

-كَرْدَحْ مَرْدَحْ كْلِيلْ انِيَّه مَا يَرْبَحْ.

بإبدال القاف كاف في: "قَرّدَح" و"قْلِيلْ".[5]

وهذا التّطور موصول الأسباب بلهجات عربية قديمة فهو امتداد لها فقد نسبت هذه الظّاهرة إلى بني تميم وعلى لهجتهم قول الشّاعر[6]:

وَلَا أَكُولُ لِكَدْر الكَوْمِ كَدْ نَضجَت وَلَا أَكُولُ لِبَابِ الدَّار مَكْفُولُ

وهذا التّطور ناشئ عن تقدم مخرج القاف إلى الأمام قليلا مع ترقيقها واحتفاظها بصفة الشّدة في نطقها، فالقاف والكاف متقاربتان في المخرج متماثلتان في صفتي الشّدّة والهمس، فالقاف صوت لهوي شديد مهموس، والكاف من أصوات أقصى الحنك شديد مهموس فلا فرق بين القاف

1- الإبدال، تحقيق: عز الدّين التنوخي، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق، سوريا، دط، دت، ج: 2، ص: 562.

2- ينظر: فوزي حسن الشّايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة، ص: 55.

3- ينظر: رمضان عبد التّواب، التطور اللّغوي: وعلله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

4- السّواحلية تقع في أقصى الشّمال الغربي للجزائر، تعرف حاليا بـ تونان مقر الدائرة، إضافة إلى مزاورو، بوقدامة، بيدر، الغزوات وباب خروفة، الصّخرة...

5- ينظر: جيلالي بن يشو، الخطابات اللّهجية في منطقة ترارة دراسة صوتية ومورفولوجية، لنيل شهادة الماجستير في علم اللهجات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 1999-2000م، ص: 50.

6- أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ص: 54.

والكاف إلّا أنّ القاف أعمق قليلا في مخرجها[1]. قال ابن خالوية (ت370هـ): «والعرب تبدل القاف كافا، والكاف قافا لقرب مخرجيهما»[2].

وقد عقد أبو الطّيب اللّغوي بابا في كتاب الإبدال ذكر فيه عددا كبيرا من الكلمات الّتي أبدلت فيها القاف كافا نحو: الأَقْهب والأَكْهب، والقسْط والكسْط، وقَشطَت وكَشطَت، وقَهَرته وكَهَرْته[3].

كما ذكر الزّبيدي (ت379هـ) أنّ العامة في عهده كانت تقول: اسْتَكْتَلَ في الأمر بدلا من اسْتَقْتَلَ[4]، وذكر ابن مكي الصّقلي (ت501هـ) أنّ العامة كانت تقول للقميص الّذي لا كمي له بَكِيرة بدلا من بَقِير، ويقولون لبعض الأوعية: حَكّة بدلا من حَقة، ويقولون تَرَكُوه بدلا من تَرَقُّوه[5].

ج-كما تطور صوت القاف إلى كاف طبقية مجهورة أي إلى جيم قاهرية (g) وهذا عند أغلب سكان البدو بالجزائر وبفلسطين، وفي اللّهجة الأردنية الدّارجة وفي اللّهجة اللّيبية[6]. كما يشيع في لهجات الصّعيد المصري[7].

د-هناك تغييرات مطلقة أخرى طرأت على هذا الصّوت، فهو في كلام أهل السّودان وجنوب العراق غينا، فنسمعهم يتحدثون عن "الاسْتِغْلال" وهم يقصدون بذلك "الاسْتِقْلال"[8]. ينطق بعض النّاس في بلاد فارس الغين قافا، والقاف غينا، فقد قِيل لرجل من مازندران[9]. لماذا تلفظون الغين

1- رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللغة، ص: 55

2- ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، دط، دت، ص: 122.

3- ينظر: أبو الطّيب اللُّغوي، كتاب الإبدال، تحقيق عز الدّين التنوخي، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية بدمشق، 1960، د ط، ج: 2، ص: 353 وما بعدها.

4- ينظر: عبد العزيز مطر، لحن العامة، القاهرة، ط2، 1981م، ص: 200.

5- ينظر: عبد العزيز مطر، تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان، القاهرة، دط، 1425هـ-2004م، ص: 94.

6- ينظر: فوزي حسن شايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة، ص: 57.

7- ينظر: كمال بشر، علم اللُّغة العام –الأصوات–، دار المعارف، مصر، دط، 1980م، ص: 110.

8- ينظر: رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي: علله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

9- منطقة ببلد فارس.

قاف والقاف غينا؟ فقال اسْتَقْفِرُ الله من يَغُولُ هذا؟[1] والتّفسير الصّوتي لهذا التّطور يرجع إلى ضياع الانفجار من صوت القاف وإلى تقدم مخرجها إلى الأمام قليلا[2].

هـ-كما تطورت القاف إلى صوت مزدوج كالجيم الفصيحة، وينتشر هذا النّطق في بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين، إذ يقولون الجبْلة بدلا من القبْلة[3]. كما ينتشر هذا النّطق بين البدو في جنوب الأردن فيقولون في اقْعُد: اجْعُد، ويوم القِيَامة: يوم الجِيَامة، وفي أشعارهم يقولون:

ولك يا غراب حَيِّد عَن طيريجِي وأريد أشرب مَيَّه بالبَرِيجِي.

أي: طريقي والإبريق[4].

و-ومن مظاهر تطور صوت القاف أنه ينطق صوتا مزدوجًا من الدّال والزّاي، عند سكان مدينة الرّياض في مثل "دْزِبْلَة" في "قِبْلَة"، و"المِدْزِيبرَة" في المقْبَرة، و"دْزِلِيب" في "قْلِيب" بمعنى البئر[5].

وتطور صوت القاف إلى صوت مزدوج يرجع إلى قانون الأصوات الحنكية، حيث تنزع الأصوات الطّبقية إلى تقديم مخارجها إلى الأمام قليلا، فيُصَيّرُها صوتا مزدوجا الطّريقة نفسها الّتي تمَّ بها تحول الكاف "g" السّامية إلى صوت مزدوج في العربية هو صوت الجيم "dz" والدّليل على ذلك أن القاف لا تعاني من هذا القلب إلّا إذا وليتها كسرة[6].

فالملاحظ أنّ التّطور الّذي أصاب القاف هنا بأنواعه كان بتغيير مخرجها، إمّا بانتقال المخرج إلى الوراء أو إلى الأمام، فتعمق القاف في الحلق لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف في الحلق إلا الهمزة، فليس من أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة، أما الانتقال بمخرج القاف إلى

1- الصّياد فؤاد عبد المعطي، القواعد والنّصوص الفارسية، بيروت، ط:2، 1970م، ص: 27.

2- ينظر: فوزي حسن شايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة، ص: 59

3- ينظر: رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

4- ينظر: مجلة العربي، مجلة ثقافية تصدر عن دولة الكويت، العدد 287، مقال لأبي الرّب توفيق بعنوان: أصالة لغوية في اللّهجات الأردنية، ص: 159.

5- رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي: علله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

6- رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللّغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعي، الرّياض، 1982م، ص: 11.

الأمام فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف[1]. هذا التّطور الّذي أصاب صوت القاف له ما يبرره من النّاحية الصّوتية.

أمّا التّغييرات التّركيبة (المقيّدة) فهي الّتي تحصل للأصوات مشروطة بتجاورها في سياقات صوتية معينة فيحصل بينها تفاعل وتبادل في التّأثير والتّأثر، يعرّفها رمضان عبد التّواب بأنّها: «تلك التّغييرات الّتي تصيب الأصوات من جهة الصّلات الّتي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة»[2]. وتمتاز هذه التّبدلات بأنّها سريعة تحدث للصّوت بمجرد أن يدخل تركيبا، وبين أحد أصواته تنافر مثال عن ذلك أن السّين المهموسة تتأثر بالرّاء المجهورة قبلها فتقلب إلى نظيرها المجهور، وهو الزّاي كما في كلمة مهْرَاس الّتي تنطق مهْرَاز. كما أنّها مشروطة بالتّركيب ومحدودة به؛ بمعنى أنّ هذا النّوع يحدّده السّياق وتأتي بطريقة طارئة فتصيب الأصوات من ناحية الصّلة الّتي تربط الصّوت بالآخر في الكلمة الواحدة: «فهي لذلك مشروطة بتجمع صوتي معيّن، وليست عامّة في الصّوت في كل ظروفه وسياقاته اللُّغوية»[3]. ومن ذلك أن الباء إذا تلت نونًا ساكنة تتحوّل هذه الأخيرة إلى ميم في مثل:

انْبَعَث ⟵ امْبَعَث

مِنْ بَعْد ⟵ مِمْبَعْد

هذه التّغييرات هي الّتي آثر المشتغلون بعلم اللُّغة الحديث تسميتها بالقوانين الصّوتية، مثل تلك الّتي توضح المقابلات الصّوتية بين العربية الفصحى واللّهجات العربية[4].

1-ينظر: رمضان عبد التّواب، المدخل إلى اللُّغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ-1997م، ص: 80-81.

2-رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 22.

3-نفسه، ص: 22.

4- ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، ص: 49.

4-أثر القوانين الصّوتية في التّغيرات الصّوتية:

إن التّغييرات والتّطورات الّتي تتعرّض لها الأصوات اللُّغوية تخضع لقوانين تتحكّم فيها وتسيرها، ولا تقل في صرامتها وثباتها عن القوانين الأخرى، وقد اتجهت عناية الباحثين في أواخر القرن التّاسع عشر إلى كشف القوانين الّتي تخضع لها الظّواهر اللُّغوية في مختلف أشكالها ومناحيها، فاهتدوا إلى طائفة كبيرة من القوانين، منها ما يتعلّق بحياة اللُّغة، ومنها ما يتعلّق بوظائفها، ومنها ما يتعلق بالدّلالات والأصوات، كلّ هذه الظّواهر اللّغوية كما يقول "علي عبد الواحد وافي" تسير وفقا لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطّرادها عن النّواميس الخاضعة لظواهر الفلك والطّبيعة والرّياضيات والفيزياء والكيمياء[1].

يرجع الفضل في توكيد هذا الاتجاه إلى مدرسة نحوية ألمانية الأصل أطلق على أفرادها [2]. اسم المحدثين من علماء القواعد new grammairiens أو The Young grammairiens، الّتي قررت أن الظّواهر اللّغوية لا تسير وفقا لإرادة الأفراد وتبعا للأهواء والمصادفات، وإنما تسير وفقا لقوانين وِلْهِلْم شِيرَر Wilhelm shrer: «إن تغييرات الصّوت الّتي يمكن أن نلاحظها في تاريخ لغوي موثق قد نشأت طبقا لقوانين ثابتة لا تعرف استثناء إلّا وفقا لقوانين أخرى»[3].

تتعرّض الأصوات من خلال تجاوزها في السّياق إلى تطورات وتغيرات تحصل بفعل قوانين صوتية، ليس للإنسان سبيل عليها، ولا دخل لإرادته في توجيهها، وقد لاحظ علماء الأصوات أن التّغير في الهيكل الصّوتي يطّرد في كثير من الأمثلة وهي نتيجة قوانين صوتية. فالفونيم الواحد في سياق صوتي معين، وفي لغة معينة وفترة زمنية محددة لابد أن يلحقه نفس التّغيير في كل كلمات

1-علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، ص: 49.

2-من أبرز وأشهر أفراد هذه المدرسة: هرمان بول، لسكين، وبرجمان، وأستوف، ولهلم شيرز.

3-In introduction to the theorical linguistics- lyons jones combridge university press p : 228.

اللُّغة المعينة، ومن ثم أطلقوا على هذه التّغييرات مصطلح "القوانين الصّوتية" وقد تبلورت الفرضية العلمية لطبيعة القوانين الصّوتية لأوّل مرّة على يد الألماني "لِسْكْيَن Leskien " عام 1876م[1].

ويعدُّ اللُّغوي السّويدي "أَكْسَال كُوكْ Axel kock" من الأوائل الّذين أطلقوا مصطلح "القوانين الصّوتية" حيث نشر عام 1869م، دراسة جذب فيها الانتباه إلى سلسلة من العوامل الّتي تقلل من فاعلية القوانين الصوتية[2].

كما وضع "مُورِيس قْرَامُونMaurice grammont " في مؤلفه التخالف dissimilation قوانين تطبق على جميع اللّغات[3]. ونشر العالم الألماني "جْرِيم Grimm" (1785-1863) كتابه "قواعد الألمانية" سنة 1848، وقرر فيه أن تطور الحركات في الألمانيةLaut verchiebung نتيجة لتطور الدّلالة، وقد سمى القواعد الّتي سار عليها هذا التّطور في الأصوات باسم القوانين الصوتية وعرفت فيما بعد باسم: "قوانين جريم Grimm Law"[4]. «ويستند القانون إلى المبدأ القائل بأن تغييرًا عظيمًا حدث على أصوات اللّغات الهندوأوروبية، فشهدت اللُّغة الإنكليزية تغييرًا منتظمًا في صوامتها حدث مرّة واحدة في تاريخها وطبقا لهذا القانون، فإن الصّوامت المصحوبة بنفثة هواء Unaspirated في اللُّغات الكلاسيكية القديمة من المجموعة الهندوأوروبية (السّنسكريتية واليونانية واللاتينية) تغيرت وأصبحت صوامت مصحوبة بنفثة هواء Unpirated، وفي الوقت نفسه تغيرت الصّوامت المجهورة غير المصحوبة بنفثة هواء وهي: g.d.b. فأصبحت صوامت مهموسة أي (k.t.p) كما تحول لفظ الصّوامت [K]، [t]، [P] إلى [x]، [a]، [f]».[5]

1-ينظر: برتيل مالمبرج، الصّوتيات، ص: 182.

2- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 318.

3- ينظر: اللّسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي ومفتاح بين عروس، دار الآفاق الجزائر، دط، 2001م، ص: 132.

4- ينظر: فندريس، اللُّغة، ص: 71.

5- شحادة فارع وآخرون، مقدمة في اللّغويات المعاصرة، دار وائل النّشر، ط: 1، 2000م، ص: 279.

نوضح ذلك من خلال الجدول التالي:

الهندوأوروبية	الألمانية
b^h	B
d^h	D
g^h	G

الهندوأوروبية	الألمانية
B	P
D	T
G	K

الهندوأوروبية	الألمانية
P	F
T	A
K	H ⟵ X

هذا الجدول يمثل "قانون جريم Grimm law"، وهو يعالج التّحولات الّتي حصلت في وقت من الأوقات في الصّامتات الهندوأوروبية، ويشير إلى أنّه ينجم على العموم تطور بنياني للتّنظيم ككلّ، بسبب تغير عنصر واحد في هذا التّنظيم[1].

ومن ذلك يستطيع القارئ أن يكوّن فكرة عن المعنى والقيمة الّتي يجب أن تعطى لمصطلح القانون الصّوتي ها هنا. و«إذا حدث لأيّ تغيّر صوتي أن صار فعّالًا في منطقة معينة وزمن معيّن، فإنّه يتوقّع له أن يكون تأثيره عاما إلّا إذا تداخلت عوامل أخرى أجنبية»[2]. ويجب أن نؤكّد أنّه ليس بالضّرورة أن تقوم هذه القوانين بالعمل على سائر اللّغات أو اللّهجات، فقد نجد تطورا صوتيا في إحدى اللّهجات في حين لا نجد مثله في لهجة أخرى، إنّها قوانين تطبق على أنواع النّشاط اللّغوي الإنساني، أو هي علاقة بين حالتين متتابعتين للُّغة واحدة في وسط اجتماعي معين.

وحين قبل اللغويون مصطلح "القوانين الصّوتية" تحدثوا عنها في صورة اتجاهات تحكم الأنظمة الصّوتية. «وأغلب ما يطلق عليه اللّغويون "قوانين" لغوية ليس في جوهره إلّا خلاصات مُرَكَّزَة نصف

1-ينظر: ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللُّغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص: 112.

2- ماريو باي، أسس علم اللُّغة، ص: 140.

ما كان أو ما هو كائن في جانب من الجوانب، ولا يتضمن مُقدمًا الحكم على نفس الظّاهرة لو توافرت فيها نفس الشُّروط مستقبلا، وهذا أصدق ما يكون يعرف في الدّراسات اللُّغوية بالقوانين الصّوتية»[1].

إن أصحاب الدّراسة الصّوتية لا يقصون من وراء القوانين الصّوتية سوى رصد ظاهرة صوتية معينة وتسجيلها ليس غير. فقد لاحظوا كثرة الأمثلة الّتي تتحقّق فيها تلك الظّاهرة فوضعوها في صيغة من الصّيغ، أو في معادلة من المعادلات، أو في قانون من القوانين دون أن يضمنوا قانونهم هذه الحتمية الّتي يتضمنها القانون في علم الفيزياء والكيمياء أو الرّياضيات. «ويجب أن يؤكّد أن مصطلح القانون الصّوتي هذا لا يقصد به المعنى المستعمل في العلوم الفيزيائية والطّبيعية والرّياضية مثلا، فالقانون الصّوتي لا يساعدنا على ضبط الأحداث اللُّغوية كما هو الحال بالنّسبة إلى القانون الكيماوي، ولهذا لا نستطيع استعمال القوانين الصّوتية على نطاق واسع لأن بطبيعتها غير دقيقة»[2].

ولذلك، نجد بعض اللّغويين بفضل استخدام مصطلح "ميول"، أو "اتجاهات صوتية" phonetictendenciesبدل مصطلح قانون. وهو ما يؤكده "مَالَمبرجMalmberg" الّذي يقول: « نتحدث في يومنا هذا عن الميل الصّوتي phonetictendencyلا القانون الصّوتي، فكلّ نظام صوتي تحكمه ميول نطقية وبنيوية معينة، ويصدق هذا على أغلب الحالات إلا أن بعض الكلمات ولأسباب عديدة تظل بمنأى عن أثر هذه الميول الّتي نحن بصددها»[3].

وحتى من يقبل الآن مصطلح "القوانين الصّوتية" يشترط عدم مقارنتها بالقوانين الطّبيعية أو الكيميائية، لأنّ ثمة فرقا بين القوانين في العلوم الدّقيقة، وعلوم الطّبيعة والحياة والقوانين في العلوم الإنسانية والاجتماعية. «فمن المعروف مثلا أن القوانين في العلوم الطّبيعية، تصدق دائما بقطع النّظر عن المكان والزّمان، فالتّيار الكهربائي إذا وقع تحت ظروف معينة سوف يحلل الماء إلى أكسجين وهيدروجين في أي مكان، وفي أي زمان، وسوف يكون في استطاعتنا أيضا أن نتنبأ ببعض النّتائج

1- محمود السّعران، علم اللّغة: مقدمة للقارئ العربي، ص: 20.
2- صلاح الدّين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات: دراسة مقارنة، ص: 72.
3- برتيل مالمبرج، الصّوتيات، ص: 173، 174.

الأخرى إلى حد معين. أما قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إنها تنبئ فقط على قدر معين من الاطراد في التّطورات السّابقة في حدود معينة، من حيث الزّمان والمكان؛ أي أنها تشير أن صوتا معينا قد تطور إلى صوت آخر بذاته، في فترة كذا، وفي لغة كذا، تحت ظروف معينة محددة تحديدا دقيقا»[1].

والغاية من عمل هذه القوانين في اللُّغة هو تيسير النُّطق وتسهيله عن طريق تشذيب الصّيغ وتهذيبها وتلخيصها من كل الشّوائب النّطقية التي قد تفرزها بعض السّياقات الصّوتية والصّياغات القالبية، والّذي يترّتب عليه تشويه لعملية النّطق وإجهاد لأعضائها بسبب تتابع مجموعات صوتية يكره ويستثقل تتابعها، فعمل القوانين الصّوتية لا يزيد على كونه تجميل لغوية[2].

4-العوامل المتحكمة في التّغير الصّوتي:

تتحكم في التّغير الصّوتي مجموعة من العوامل منها ما يتعلق بالجانب البيئي أو الجغرافي ومنها ما يتعلّق بالحالة النّفسية للمتكلم، كما تتداخل عوامل أخرى كنظرية السّهولة ونظرية الجهد الأقوى.

أ-أثر البيئة الجغرافية في التّغير الصّوتي:

للظّروف الجغرافية والمناخية تأثير كبير على أصوات اللُّغة، فشدّة الطّبيعة أو ليونتها تنعكس على النّاس فتطبعهم بطباعها، ويظهر ذلك في الأصوات المنطوقة[3]، وممن نادى بهذه النّظرية اللّغوي "كُولِيتْسcoolitz": «فقد عزا تطور الأصوات الشّديدة في اللُّغة الألمانية إي نظائرها الرّخوة للطّبيعة الجغرافية في بعض ألمانيا، وقد أكّد في مقالاته أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التّخلص من أمثال b.d.g فتهمس أوّلا وتصبح على التّرتيب p.t.k ثم تُقْلب إلى نظائرها الرّخوة، الفاء، الثّاء، الهاء، على التّرتيب»[4].

1-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللُّغة، ترجمة: كمال بشر، شركة مطابع الطّناني، ط2، 1996م، ص: 187-188.
2- فوزي حسن الشّايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة، ص: 63.
3-ينظر: عاطف مدكور، علم اللُّغة بين التّراث والمعاصرة، ص: 279.
4-إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ط4، 1971م، ص: 234.

وتفسير ذلك مردّه إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطًا في عملية التّنفس ما يتبع في ذلك ميل بالأصوات من الشّدة إلى الرّخاوة[1]. ويسوق بعضهم تفسيرًا لهذه الفوارق النّطقية الّتي تبدو على ألسنة المتكلمين المنحدرين من منشأ جبلي أو مدني، ذلك أن بيئة الجبال أنقى وأكثر هواء من بيئة السّهول، ولذلك كانت رئتا سكان الجبل أكبر حجما من رئتي ساكن السّهل مما يجعله قادرا على استيعاب قدر أكبر من الهواء، وعندما يتكلم فإنه يندفع من رئتيه كمية من الهواء تفوق ما تزفره رئتا ساكن المدينة، فينعكس ذلك على عملية النّطق حيث تبدو الخشونة الّتي ترمز إلى خشونة الطّبيعة وقساوتها، وتتجلى الرّقة الّتي تمثل رقة الحضارة ونعومتها، فالجَبَلي مضطر إلى أن يعتمد على جهورة صوته وقوته ومداه البعيد؛ لأنّه الوسيلة الوحيدة عندما ينادي على إنتاجه وحيواناته وحين يتبادل أطراف الحديث مع أقرانه في الحقول والوديان والجبال، فكما أن عضلات أطرافه قوية كذلك عضلات فكيه وأوتار صوته، إذ يُدَرِّبُها منذ الطّفولة على المَوَاويل والأغاني الشّعبية الصّداحة، أما ساكن المدينة فليس مضطرا إلى الصّوت البعيد المدَى؛ لأن جاره بقربه ووسائل الاتصال الحديثة تغنيه عن الصّوت المجهور، فبديهي أن طبيعة البيئة السّهلة في المدن والسّهول والسّواحل، تنتج إنسانا رقيقًا في تكوينه وطبعه[2].

وقد تصدى لهذه النّظرية علماء منهم "يَسْبَرسَنJesperson" الّذي اعتبر أن هذا التّفسير لا يُؤازره العلم، ذلك أن التّطور أشار إليه "كُوليتْسCollitz" قد حدث مثله في البيئات السّهلية[3]. وليس أدّل على ذلك من أننا نجد الأصوات المفخمة في جبال لبنان وصحراء جزيرة العرب مثلما نجدها في سهل وادي النيل[4]، فمن الصّعب الحكم عَلَى أثر الطبيعة الجبلية في أصوات اللّغة وتغيرها[5].

ب–الحالة النّفسية وأثرها في التّغير الصّوتي:

1–ينظر: محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللُّغة، ص: 278.

2–ينظر: ماجد الصّايغ، الأخطاء الشّائعة وأثرها في تطور اللّغة العربية، دار الفكر اللّبناني، بيروت، ط: 1، 1990م، ص: 56.

3–ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص: 235.

4– عاطف مدكور، علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة، ص: 280.

5– ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص: 235.

يرجع بعض اللّغويين التّغييرات الصّوتية الّتي أصابت لغات كثيرة إلى أسباب نفسية، فالاستنفار الدّائم الّذي يعيشه مجتمع معين يولّد قَلقًا وتوترا نفسيين، يحدّد أن نوع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، واعتزاز الشّعب بقوته، وعُنْفُوَانه يؤديان إلى أسلوب خاص من التّراكيب اللّفظية الّتي تميل إلى الشّدّة، وكذلك الرّخاء والاستقرار يُوَلِدَان حالة الاسترخاء والميل إلى الدّعة، وبالتّالي تميل أصوات اللُّغة إلى الانتقال من الشّدّة إلى الرّخاوة.

ويلتمس أصحاب هذه النّظرية أدلّتهم من التّطور التّاريخي الّذي مرّ به الشّعب الألماني[1]. ومن هؤلاء الألماني "جْرِيم Grimm" الّذي «عزا التّغييرات الصّوتية في اللُّغة الألمانية إلى النّزعة التّقدمية الّتي يمتاز بها الشّعب الألماني، فهو شعب تَوَّاق إلى الحرية، ولذا فهو لا يعرف الثّبات، ومن ثم فقد تغيرت أصواتهم اللُّغوية»[2]. فإذا مال الشّعب إلى الدِّعَة والاستقرار مالت أصوات لسانه إلى الشّدّة.

ويرى وِلْهِلْم شِيرَرْWilhelmsherer أن تاريخ الأصوات عند الألمان هو انعكاس لتاريخ تطور الذّوق العام عندهم. ويذهب إلى أن تحول الألمان عن الأصوات الانفجارية p.t.kإلى الأصوات الاحتكاكية b.p.g ما هو إلّا رد فعل لشغف الشّعب الألماني حينئذ بالأصوات اللّينة[3].

ومن اللّغويين العرب الّذين يتفقون مع هذا الطّرح "إبراهيم أنيس" يقول: «غير أنه يستأنس لهذا الرّأي بما نعرفه عن اللّهجات العربية القديمة، وميل البيئات المتحضرة في جزيرة العرب إلى الأصوات الرّخوة في حين أن البيئات البدوية كانت تميل إلى الأصوات الشّديدة»[4].

وفي بعض البيئات العربية تكون التّغيرات الصّوتية منوطة بالحالة النّفسية، والحالة الاجتماعية والطّبيعية اللُّغوية، فَخذْ مثلا أهل مدينة الخليل بفلسطين وبعض أهل الجزائر بحواضر تلمسان وندرومة يحرصون على إخراج التَاء مشربة بالسّين فيقولون في "تْمَرْ" "تْسمَرTsmar"، وفي رأي أحد الباحثين

1- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص: 235.

2- عاطف مدكور، علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة، ص: 280.

3- ينظر: عبد الرّحمان أيوب، اللّغة والتّطور، معهد الدّراسات العربية، ص: 35.

4- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 235.

أن إشراب التّاء سينا أصْلًا كان يُلَبّي حاجة نفسية فالتّاء السّاكنة صوت انفجاري عرضة للخفاء، وكان السّبيل إلى إظهاره تركيبة مع السّين، فتكون السّين بهذا سبيلا أكثر وضوحًا لإظهار التّاء السّاكنة، ثم اطّرَدت القاعدة بإكساب التّاء قَدْرا من الهمس في كلّ أحوالها في هذه البيئة الجغرافية استجابة منهم لذلك الحس النّفسي الّذي بالغت فيه هذه البيئة[1].

ج–اختلاف أعضاء النّطق من جيل إلى جيل باختلاف البيئات والأجيال:

يكاد علماء اللُّغة يجمعون أنّ أعضاء النّطق تختلف بعض الشّيء في بنيتها واستعدادها باختلاف الشّعوب، وباختلاف الظّروف المحيطة بكل شعب فحَنَاجِرُنا، وأَوْتارنا الصّوتية وألسنتنا وحُلُوقنا تختلف عمَّا كانت عليه عند آبائنا الأولين من حيث بنيتها الطّبيعية واستعدادها للنّطق، غير أنّ هذا الاختلاف لا يبدو أثره بشكل واضح إلّا بعد زمن طويل باعتبار أنّ التّطور الطّبيعي المطرد لأعضاء النّطق يسير ببطء وتدرج[2]. وأنّ تغير الأصوات من جيل إلى جيل ليس إلّا نتيجة تطور عضلي في أعضاء النّطق، فقد تبع الاختلاف في تكون أعضاء النّطق تغير في الأصوات[3].

ويرجع الفضل في توجيه الأنظار إلى أثر التّغيرات الجسمية الخاصة بأعضاء النطق في تطور أصوات اللّغة من ناحيتها الصّوتية إلى العالم اللُّغوي التّجريبي "رُوسُلوRousselot"، وكان ذلك عام 1890م[4]. ثم اهتدى لهذا الكشف عدد كبير من الباحثين نخصّ بالذّكر اللّغوي "هَارْمَان بُولْ Herman Paul".[5] ومن ذلك ما حدث لصوت الجيم الّذي تحول في معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطشة)، وفي معظم المناطق السّورية والمغربية إلى جيم معطشة (J)، إذ يتلاءم هذا الصّوت مع الاستعدادات النّطقية للأجهزة الصّوتية في البيئة المصرية والسّورية والمغربية، يقول علي عبد الواحد وافي: «تختلف أعضاء النّطق في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف

1- ينظر: إسماعيل أحمد عمايرة، تطبيقات في المناهج اللُّغوية، دار وائل للطّباعة والنّشر، ط: 1، 2000م، ص: 201.
2- ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، ص: 265.
3- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 232.
4- ينظر: علم اللُّغة، علي عبد الواحد وافي، ص: 41 وما بعدها.
5- نفسه، ص: 266.

الشّعوب وتنوع الخواص الطّبيعية المزود بها كلّ شعب، والّتي تنتقل عن طريق الوراثة من السّلف إلى الخلف»[1].

ومن الأدلّة الّتي تثبت هذا التّوجه تشعب اللُّغة اللاتينية إلى عدّة لهجات تحمل صفات الشّعوب الأوروبية النّاطقة بها وخصائصها، وكذلك اللُّغة العربية الّتي تبرز فيها اليوم عدّة لهجات تنسب إلى البلاد الشّامية والعراقية والحجازية والمغربية، لما في هذه اللّهجات من خصائص البيئة والشّعب الّتي تنتسب إليهما. «ومبلغ اختلاف هذه اللّهجات بعضها عن بعض في أصواتها يتبع إلى حدّ كبير مبلغ اختلاف النّاطقين بها بعضهم عن بعض في أصولهم الشّعبية، فكلما كان هؤلاء متجانسين في أصولهم ضاقت مسافة الخلف بين لهجاتهم في ناحيتها الصّوتية، وكلما تعدّدت الأصول الشّعبية الّتي ينتمون إليها اتسعت هذه المسافة»[2].

ونجد مثل هذا التّغير في اللّهجات العربية كتحول الذّال إلى زاي في البيئة المصرية فيقال: زِئْب، زِهْن، زَكِي في: ذِئْب، وذِهْن، وذَكِي.

وتطور القاف إلى همزة في اللّهجة التّلمسانية في قولنا: أُلْت، نْطَأ في قُلْت وانْطَقْ[3].

إنّ أي تغيير على جهاز النّطق ينعكس على مخارج الأصوات، ويظهر ذلك جليا على الشّعوب الّتي تبتر جزءًا من الشّفتين، والأعضاء قصد التّجميل لدى الفرد[4]. إلّا أنّ إبراهيم أنيس يعارض هذا الطّرح قائلًا: «ومثل هذه النّظرية على ما بها من جاذبية وطرافة لم يستطع أحد من علماء التّشريح البرهنة عليها، بل لقد برهن معظمهم على أنّ أعضاء النّطق عند الإنسان تتّحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التّشريح... فالأمر إذن ليس مرجعه في الحقيقة إلا النّاحية العقلية أو السّيكولوجية»[5].

1- علم اللُّغة، علي عبد الواحد وافي ، ص: 268.

2-نفسه، ص: 271.

3-ينظر: تيجيني بن عيسى، لهجة تلمسان وعلاقتها بالفصحى، ص 55 وما بعدها.

4- ينظر: ماجد الصياغ، الأخطاء اللُّغوية الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية، ص: 56.

5- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 232، 233.

د-نظرية الجهد الأقوى وتأثيرها في التّغير الصّوتي:

يذهب أنصار هذا القانون إلى القول إنّ الصّوت الّذي يمتلك هيمنة، وقوّة في صفاته وخصائصه الصّوتية يؤثر في الصّوت المجاور له[1]. وقد صاغ اللّغوي الفرنسي "مُوريس غْرَامون" Maurice grammont في كتابه "رسالة في الصوتيات"Traité de phonétique القواعد الّتي بمقتضاها تعمل هذه الظّواهر المختلفة للصّوتيات التّجميعية، ويعتبرها المؤَلِف قواعد عامّة في كل اللّغات، وسجل ملاحظاته في الاقتصاد الصّوتي وصَاغها في قانون سمّاه: قانون الغلبة للأقوى[2] The law of the stronger، ويقضي هذا القانون بأنه إذا أثَّر فونيم في آخر بطريقة، أو بأخرى فإنّ أضْعَفَها بحكم موقعه في المقطع أو شدّة النّطق به هو الّذي يقع تحت تأثير الآخر[3]. وقد تحدث عن الصّفات الّتي تجعل صوتا معيّنا أقوى من غيره، فجعلها منحصرة في القوّة، رافضا بذلك التّفسير النّفسي مستبعدا أن تكون لنفسية المتكلم دَخْل في إحداث عملية التّأثير بين الأصوات، بل يرجع ذلك إلى صفات يمتاز بها المؤثر دون غيره[4]. فقد تحدث عن تأثير الأصوات الصّامتة بعضها في بعض، فضرب لذلك مثلًا كلمة (bec) الّتي تنتهي بكاف انفجارية مهموسة، ولكن حين تلاها صوت الدّال في عبارة: bec de liévre تأثر صوت الكاف بالدّال في الجهر.

ويفسر "غْرَامُون" Grammont هذا التّأثير بأن صوت الدّال أكثر قوّة من صوت الكاف لا بطبيعته، لكن بحكم وضعه –أي الدّال- في موقع قَوِي لأنّه يشكل بداية مقطع، بالإضافة إلى أنه مَحْمِي بالكاف من تأثير الحركة السّابقة عليه، في حين أن صوت الكاف في وضع ضعيف، لأنه يشكل نهاية المقطع، بالإضافة إلى أنه مسبوق بحركة غير منبورة Voyelle inaccentuée.[5] فقد اهتمت عضلات النّطق بإصدار الدّال، ولَمْ تَهْتَم بإصدار الكاف، فنتج عن ذلك أنّ إحدى

1- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 268، وينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصّرف الصّوتي، دار أزمنة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1998م، ص: 145.

2- برتيل مالمبرج، ينظر: الصّوتيات، ص: 181.

3- نفسه، ص: 181.

4- عبد الصّبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي –أبو عمرو بن العلاء-، ص: 233.

5- نفسه، ص: 234.

الحركات النّطقية الّتي أعدت من أجل الدّال (d) وهي ذبذبة الحنجرة قد احتلت مجال الكاف (c).[1] ويضرب مثالا آخر عن تحول كلمة في الفرنسية Jusque إلى zysk فإن [s] تكون قد تماثلت لتصبح ساكنا شينيا وليس العكس، لأن في هذه الحالة انفجاري داخلي implosive في نهاية المقطع، وعلى ذلك فهي أضعف من السّاكن الأوّل في الكلمة[2].

وإذا عدنا إلى تراثنا اللُّغوي، فإنّنا نجد أنّ النّحويين العرب أشاروا إلى نظرية الأقوى، بالضّبط في سياق حديثهم عن مقاييس الإدغام حيث جعلوا التّأثير الإدغامي دائما للصّوت القوي. فقد نصّ أبو محمد البَطْليوسي (ت521هـ) على أن الصّوت الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف يقول: «وقد أجاز النّحويون في كل سين وقعت بعدها عين أو خاء معجمتان، أو قاف، أو طاء أن تبدل صادا، فإذا كانت صادا في الأصل لم يجز أن تقلب سينا، نحو سخرت منه، وصخرت، ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ**﴾[3] وأصبغ، و﴿**وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً**﴾[4] وبصطة، فمتى رأيت من هذا النّوع ما يقال بالصّاد والسّين، فاعلم أن السّين هي الأصل؛ لأن الأضعف يرد إلى الأقوى، ولا يرد الأقوى إلى الأضعف».[5]

ولتوضيح هذا القانون نأخذ وضع تاء الافتعال مع الأصوات المطبقة، فعندما نبني صيغة: "اتْفَعَلَ" من صَبَرَ، وضَرَبَ، وطَرَدَ، فإنّ الصّيغة الأصلية تكون: اتْصبَرَ واتْضَربَ، واتْطَرَدَ وهنا اتصلت التّاء اتصالا مباشرا بالصّوت المطبق لمجاورتها فهي مرققة مستفلة وتلك مفخمة ومطبقة، ووضع اللّسان معها مناقض لوضعه معهنّ بالإضافة إلى مجاورة التّاء والصّاد والطّاء والضّاد، يجعل الانتقال من التّاء إلى المطبق أثرًا صعبا مُجْهِدًا، غاية في الثّقل. ولتسوية هذا الوضع يتدخل قانون الأقوى للتّخلص من هذا الثّقل الناشئ عن تَتَابع هذه الأصوات فيحدث التّفاعل بينها، فيحسم الصّراع

1- عبد الصّبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي –أبو عمرو بن العلاء–، ص: 234.

2- برتيل مالمبرج، الصوتيات، ص: 181.

3-سورة لقمان، الآية: 20.

4-سورة الأعراف، الآية: 69.

5- أبو محمد عبد الله بن السّيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السّقا، حامد عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1981م، ج: 2، ص: 197.

لصالح الأقوى، وهو المطبق فتطبق التّاء لأنها الأضعف، ومن ثَمَّ تصبح الصّيغ: اطْصَبَرَ- اطْطَرَدَ- اطْضرَبَ[1]؛ لأن الإطباق كطاقة إضافية يمنح الصّوت المطبق قوّة نطقية تجعله الأقوى بالنّسبة لمقاربة غير المطبق، ومن ثَّم يكون من السّهل أن يتغلّب المطبق عليه ويبسط عليه نفوذه، يقول: أحمد مختار عمر: «إن أصوات الإطباق تمد نفوذها إلى ما يَسّبقها ويتبعها من الأصوات»[2]. فالإطباق أحد معايير القوّة الّتي تحدد قوّة الصّوت بالنّسبة لغيره.

ولكن عبد القادر عبد الجليل يعارض هذا الرّأي قائلًا: «ويبدو جليا أنّ هذا المذهب يمتلك بطاقة دخول ضيقة المتجه إلى ميدان القوانين الّتي تحكم الظّواهر الصّوتية وعليها إجماع غالبية العلماء، إذ أنّ بعض الأصوات المشهود لها بالقوة والسّطوة التّأثيرية تخضع للأضعف من الأصوات بسبب أو بآخر».[3] ولذلك فإن قانون مُوريِس غْرامونMaurice grammont وإن سُجِّل ضمن قوانين الاقتصاد الصّوتي إلّا أنه يجب أن يوجه بشكل أمثل[4]. ويبقى الصّوت القَوِي بحكم موقعه وصفاته يملك الهيمنة، ويؤثر على الصّوت الضّعيف المجاور له.

هـ-نظرية السّهولة وأثرها في التّغير الصّوتي:

يميل الإنسان بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي عن التّعبير، فيلتمس أيسر السّبل وأسهلها محاولا التّخلص من الأصوات العسيرة، للوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدّثين معه[5]. فهو لهذا يميل إلى استبدال السّهل من أصوات لسانه بالصّعب الشّاق الّذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكثر، ومَثَل الإنسان في هذا مثله في كل الظّواهر الاجتماعية، فهو يحاول الوصول إلى غرضه في أقصر الطّرق كلما أمكن ذلك[6].

1- ينظر: فوزي حسن الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص: 65.
2- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 329.
3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 268.
4- عبد القادر عبد الجليل، علم الصّرف الصّوتي، ص: 145.
5- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 235.
6- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللُّغة، ص: 280.

وممن نادى بهذه النّظرية وِيتْنِي Curtius whithneyالّذي يرى أن كل ما نكتشفه من تطور اللُّغة، ليس إلّا أمثلة لنزعة اللّغات إلى توفير المجهود الّذي يبذل في النّطق، وأنّ هناك استعدادًا للاستغناء عن أجزاء الكلمات الّتي لا يضرّ الاستغناء عنها بدلالتها[1].

وقد أشار النحويّون العرب القدامى إلى مثل هذه النّظرية عندما صنفوا الحركات إلى خفيفة كالفتحة وثقيلة كالضّمة والكسرة، وعندما وصفوا الحرف بالخفة كالحروف الشّفوية، وجعلوا الحروف تتدرّج في الصّعوبة كلما أوغلت عمقا في جهاز النّطق. يقول ابن دريد (ت 321هـ): «واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عن العرب الواو والياء والهمزة، وأقل ما يستعملون لثقلها على ألسنتهم الظّاء ثم الذّال ثم التّاء ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النّون ثم اللام ثم الرّاء ثم الباء ثم الميم، فأخف هذه الحروف كلّها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزّوائد لاختلاف المعنى»،[2] فالثّقيلة كالهمزة والهاء والعين أعمق الحروف، وأكثرها جهْدًا في النّطق، لأنّها تخرج من الحلقوم، وتزفر منها كمية من الهواء، وقد استثقلوا توالي المتحرّكات في الكلمات الواحدة أو توالي الأصوات المتماثلة[3].

وقد انقسم الباحثون إزاء هذه النّظرية بين مؤيد وعارض، فالمؤيدون فهموا أن التّطور الصّوتي غير إرادي دون أن يشعر به المتكلم، «فالمرء في الحقيقة حين ينطق بالصّوت السّهل بدل الصّعب، يخيل إليه دائما أنه ينطق بالصّوت الأصلي دون تغيير فيه، فالعملية إذن لا شعورية، وهي لهذا بعد تكرّرها تترك أثرا في تطور كثير من أصوات اللّغات، كما أنّها ليست عملية ذات أثر سريع، بل تمر في أطوار من اللُّغة حتى يظهر أثرها واضحا جليا بعد أجيال»[4].

أمَّا المعارضون فقد ردّوا على هذه النّظرية من عدّة وجوه:

-أوّلها: أنه لا يمكن بالضّبط معرفة ما هو سهل وما هو صعب[5].

1- رمضان عبد التَّواب، التّطور اللُّغوي، ص: 47.
2- ابن دريد، جمهرة اللّغة، دار صادر، بيروت، د.ت، ج: 1، ص: 12.
3- ماجد الصّايغ، الأخطاء الشّائعة وأثرها في تطور اللُّغة العربية، ص: 58.
4- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 236.
5- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللُّغة، ص: 281.

-ثانيها: أن أمر الصّعوبة والسّهولة أمر نسبي، فما هو صعب عند هؤلاء القوم سهل عند غيرهم، ألا ترى أن العين والحاء من أصعب الأصوات على الأعاجم، في حين أنها من أسهل الأصوات عند أبناء العربية[1].

-ثالثها: إنّ التّطور الصّوتي لو كان يجري في اتجاه السّهولة لَوَجَبَ أن تكون أصوات اللّغات اليوم كلها من نوع الميم والنون والفاء فقط؛ لأنها أسهل الأصوات[2].

-رابعها: ليس معنى هذا أنّ هذه النّظرية تنطبق على كلّ الحالات، وإنّما يمكن تطبيقها على كثير من التّطورات الصّوتية في اللُّغة، فإذا وجد الباحث أن التّطور الصّوتي كان عكسيًا أي من السّهل إلى الصّعب –كما وُجد فعلا في بعض الحالات– فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرز هذا التّطور. وهو بلا شك سيجدها في ظروف خاصة باللُّغة الّتي قد يحدث فيها هذا النّوع من التّطور. فليس ينقص هذه النّظرية أن نجد أحيانا أصواتا سهلة، تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات[3].

ومِنْ صور هذا القانون في العربية الفصيحة ولهجاتها العامية نذكر ما يلي:

أ-اندثار الأصوات الأسنانية: يعد اندثارها من آثار قانون السّهولة والتّيسير، حيث تحولت أصوات الثّاء والذّال والظّاء إلى أصوات أخرى قريبة من مخرج الأسنان، وذلك نظرا للجهد العضلي الّذي يصاحب نطقها، حيث يتطلّب تحقيقها إخراج طرف اللّسان، ووضعه بين الأسنان، وأنّ هذا بلا شك جهد عضلي تخلصت منه لغة العامة فينتقل المخرج إلى الدّاخل، حيث تحولت الثّاء إلى تاء، كما هو الحال في كلمات: ثَلاثة- ثَوْم- ثقِيل- ثَوب الّتي تنطق على ألسنة العوام تْلاتَة- تَوم- تْقِيل- تَوب بالتّاء بدلا من الثّاء. ويؤكد "رمضان عبد التّواب" هذه الظّاهرة قائلا: «صوت الثّاء من الأصوات الّتي فقدت في اللّهجة العامية واستعيض عنه فيها بالتّاء نحو تْقِيل (تْقِيل)[4]. وهذا

1- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللُّغة، ص: 281.

2- نفسه: ص: 281.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 236.

4- رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللّغوي، ص: 45.

الإبدال بين الثّاء والتّاء هو سائد في مختلف اللّهجات العربية العامية أو المتفَصِحة، وأصبح متفشيا اليوم على نطاق واسع في مختلف البلدان العربية»[1].

كما تحولت الذّال إلى دال كما هو الحال في: ذُنُوب- ذِئْب-ذَهَب حيث تحولت إلى: دنُوب- دِيب- دَهَب. يقول "كمال محمد بشر": «وقد تطور هذا الصّوت في اللُّغة العامية إلى دال كما في دَهَب»[2]، كما تحولت الذّال إلى زاي في العامية المصرية كما في: يَزَّاكَر بدلا من يَذاكر وزِهْن بدلا من ذِهْن[3]، وتحولت الظّاء إلى ضاد كما في: ظِل- ظَهَر اللّتين تحولتا إلى: ضِل- ضهَر على ألسنة العوام. كما تحولت إلى زاي مفخمة (الظّاء العامية) في مثل: يَحْفظ، يَنْظر، يَلْحَظ، ظاهر الّتي تحولت إلى: يحفَزْ، يَنْزُرْ، يَلْحَزْ، زَاهرْ[4].

إن هذه الأصوات أصبحت ثقيلة على اللّسان في كثير من اللّهجات العامية العربية، والإنسان بطبعه يسلك أيسر السّبل في القوانين الصّوتية فيميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، والتّخفيف في النّطق، فأصبح لفظها على الوجه الصّحيح يتطلّب تلقينا خاصا ومجهودا إراديا وقيادة مقصودة لحركات المخارج. ولعدم ملاءمتها مع الحالة الّتي انتهت إليها أعضاء النّطق أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها[5].

ب-تخفيف الهمزة: تعدُّ الهمزة بحسب طبيعة نطقها من أصعب الأصوات إخراجا بسبب ما يتطلبه نطقها من جهد عضلي يسببه شدّ الوترين الصّوتيين وانطباقهما على بعضهما بإحكام. وقد لَمَّح السّلف هذه الخاصة، وأَحَسُّوا بذلك الجهد العضلي الّذي يتطلبه نطقها، فوصفوها بأنّها نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد[6]. فَلَمَّا كانت الهمزة تحتاج إلى جهد عضلي يزيد على ما يحتاج إليه

1- ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللّسانيات الجغرافية في التّراث اللُّغوي العربي، ص: 93.
2- كمال محمد بشر، علم اللُّغة العام-الأصوات-، ص: 119.
3- عبد العزيز مطر، لهجة البدو في السّاحل الشّمالي لجمهورية مصر العربية، دار المعارف، دط، 1981م، ص: 46.
4- ينظر: نفسه، ص: 47.
5- علي عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، ط: 8، ص: 135.
6-سيبويه، كتاب سيبويه، ج: 3، ص: 548.

صوت آخر، مالت اللّهجات العربية إلى تخفيفها والفرار من نُطْقِهَا مُحَققة لما تحتاج إليه من جهد عضلي[1].

وتخفيف الهمزة وتسهيلها أمر شائع في اللّهجات العربية، لاسيما في أول الكلمة[2]. وهو ظاهرة من ظواهر الاقتصاد في الجهد، فالّذين مالوا إلى ذلك كانت غايتهم طلب الخفة وإيثارا للسّهولة في النطق لا غير، وتخفيفها إنما يكون بوقوعها في الوسط أو في الطّرف، مثال ذلك أنها تسقط ويعوض عنها بمد حركة الصّامت السّابق لها في مثل: رَأْسَ رَاسْ- فَأْسْ فَاسْ- كَأْس كَاس- رَأْي رَاي- بِئْر بِيْر وهكذا، يقول المبرد (ت285هـ): «وأعلم أن الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تقلب- إذا أردت تخفيفها- على مقدار حركة ما قبلها وذلك في قولك رَأْس وجُؤْنة، ذِئْب إذا أردت التّخفيف رَاس وجُونة، ذِيب»[3]، ومن مظاهر السّهولة والتّيسير في الهمزة أنّها تتحوّل واوًا مثل: وِينْ في أَيْن، وْدَن في أُذُن، كما تتحوّل إلى ياء في: يَنَ في أَنَا ويَامَسْ في أَمْس.

ج-تلاشي علامات الإعراب: إن وقوع الحركات القصيرة في آخر الكلمة جعلها في الغالب عرضة للسّقوط وحلّ محلها السّكون، وفي ذلك تيسير واقتصاد، وهذه الظّاهرة تمس جميع اللّهجات العامية المتشعبة عن الفصحى: «انقرضت هذه الأصوات جميعها سواء في ذلك ما كان علامة الإعراب وما كان منها حركة بناء، فينطق الآن في هذه اللّهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر فيقال: رْجَعْ عُمَرْ لَلْمَدْرَسَة بَعْدْ مَا خَفْ عْيَاهْ، بدلا من رَجَعَ عُمَرُ إلى المدرسة بعدما خَفَّ مِن أَعيَائِهِ»[4].

إنّ تلاشي علامات الإعراب والوقوف بالحرف مسكنا فيه تيسير، وقد أدرك علماء اللُّغة أهمية السّاكن فوقفوا به على نهاية الألفاظ ووَقَفُوا به على نهاية الفعل في حالة الأمر والنّهي. فالنّطق

1- ينظر: شوقي النجار، الهمزة: مشكلاتها وعلاجها، منشورات دار الرّفاعي للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ط: 1، 1404هـ-1984م، ص: 17.

2- عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في السّاميات واللّهجات العربية القديمة، دار هومة، الجزائر، دط، 2003م، ص: 163.

3- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ج: 1، ص: 157.

4- علي عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، ص: 138.

بالسّاكن قد ساعد المتحدث على سرعة تعبيره بطريقة من طرق الاختصار في الجهد العضلي قصد إظهار المعاني وسرعة النّطق بها[1].

إن هذه القوانين الصّوتية الّتي تَحَدَّثَ عنها علماء اللُّغة ما هي إلَّا مُيُول أو اتجاهات تحكم الأنظمة الصّوتية، فهم لا يقصدون من وراء هذه القوانين سوى رصد ظاهرة صوتية معينة وتسجيلها ورصدها في صيغة من الصّيغ دون أن يُضمِنوا قانونهم هذه الحتمية، الّتي يتضمنها القانون في العلوم الدّقيقة.

1- ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب: تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، القاهرة، 1968م، ص: 66.

المبحث الرابع: مستويات التّداخل اللّغوي

يحدث التّداخل اللّغوي نتيجة تقارب اللّغات واحتكاكها بعضها ببعض مخلفًا آثارًا مسّت جميع مستويات اللّغة العربيّة كالآتي:

1-التّداخل الصّوتي:

يظهر التّداخل الصّوتي في الاختلافات الّتي تبدو في تغير بعض الحروف والحركات من قبيلة إلى أخرى أحيانا[1]، فتظهر لهجة جديدة في كلام المتكلّم مع اختلاف «في النبر والقافية والتّنغيم وأصوات الكلام»[2]. فالتّداخل الصّوتي تغيرا يصيب أصوات الكلمة أو حروفها أو حركاتها، وما اختلاف اللّهجات العربية قديما في النّاحية الصّوتية إلا مثال على تداخل الأصوات، حيث نلاحظ استبدال أصوات اللّغة العربية بأصوات أخرى مغايرة، أو زيادة أو حذف أو تقديم وتأخير ما، وكل ما يرتبط بالجانب الصّوتي مما يطلق عليه اللّغويون الإبدال والقلب المكاني ... الخ[3].

وهذه التّغيّرات في أصوات العربيّة تحدث نتيجة تقارب الأصوات في المخرج وتشابهها في الصّفات، حيث يرجع كثير من علماء اللّغة -ومنهم ابن جني- قدرًا كبيرًا من أمثلة الإبدال إلى التّغيرات الصّوتيّة، وذلك للعلاقة بين الحروف المتبادلة في المخرج أو الصّفات، وإن اختلفوا في تحديد هذه العلاقة فكلمات اللّغة تتألّف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض[4].

«ومن أمثلة هذه التّغيرات الصّوتية في اللّهجات العربية نذكر:

- **الشّنشنة:** وهي قلب الكاف شيئا مطلقا، فيقولون في: لبيك اللّهم لبيك، **لبيش** اللّهم **لبيش**، ويقولون في: **كيف: شيف**.

1- عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص: 116.

2- علي القاسمي، التّداخل اللُّغوي والتَّحول، ص: 78.

3- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص: 116.

4- نفسه، ص: 145.

وتنسب هذه اللّهجة إلى قبائل من اليمن، وثعلب وقضاعة، ويلحظ أن الشّنشنة والكشكشة لهما بقايا في عديد من اللّهجات العربية في الخليج العربي والشّام»[1].

- **العنعنة:** وهي إبدال الهمزة في أول الكلمة إلى عين، ومن أمثلة ذلك أسلم: عسلم، إذن: عذن. وهي لهجة تنسب إلى تميم وقيس وأسد وقضاعة[2].
- **الوتم:** قلب السّين تاء، نحو: الناس يجعلونها النات، أكياس يجعلونها أكيات. وتنسب لقبيلة اليمن[3].

ومن مظاهر التّداخل الصّوتي ما أتى به ابن جني في كتابه الخصائص، يقول: «اختلف رجلان في (الصّقر)، فقال أحدهما (بالصّاد)، وقال الآخر (بالسّين)، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه. فقال: لا أقول كما قلتما إنما هو (الزّقر) ... وهكذا تتداخل اللّغات»[4].

فقد بيّن لنا ابن جني التّداخل بين الأصوات نتيجة اختلاف لهجات العرب، فلكلّ طريقته في النّطق أو الكلام، وتم هذا التّداخل نتيجة تشابه الأصوات، وأشار "إبراهيم أنيس" في كتابه في اللّهجات العربية إلى التّغيرات الصّوتية والتّطورات الّتي أصابت اللّهجة المصرية، يقول: «انظر مثلا إلى كلمة "ألثغ" الّتي تطورت فيها التّاء أولًا إلى "تاء" كمعظم القاءات وصارت "ألثغ" في عصر من العصور، وأخيرًا جهر بهذه التّاء فأصبحت دالًا، وصارت الكلمة على الصّورة الّتي نألفها الآن وهي "ألدغ"».[5]

وكلمات كثيرة مثل:

- أتكرع وأصلها تجزع: همست الجيم وأصبحت كافًا.
- دهس وأصلها دعس: أبدلت العين هاءً.

1- محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه – موضوعاته – قضاياه، ص: 100 .

2- ينظر: نفسه، ص: 101.

3- ينظر: نفسه، ص: 102.

4- ابن جني، الخصائص، ص: 371 .

5- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص: 197.

- شحت وأصلها شحذ: أبدلت الذال تاءً
- نكش وأصلها نحش: أبدلت الجيم كافًا.

فاللّهجة المصرية قد همست كثير من الأصوات العربية الفصيحة، كون البيئة المصرية بيئة حضارية[1]. كما مالت اللّهجة المصرية إلى جهر بعض أصوات اللُّغة العربية الفصحى المهموسة، مثل:

- غفير وأصلها خفير.
- اتعتع وأصلها التحتحة.

وهذا الميل إلى جهر الأصوات من صفات البدو الّذين نزحوا لمصر[2]. كما سجّل إبراهيم أنيس بعض الأخطاء في لهجة النّاشئين كأخطاء في قلب الأصوات وأخرى في ترتيبها... إلخ نذكر منها:

- حملق صارت بحلق.
- سقط صارت سبت.
- الزعل وهي من العلز.
- أهمل وأصلها أبله.
- جنزبيل وأصلها زنجبيل[3].

يقول إبراهيم أنيس: «اللّهجة المصرية فقدت بعض الأصوات العربية القديمة أمثال الثّاء والذّال والظّاء والقاف، وأستبدلت بها على التّرتيب: التّاء والذّال والضّاد والهمزة أو الجيم»[4]، فجميع هذه الأمثلة عن التّغيرات الصّوتية الّتي حدثت للّهجة المصرية، فبعض أصوات اللُّغة العربية تعرضت للتّغير والاستبدال.

ومن أمثلة التّغيّر الصّوتي أيضًا:

الزّعتر البري نافع للصّحة.

1- ينظر: إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، ص: 192.

2- ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

3- ينظر: نفسه، ص: 198.

4- نفسه، ص: 195 .

أحب هذا النوع من القشطة.

والصّواب: (سعتر أو صعتر، قشدة) وهي الصّيغ الصّوتية الأصول[1].

وكما يحدث التّداخل الصّوتي بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّهجة العاميّة يحدث بين الفرنسيّة واللُّغة والعربية، حيث يدمج المتعلم أصوات لغته الأولى داخل اللُّغة الثَّانية، وبذلك تقع التّداخلات الصّوتية.

- كلمة(problem) فصوت (p) غير موجود في اللُّغة العربية، ويعوض بأقرب صوت له في العربية وهو(b) (الباء)
- كلمة (فابور)(vapeur)
- (فيسته) (veste)[2]

2 – التّداخل المفرداتي:

أهم ناحية يظهر فيها التّداخل هي النّاحية المتعلّقة بالمفردات، أين تنشط حركة التّبادل بين اللّغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض[3]، ويعرفه عبد الغفار حامد هلال: «وذلك بأن تضع قبيلة لفظا من الألفاظ لمعنى وتضع له قبيلة أخرى لفظا آخر، فينتقل لفظ إحدى القبيلتين إلى الأخرى وتستعمله استعمالها للفظها»[4]، فهو يحدث نتيجة احتكاك اللّغات واختلاطها مع بعض، فتأخذ كل لغة من اللّغة الأخرى، فتدخل عليها مفردات جديدة سواء «دخلت على هيئتها أو حرفت قليلا ودار على ألسنة أهلها بقوة الحاجة إليه»[5].

1- ينظر: حنان إسماعيل عمايرة، الازدواجية والخطأ اللُّغوي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد: 34، العدد: 01، 2007، ص: 65 .

2- ينظر: سعزوزن سمير، التّداخل الصّوتي بين العربية والفرنسية في السّنة الثّالثة من التّعليم الابتدائي الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدّراسات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف، ميلة، الجزائر، مجلد: 4، العدد: 1، جوان 2018، ص: 104.

3- ينظر: ليلى صديق، احتكاك اللّغات وأثره في التّطور اللّغوي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص: 93.

4- عبد حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص: 67 .

5- حل محمد باسل، المعرب والتّخيل في اللّغة العربية، بحث مقدم لنيل شهادة الدّكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، 2002، ص: 20، 21.

ومن أمثلة التّداخل المفرداتي بين اللُّغة العربية واللَّهجة العامية ما يأتي:

- يعني باش ما نتحايلش على القانون.

والتّقدير: يعني حتى لا نتحايل على القانون.

- إذن لا يوجد مشكل هنا على مستوى البنات في الميراث.

والتّقدير: إذن لا يوجد مشكل هنا على مستوى البنات في الميراث.

- قاسم مشترك أكبر هذا واش تقول القاعدة.

والتّقدير: قاسم مشترك أكبر هذا ما تقوله القاعدة.

والمتكلم مزج في كلامه بين الفصحى والعاميّة، والملاحظ أنّ هذه الكلمات العاميّة في حقيقتها كلمات قريبة من الفصحى أو نفسها، إلّا أنها جرت عليها بعض التّغيرات نحو (مشكل: مشكل) و(هنا: هنا) و(تقول: تقول)، فجميعها مفردات عربية فصيحة عندما انتقلت للعامية حدث لها تغيير على مستوى الحركات، وهناك مفردات نحو: (باش) وهي كلمات فصيحة غيرت دلالاتها عندما انتقلت للاستعمال العامي، وكلمة (واش) وهي كلمة عامية تستخدم للتّساؤل[1].

ومن أمثلة التّداخل المفرداتي أيضا ما يأتي:

«تأكل الأرز الأبيض وتشرب الشّوربة (كلمة الشّوربة شائعة في المستوى العامي، ويقابلها في المستوى الفصيح (الحساء أو المرق)»[2].

مادام الدّراهم كاينين وعلاش ما نهتموش بالفلاحة.

بكري كي كنا غارقين فالدّم، واحد ما سقسا علينا.

1- ينظر: كمال بن جعفر، استعمال اللُّغة العربية في التّدريس بالجامعة الجزائرية بين الواقع والمأمول، كلية الحقوق بجامعة بجاية أنموذجا، دراسة سوسيو لسانية، جامعة عبد الرّحمان ميرة، بجاية، الجزائر، ص: 16، 17 .

2- جميلة عابد أبو معلم، أبعاد الازدواج اللّغوي في تعليم العربية للنّاطقين بغيرها: دراسة تحليلية إحصائية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد: 42، ملحق: 2، 2015، ص: 1637.

الدّولة تخلص الضّرائب نتاع التّجار غير الشّرعيين[1].

(نلاحظ أن جميع الجمل لا تكاد تخلو من الألفاظ العامية (كاين، وعلاش، بكري، كي، نتاع، سقسا، ... إلخ)، الّتي تعود عليها المتكلم في تواصله اليومي. وكما يحدث التّداخل المفرداتي بين اللُّغة العربية الفصحى واللّهجة العامية، فإنه يقع بين اللّغة العربيّة واللُّغة الفرنسيّة، ومن ذلك ما قدّمه "كمال بن جعفر" من أمثلة خصّصها في الجانب التّعليمي، منها:

- تزوجت بأجنبي وعندهما cinq ans من تاريخ الزّواج.
- ربما إذا كان electricien إلى غير ذلك.
- هذه الأمور خاصة بlélecticien
- فإنّها تكتسب par jugement بحكم قضائي.

وقد وردت المفردات الفرنسية في سياقات مختلفة من الكلام ففي المثال الثّاني مثلا: جاءت "اسما للنّاسخ كان"، وفي المثال الثّالث موقع "الاسم المجرور" .... إلخ[2].

كما رصد الباحث لجملة من المفردات الفرنسية الّتي تتكرّر بصفة دائمة وفي سياقات مختلفة على لسان الأستاذ نحو:donc ، oui، ok، normalement، bien sur، snp...[3]

واستخرج الأستاذ "عبد الحميد بوترعة" أمثلة عديدة لهذا النوع من التّداخل نذكر منها[4]:

- أوريدو ستخفض الأسعار الأنترنيت .
- موبيليس تشرع في تغطية 9 ولايات جديدة.
- شركة سوناطراك بالبويرة.

1- رحمون حكيم، مستويات استعمال اللُّغة العربية –بين الواقع والبديل- مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري -تيزي وزو- الجزائر، 2011، ص: 89.

2- ينظر: كمال بن جعفر، استعمال اللُّغة العربية في التّدريس بالجامعة الجزائرية بين الواقع والمأمول، كلية الحقوق بجامعة بجاية أنموذجا، دراسة سوسيو لسانية، ص: 16، 17 .

3- ينظر: نفسه، ص: 17 .

4- ينظر، عبد الحميد بوترعة، واقع الصّحافة الجزائرية في ظل التّعددية اللُّغوية "الخبر اليومي والشّروق اليومي والجديد اليومي نماذجا، مجلة الدّراسات، ص 205-207.

- اكتشفوا اللّوحة الرّقميّة condor
- كتلة fin
- صيانة الكومبيوتر.
- فيديو + ديمو + تلفزيون ملون.
- يستعينون بالكوابل الكهربائية.
- خلال الميركاتو الصّيفي القادم.
- أنه سيكون المثل الوحيد لها في المونديال القادم.

نلاحظ من خلال الأمثلة أن الصّحافة الجزائرية المكتوبة أحد الأسباب الرّئيسية في شيوع ظاهرة التّداخل بين اللُّغتين العربية والفرنسية، في الوقت الّذي يجب أن تؤدي دورها كوسيلة لها أهميتها ومكانتها في الحفاظ على اللّغة العربية وصونها وتعميمها، خاصة وهي موجهة لكلّ فئات المجتمع على اختلاف مستوياتهم، فتؤثر بصورة سلبية على اللُّغة العربية الفصحى وتضعفها فليس جميع القراء قادرون على التّمييز بين ما هو أجنبي وما هو عربيّ، فيتشبع هؤلاء القراء بالمفردات الفرنسية وتجري على ألسنتهم ويجهلون أنها ألفاظ فرنسية، فهي تسهم في تفشي الفرنسية داخل المجتمع على حساب ضعف الفصحى، فلابد من استخدام المقابل العربي دائما لنشره على أبعد نطاق خاصة وأن اللُّغة العربية الفصحى غنية بمفرداتها.

كما تطرق "رحمون حكيم" لبعض الأمثلة لهذا النوع من التّداخل، نذكر منها:

- «الثّقافة مهمة جدا mais الدّولة لا تقدّم للقطاع من الميزانية ما يقضي الحاجة.
- أعطينا ال cota الأولى ومازال les cotas واحد خرين.
- الدّولة نحات les taxes للتّجار»[1].

فنلاحظ استخدام المتكلم لكلمات فرنسية (cotas، mais) فجاءت الجمل مزيجًا من اللّغتين الفصحى والفرنسية.

1- رحمون حكيم، مستويات استعمال اللُّغة العربية -بين الواقع والبديل-، ص: 89.

وذكر "محمد إبراهيم الطاووسي" في مقال له مجموعة من الألفاظ الأعجمية الّتي يكثر استعمالها في المحادثات نحو:

- سوبر ماركت ويقابلها بالعربي مركز وتجاري.
- ليسانس ويقابلها بالعربي الإجازة العالية.
- ماجستير ويقابلها بالعربي التّخصص.
- جلاس ويقابلها بالعربي كوب.

وندّد بهذه الاستعمالات بدلًا من استعمال المقابل العربي لها وعدها من مظاهر ضعف اللُّغة، وكذا من مظاهر التّأثر بالحضارة والانجذاب لها[1].

3- التّداخل النّحوي:

يؤدي اختلاف أنظمة لغتين إلى حدوث التّداخلات النّحوية، حيث يؤثر نحو اللُّغة الأم على نحو اللُّغة الثَّانية، ومن هذه الأخطاء الّتي تنتج عن تداخل أنظمة اللُّغتين، نجد أخطاء تتعلَّق بترتيب الكلام وأخطاء تتعلَّق بتوظيف الضّمائر، وأخرى تتعلّق باستخدام أزمنة الأفعال وأحكام الكلام وكل ما يرتبط بالتّركيب من قواعد[2].

ومن الأخطاء النّحوية الّتي مردها تداخل الفصحى والعامية ما يأتي:

-تركيب جمل ناقصة من الفعل والمفعول به نحو:

- (ليلى تشرب ...) (الأب يأكل ...) (ليلى تحمل ...).
- (ليلى ... الصّاحن على الطّاولة) (الأم إنه مالح).

1- ينظر: محمد صالح الشّنبطي وآخرون، فعاليات النّدوة العامة لمعالجة ظاهرة الضّعف اللّغوي، دار الأندلس للنّشر والتّوزيع، المملكة العربية السّعودية، حائل، ط1، 1994، ص: 25.

2- ينظر: علي القاسمي، التّداخل اللّغوي والتّحول اللّغوي، ص: 78.

وهي من الأخطاء الأكثر انتشارا لدى التّلاميذ[1].

وهذا النّقص في التّركيب راجع إلى التّأثر باللّهجة العامية الّتي تميل للاختصار.

-الخلط في استعمال اسم الفاعل واسم المفعول، وهو من الأخطاء الّتي أصبحت متداولة في أوساط المتعلمين ومردها الاستعمال اللّهجي الّذي لا يكترث للقواعد النّحوية نحو:

- حقك مصون والصّواب: حقك مصان.
- قدم النّاس العزاء لأهل المتوفي

والصّواب: قدم الناس العزاء لأهل المتوفى.

ويكمن الخطأ في كون كلاً من الحدثين الصّون والوفاة وقعا على كل من الحي والميت، وقد انتقل هذا الاستعمال للفصحى وأصبح متداولا خاصة في الصّحف[2].

ومن أمثلة التّداخل النّحوي:

-رفع الأسماء الخمسة في جميع الحالات لدى الكتاب، وهذا راجع لتأثير الاستعمالات العامية وانتقالها لكتابات الفصحى نحو:

- رأيت أخوك في منتدى شومان والصّواب: أخيك.
- في أبوك شبه منك والصّواب: في أبيك[3].

-التّعبير عن المثنى بصيغة الجمع، وهو خطأ نحوي مرده الاستعمالات العامية الّتي تهمل المثنى وتستخدم الجمع، نحو:

- كانت عيونه تتفقّد البيت القديم والصّواب كانت عيناه.
- بأذاني سمعت كلامك كلّه والصّواب بأذناي.

1- ينظر: خالد عبد السّلام، دور اللُّغة الأم في تعلم اللُّغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية بالمدرسة الجزائرية، أطروحة مقدمة بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم النّفس وعلوم التّربية والأرطوفونيا لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012،2011، ص: 184.

2- ينظر: حنان إسماعيل عمايرة، الإزدواجية والخطأ اللُّغوي، ص: 60.

3- ينظر: نفسه، ص: 59.

- ربما كانت أقدامك متعبة من كثرة المشي[1].

وقد أصبح هذا الاستعمال اللّهجي متداولا في كتابات الفصحى.

ومن ذلك أيضًا قولنا: على الرجل الماء والصّواب أغلى أو على الرجل الماء، فالمتكلم يميل دائما للتّسهيل فقام بحذف الهمزة والتّضعيف من الفعل[2].

-الخطأ في استخدام (إذ) نحو: اسأله إذا كان يقبل والصّواب: اسأله هل كان يقبل، ويكثر هذا الخطأ في الفصحى رغم خطئه (فإذا) تستخدم أداة شرط وليست أداة استفهام[3].

كل الأمثلة السّابقة توضح لنا التّداخل النّحوي بين الفصحى والعامية، والّذي يؤدي إلى الوقوع في جملة من الأخطاء في حق الفصحى وشيوعها على لسان المتعلم، وخاصة وأنّ النحو ركيزة اللُّغة العربية وأهم ما يميزها.

ومن التّداخلات النّحوية الّتي مردها تداخل الفصحى والفرنسية ما يأتي:

استعمال (لو) في غير محلها من الجملة الشّرطية، وذلك للتّعبير عن التّلطف الموجود في العبارة الفرنسية voudriez vous، كما نجد أيضا عبارات جديدة مقابلة للفرنسية نحو (لو تفضلت اجلس) المقابلة للعبارة (voudrier vous assoir) فيقول (لو تفضلت اجلس)، وهو يعرف بالعرض في اللّغة العربية أي الطلب بلين[4].

استعمال (و– ك) مكان الأداة الفرنسية (que) في قولنا (يبدو وكأن) وهي ترجمة عبارة (il parait que):عوضا عن (يبدو أن)[5].

1- ينظر: حنان إسماعيل عمايرة، الإزدواجية والخطأ اللُّغوي، ص: 60.

2- ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

3- ينظر: نفسه، ص: 59.

4- نجوى فيران، لغة التَّخاطب العلمي الجامعي – دراسة سوسيو لغوية – جامعة سطيف أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة محمد لمين دباغين – دباغين- سطيف 2 2016/2017، ص: 103 .

5- نفسه، الصّفحة نفسها.

«انتشار صيغة المبني للمجهول باستخدام عبارة: (من وطرف) أو (من قبل) كقولنا: سرق البيت من قبل اللّص»[1]. والصّواب سرق اللّص البيت.

«عادة ما تبدأ الجملة الفرنسية تفاعل، فعل (sujet + verbe)) وتقديم أو تأخير هذين العنصرين يؤدي إلى خلل في المعنى، على عكس اللُّغة العربية فهي تشتمل على الجملة الاسمية والفعلية والتّقديم والتّأخير بين عناصرها لا يؤدي إلى اختلال المعنى، وإنما يخرج بالجملة إلى أغراض بلاغية متعدّدة تدرس على المستوى البلاغي للغة»[2].

نلاحظ من خلال الأمثلة أن متحدث اللُّغة العربية متأثر بالتّركيب الفرنسي، فركب جملا على منواله مخالفة لقواعد اللُّغة العربية.

4 – التّداخل الصّرفي:

ويقصد به تداخل الصّيغ للغات فيما بينها، فتظهر صيغ جديدة نتيجة هذا التّداخل، وقد حدثت هذه الظَّاهرة قديما نتيجة لتداخل لهجات العرب فيما بينها.

ذكر "ابن جني" جملة من الأمثلة عن هذا النّوع من التّداخل، يقول: «ألا تراهم كيف ذكروا في الشّذوذ ما جاء على فعل يفعل نحو: نعم ينعم ومت تموت...، وقالوا أيضا فيما جاء من فعل يفعل، وليس عينه ولا لامه حرفا حلقيا، نحو قلي يقلى، وسلى يسلا، وقنط يقنط ...، واعلم أنّ أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت وتركبت»[3]، فنتيجة لتداخل اللّهجات فيما بينها، ظهرت أبنية جديدة شاذة عن اللّغة العربيّة الفصحى.

1- نجوى فيران، لغة التَّخاطب العلمي الجامعي – دراسة سوسيو لغوية، ص: 103.

2- قدور نبيلة، التّداخل اللُّغوي بين العربية والفرنسية وأثره في العملية التّعليمية، اللُّغة الفرنسية في قسم اللُّغة العربية وأدابها، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير لغويات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2006، ص: 90.

3- ابن جني، الخصائص، ص: 374.

ومن أمثلة ذلك أيضا: «(فضل فضل): فيقدر أنه جاء على بابين بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وبفتح العين في الماضي وضمها في المضارع فأخذ الماضي من اللُّغة الأولى والمضارع من اللّغة الثّانية فنشأت لغة ثالثة مركبة منهما»[1].

فابن جني ذكر بنية جديدة ظهرت نتيجة تداخل اللّغتين (فَضِلَ يفضِل) و(فَضَلَ يفضُل) وهي (فَضِلَ يَفضُلُ).

ومن أمثلة التّداخل الصّرفي ما ذكرته حنان إسماعيل عمايرة:

- ما أسود الغراب!
- ما أبيض الثّلج!

ويكمن الخطأ في كون التّعجب لا يصاغ من الصّفة الّتي على وزن (أفعل) والصّواب:

- «ما أشد سواد الغراب!
- ما أشد بياض الثلج!»[2].

وهي من الأساليب العامية المنتشرة بكثرة في كتابات الفصحى، ومن الأخطاء الّتي ترتكبها أيضا جمع كلمتي فتوى ودعوى على فتاوي ودعاوي نحو:

- سنصغي في هذا البرنامج إلى الفتاوي الدّينية.
- يتعامل المحامي مع الدّعاوي المقدمة بأمانة.

والصّواب:

- سنصغي في هذا البرنامج إلى الفتاوي الدّينية .
- يتعامل المحامي مع الدّعاوى المقدمة بأمانة.

وقد انتقل هذا الأسلوب من العامية إلى الفصحى[3].

1- ابن جني، الخصائص، ص: 380.

2- ينظر: حنان إسماعيل عمايرة، الازدواجية اللُّغوية والخطأ اللُّغوي، ص: 63.

3- ينظر: نفسه، ص: 64.

ومن ذلك أيضا:

- ضربه شر ضربة.
- جلس جلسة المتأدبين.

«لاسمي المرة والهيئة قواعد خاصة في صياغة أوزانهما، فالتّعبير العامي لا يكترث للفروق الدّقيقة بين هذه الأوزان، فجميع ما كان على وزن (فعلة) يتحوَّل إلى (فعلة) مع عدم الالتفات إلى الفرق الوظيفي للاسمين»[1].

فالصّواب: جلس جلسة المتأدبين.

لا نقف في الاستعمال العامي على ضبط الكلمات، نحو كلمة "معرض" بدل "معرض" دون أخذ صياغة اسم المكان على وزن (مفعل) من الفعل الثّلاثي مكسور العين في مضارعه بالاعتبار[2].

ومن ذلك أيضا:

- تمادوا في جهالتهم.
- اختفوا وراء القضبان.

الأصل في النّسبة إلى واو الجماعة من الفعل (ثمادي) أن يقال (ثمادوا) بفتح الدّال وكذلك من اختفى يصاغ (اختفوا)، وبالنظر إلى اللُّغة المحكية يلاحظ أنّ هذين الفعلين وماجرى مجراهما (معتل الآخر بالألف) يعاملان معاملة الصّحيح من الأفعال (ذهبوا)، ومعاملة المعتل واوي الآخر أو بائي (بقوا)[3].

هـ – التّداخل الدّلالي:

«أما ما يتّصل بالجانب الدّلالي فيبدو في اختلاف القبائل العربية في معاني الألفاظ وتنوع دلالاتها»[4]. حيث نجد «لكل كلمة معنى معجميا أو معاني عدة اكتسبتها الكلمة عبر تاريخها، وقد

1- حنان إسماعيل عمايرة، الازدواجية اللغوية والخطأ اللغوي، ص: 64.

2- ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

3- نفسه، الصّفحة نفسها.

4- عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، ص: 117 .

يشيع استعمال أحد هذه المعاني ويقنن الاستعمال الآخر لها»[1]، وهنا يحدث التّداخل الدّلالي بسبب تنوع دلالات أو معاني الكلمة الواحدة فكل قبيلة تنفرد بمعنى خاص بها للفظ قد تستعمله قبيلة أخرى بمعنى مخالف ومغاير عنها.

ومن أمثلة التّداخل الدّلالي ما ذكرته حنان إسماعيل عمايرة:

- من الغباء أن تغش في الامتحان وهو استعمال خاطئ صوابه:
- من الغباء أن تغش في الامتحان.

فكلمة الغباء تحمل معنى الغبار واستعمالها خاطئ في التّركيب السّابق.

وسبب الخطأ أن المتكلم أضاف الهمزة معتقدا أنها حذفت بهدف التّسهيل وهو من الاستعمالات العامية الّتي انتقلت للفصحى[2].

ومن ذلك أيضا:

- استعمال كلمة (جاهز) بمعنى (معد) وهناك فرق بينهما فالجهز بمعنى القتل، وأجهز عليه قتله، وسبب هذا الخطأ في استعمال (جاهز) بمعنى (معذ) كثرة استعمالها في العامية فانتقلت للفصحى[3].

1- حنان إسماعيل عمايرة، الازدواجية والخطأ اللّغوي، ص: 63.

2- ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

3- ينظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

المبحث الخامس: عوامل التّوحد اللُّغوي

يحتاج النّاس إلى اتصال بعضهم ببعض أفرادًا، وجماعات، وأمما، ولهذا الاتصال أثاره اللُّغوية، فلهجات ولغات الأمم والجماعات تتلاقى، ويستفيد بعضها من بعض.

والتَّأثر الّذي يعتري لهجات اللُّغة الواحدة قد يبدو عاديًا حين لا يكون الاختلاط بين الطّبقات كبيرًا، كلهجات القرى والمدن، في أية دولة، فلكلّ منها سمات تمتاز بها من الأخرى وبينما اشتراك في مظاهر كثيرة تستمدها من اللُّغة العامة، لذا لا تستعصي أحداها على الفهم خارج حدودها اللَّهم إلا في حالة العزلة الّتي تعيش فيها بعض القرى والأماكن النّائية أو الأقاليم الّتي تفصل بعضها عن بعض أمور جغرافية واجتماعية فإنّها تؤدي إلى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها وقد تستعصي على فهم غيرها من البلاد النّائية عنها قرية كانت أو مدينة.

وتزداد درجات التّأثر بين اللّهجات، بازدياد قرب بعضها من بعض، ففي داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطّبقات ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ويُولع المغلوب بتقليد الغالي، ومع ذلك تبقى لكلّ لهجة خصائصها المميزة، فسكان القرى والأرياف يحاولون تقليد سكان المدينة، فيتخلون عن لهجاتهم؛ لأنَّ حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرّغبة في تقليدهم ملحّة لدى الريفيين، وقد أُجْريت بحوث في هذا المجال، وأوضحت عوامل تفوق لهجة على أُخرى وهي تعود، في معظمها، إلى الثّقافة والحضارة، والنّفوذ والسّلطان، وعدد النّاطقين ونحو ذلك.

فإذا كانت إحداهما تنفرد بمزية، كأن تكون أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسي أو تجاري أو ديني واسع أو كثر عدد النّاطقين بها، فإنّ ذلك يدعو إلى تغلبها على أختها أو أخواتها، من اللّهجات الأخرى[1]. والشّواهد التّاريخية تعزّز هذا القول أو الزّعم، فاللاتينية الّتي صارت لغة إيطاليا المشتركة، وأخيرًا لغة العالم الغربي بأسره، كانت لغة روما أولًا وقبل كل شيء، أي لغة المدينة في مقابلة لغة الرّيف المجاور، واللّهجات القاصية على السّواء[2].

1- عبدالغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 165-166.

2- فندريس، اللّغة، ص: 329، وينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورًا، ص: 36.

واللّهجة الباريسية أصبحت لغة فرنسا بتغلبها على اللّهجات الأخرى، فـ(الفرنسية إنما خرجت من العاصمة، ومن طبقة اجتماعية بعينها من طبقات العاصمة، وهي البرجوازية، وقد استقرت في القرن التّاسع عشر، وسلَّم بها القصر، ثم الأقاليم، والكتاب الكبار باستعمالهم إياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائيًا، وعلى استمرارها لذلك لا تكاد تحس فيها أثرًا للهجات)[1].

وكذلك الشّأن بالنسبة إلى لهجة فلورنسا، فقد كانت مزاياها الذّاتية ترشحها أكثر من غيرها بدور اللُّغة المشتركة إذ كانت أقرب من غيرها إلى اللاتينية[2]. ولهجة فلورنسا "في إيطاليا" لهجة المجتمع الرَّاقي بهذه المدينة، هي الّتي صارت لغة إيطاليا، كما أنّ لهجة قريش تغلبت على سائر اللّهجات العربية في الجزيرة، قبل الإسلام لتحقيق النّفوذ السّياسي والاقتصادي، والدّيني لها، وبفعل عوامل مختلفة، يمكن أن تنشأ لغة مشتركة على أنقاض اللّهجات، وتحافظ بذلك على ما بقي من خصائص اللّهجات الأخرى المنحدرة، كما أَنَّ هذا التّوحد اللُّغوي يخضع لعوامل كثيرة أهمها:

1-العامل السّياسي:

إن خضوع عدّة مناطق لنظام سياسي واحد يؤدي إلى تقارب لهجات هذا الإقليم، ويؤدي بعد ذلك إلى توحد هذه الأقاليم أو المناطق في لغة واحدة، فالسّياسية والحكام يجردون أحاديثهم العامة في مختلف المناطق من المظاهر الصّوتية، والصّرفية والمعجمية وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة، أو طائفة حرفية، ولو كان الحاكم من أبنائها ليكون ما يوجه إلى الشّعب مفهومًا لدى كافة الطّبقات الاجتماعية.

ونلاحظ أَنَّ عاصمة الدَّولة تكون محط أنظار قاطني المناطق الأخرى فيحاولون تقليد لهجتها، والتّخلي عن ما تنفرد به لهجاتهم الأصلية، وهذا ما يؤدي إلى نشأة لغة عامة خالية إلى حد كبير من خصائص اللّهجات المحلية، ويمكن أن نمثّل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية الّتي كانت لهجة باريس، ثم انتشرت في جميع البلاد الدّاخلية في المجال السّياسي الفرنسي[3].

1- فندرس، اللُّغة، ص: 330.

2- نفسه، ص: 335.

3- عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين الحديث والقديم، ص: 167.

وعدم خضوع الدّولة لنظام سياسي واحد يضع الصّعوبات في طريق التّوحد اللّغوي، فألمانيا الّتي ظلت قرونًا ولايات مستقلة سياسيًا وبدون عاصمة مثل على عرقة الحالة السّياسية لظهور لغة عامة[1].

وقد كانت تبدو آثار اللّهجات المحلية في عامية متعلمي الألمان حتى في أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوروبية[2]. (ولذا قام انتشار اللُّغة الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة سياسية، فالألمانية المشتركة أَولًا وقبل كل شيء لغة كتابة تدين بنجاحها إلى أسباب دينية، كما تدين بأصلها إلى الرّغبة في الاستعمار، وكانت هناك حركة مارتن لوثر، وترجمة للكتاب المقدس وهناك لغة المستشاريات في المدن والإمارات الألمانية، والألمانية كانت تحتلّ الأراضي السّلافية قدمًا بقدم، وتحل محل اللّغات السّلافية، فتكونت الألمانية المشتركة في مدن الاستعمار في ألمانيا الشّرقية تلك اللُّغة الّتي وصلت بفضل الإصلاح الدّيني إلى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة، وصارت لغة الكتابة في ألمانيا المثقفة بأسرها)[3].

2-العامل الاجتماعي والاقتصادي:

كما هو معروف لدى الجميع، فإنه تنشأ بين أفراد المجتمع أو الشّعب الواحد روابط النّسب والمصاهرة، ويلتقون للتّجارة وتبادل المنافع في شتى المجالات، وقد تنشب بينهم المنازعات، وكلّ هذا يؤدي إلى اختلاطهم وقوّة اتصالهم، ولهذه العوامل أثرها في التّقريب بين اللّهجات، وظهور لغة عامة تتلخص من السّمات الّتي تنفرد بها كل لهجة؛ من أمثلة ذلك، ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحّد، في لغة عامّة قبل الإسلام بحوالي قرن ونصف أو قرنين من الزّمن لما كان بين أهلها العرب من ارتباط في النّسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة، والجوار، والتّعامل التّجاري وغيره من الصّلات الاجتماعية[4].

1- عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 167.

2- فندريس، اللُّغة، ص: 333-334.

3- نفسه.

4- عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 168.

3-العامل الأدبي:

كان الأدب، ولازال عاملا ووسيلة من وسائل التّوحد اللّغوي، فالأدباء من قُصّاص وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشّعب، بمختلف طبقاته، ليروج ويذيع، وتلك اللُّغة الّتي يكتبون بها تتلخص من الخصائص المتعلّقة باللّهجات المحلية لأيّ إقليم من أقاليم الدّولة، وهذا يهيء سبيل التّوحد للهجات الجماعات المتعددة.

وهذا ما نجده سائدًا عن لغة العرب، فاللُّغة العامة الّتي صيغ بها النّثر والشّعر العربي الّذي غصت به الأسواق الأدبية كعكاظ، والمربد، وذي المجاز، وكم جرى التّنافس والمبارزة بين الشّعراء في هذه الأسواق ليحكم لها بالتّفوق على ذلك، وكانت تلك الأشعار مصدر إمتاع للجماهير العربية، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعًا قامت على أساس اللّهجة القرشية وما استفادته من غيرها من محاسن اللّهجات الأخرى[1].

وفي أوروبا (توجد لهجات مشتركة من أصل أدبي محْض مثل الإيطالية الّتي استقرت لغة مشتركة ابتداءً من القرن الرّابع عشر بفضل هيبة الكتاب العظام، وتأثيرهم مثل، دانتي وبترارك وبوكاشيو، وذلك في وقت لم يكن لإيطاليا فيه أية وحدة سياسية، وأغلب الظّن أنّ هؤلاء استعملوا كلمات اللُّغة الّتي كانت تتكلم حولهم... واللُّغة الّتي رفعها دانتي إلى مرتبة اللُّغة الأدبية والّتي صارت لغة إيطاليا المشتركة كانت أولا، وقبل كل شيء لغة مدينة هي فلورنسا ولغة المجتمع الرّاقي في هذه المدينة)[2].

4-وسائل الإعلام:

تؤدي وسائل الإعلام دورًا في التّوحد اللّغوي، لا يقلّ أهمية عن العوامل السّالفة الذّكر، فالإذاعة بنوعيها المسموعة والمرئية، والسّينما، والمسارح، والصّحافة، تسهم بقسط وافر في وحدة اللّسان واللّغة؛ لأنها تستخدم لغة أشبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء، ففي

1- عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 169.
2- فندريس، اللُّغة، ص: 335.

الأقطار العربية –مثلا– تستخدم الفصحى، وبعض الأساليب العامية الّتي يفهمها الجميع[1]، كما هو الشّأن بالنّسبة إلى اللّهجة المصرية الّتي عرفت انتشارا واسعًا، واستعمالا كبيرًا في الأقطار العربية، بفعل السّينما والتّمثيل.

5–المدن الكبرى:

للمدن الكبرى أثرها في نشوء لغة مشتركة، إذ تتطلع أنظار النّاس المجاورين لها، والبعيدين عنها، فيكثر الوافدون عليها من كل صوب، وهم حين التقائهم هناك يعمدون إلى التّخلي عن لهجاتهم الأصلية يسعون إلى استخدام لغة مشتركة يفهمونها جميعًا[2].

فالدّور الأساسي الّذي آل إلى أثينا بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية أدى إلى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللّهجة الإتيكية، ولكن زاد من قوة الإتيكية وإشعاعها شهرة شعرائها وفنانيها، فكان لأثينا بوصفها مركزًا أدبيًا وفنيا على السّواء، شرف تأسيس اللُّغة المشتركة الّتي ظلّت منذ القرن الرّابع قبل الميلاد حتى القرن التّاسع بعد الميلاد أداةً للتّفكير عند جميع الإغريقيين[3].

ولقد تكونت الإنجليزية المشتركة في مدينة لندن الّتي ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللّهجات «هذا إلى أن تكون اللُّغة المشتركة صادف وقوعه فترة نمو لندن المفاجئ، حيث أخذت تلتقي بين أحضانها طوائف المهاجرين على اختلافهم، يفدون عليها من كل الأقاليم، ويمتزجون بالسّكان السّابقين، هذه الهجرات أدّت إلى شحن اللُّغة المشتركة بآثار اللّهجات حتى لنجد نطق الإنجليزية في القرن التّاسع عشر لم يثبت بعد، وأنّه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ولا تزال بقايا منه موجودة حتى اليوم، ولكن هذه الهجرة الإقليميّة أنعشت تبادل السّكان بين العاصمة والأقاليم، ذلك التّبادل المفيد الّذي أدى أجل خدمة لانتشار اللُّغة المشتركة، وإذا فانجلترا تدين أيضًا بتوحيد لغتها توحيدًا نسبيًا إلى أهمية عاصمتها»[4].

1– عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 169–170.
2– نفسه، ص: 170.
3– فندريس، اللُّغة، ص: 328–329.
4– نفسه، ص: 311–332.

وإذا أخذنا مدينة القاهرة نموذجا، فإنّنا نجد كثيرًا من اللّهجات تتزاحم بلقاءات أصحابها من مختلف أقاليم الجمهورية، ولذا تميل إلى التّوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامّة يفهمها الجميع[1].

6-الدّين والعلم والثّقافة والخدمة العسكرية:

يعد الّدين الوسيلة الأساسية والوحيدة الّتي تستطيع جمع الناس، فهو الّذي يدعو الناس إلى الاجتماعات العامة في الصّلوات والأعياد والحج وغيرها، ولذلك أثره البعيد في التّوحد اللّغوي، ولا ريب أن العلم والثّقافة والخدمة العسكرية تؤدي دورها في اتخاذ لغة عامة، فدور العلم والثّقافة يتّضح في مختلف الأقاليم، فالطّلاب يلتقون في المدارس والجامعات، وقصور الثّقافة، والمكتبات وما شاكلها، ولقاءات العسكرية كل ذلك له أثر في تخطي الصّنوف البشرية عن لهجاتها، واتجاهها إلى لغة عامة للتّفاهم.

وهناك محاولة قام بها "تيمور لنك" عندما وضع لغة لجيشه، تسهل مهمة قواده، ورغم فشل تلك المحاولة، إلا أنها تدل على مسيس الحاجة للغة يتفاهم بها الجيش وتكون مفهومة لدى أوساطه المتباينة، وفي إطار هذه الأسباب الدّاعية إلى توحيد النّظام اللّغوي فإن العالم العربي قد توفرت له علاقات كثيرة اجتماعية، ودينية وسياسية وأدبية وثقافية، وربطت بين أرجائه الإذاعة المسموعة والمرئية والصّحافة وسبل المواصلات فبرزت فيه لغة مشتركة تتمثل في العربية الفصحى الّتي تضيّق هوّة الخلاف بين اللّهجات العربية الدّارجة المنتشرة فيه.

ولا ننسى أن نشير إلى اللُّغة المشتركة الّتي تنشأ عن الأسباب السّابقة ونحوها لا تتخلص نهائيا من خصائص اللّهجات المحلية بل تبدو آثارها فيها، وتنعكس عليها، ونستطيع أن نتلمس هذه الآثار العربية الفصحى المعاصرة واللّهجات العامية المتفرعة منها، وهو ما سنتناوله في الفصل الموالي من البحث من حيث الأصوات والدّلالة.

1- عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، ص: 171.

الفصل الثّالث:

التّعدد اللّهجي وعلاقته بالعربية الفصحى ولاية تلمسان -أنموذجا-

المبحث الأول: المنطوق التّلمساني

المبحث الثّاني: العربية الفصحى واللّهجة التّلمسانية

المبحث الثّالث: الدّراسة اللّغوية والتّغيرات الصّوتيّة لمنطوق تلمسان

تمهيد:

إنّ وجود اللّغة المشتركة واللّهجات المحليّة في اللّغات أمر تحتّمه الضّرورة الاجتماعيّة، وما تقتضيه من تفاوت مستوى الاستعمال وحاجاته، تبعًا لحاجة النّاطقين أنفسهم لاستخدام اللّغة في الموافق العامّة والرّاقية أو مواقف الحياة العاديّة والخاصّة بالبيئة المحليّة.

يقول دي سوسير فرديناند في هذا المضمار: «لكلّ لغة لهجاتها، وليس لواحدة منها السّيادة على الأخريات، وهي في العادة متفرقة مختلفة»[1]؛ فاللّغة –كما عرّفها ابن جنّي– أصوات يعبِّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم، كما أنّ اللّهجة –هي الأخرى– سلوك لغوي لا يختلف عن اللّغة العامّة، وهي فوق ذلك طائفة من المميزات اللّغويّة ذات نظام صوتي خاص تخصّ بيئة معيّنة، بحيث يشترك في هذه المميّزات جميع أفراد تلك البئية، وقد صارت دراسة اللّهجات علما من علوم اللّغة أطلق عليه "علم اللّهجات Dialectologie".

كما أنّ الإنسان –بطبعه– له ذوق خاص في استعمال لهجته بسبب تسرّب كلمات غريبة قد تكون أعجميّة فتنقل كما هي أو معرّبة يتمّ تحويرها إلى اللّهجة المحليّة؛ ولهذا لا تخلو أمّة من وجود لهجات محليّة إلى جانب لغتها القياسيّة.

[1] عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربيّة نشأة وتطورًا، ص: 36.

المبحث الأول: المنطوق التّلمساني

إن اختلاف سنة النّاس من طبيعة المجتمعات لقول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ**﴾[1]، واختلاف الألسنة ومعناه اختلاف لغة عن غيرها وقد نلحظه داخل اللُّغة الواحدة، فدوسوسير يرى أنّ لكلّ لغة لهجاتها، وليس لها أي تأثير في الأخرى وهي عادة متفرقة مختلفة[2].

والدّكتور "إبراهيم أنيس" يرى أنَّ اللُّغة: «تشتمل على لهجات لكلّ منها ما يميزها، وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللُّغوية والعادات الكلامية، الَّتي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات.

فبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظَّواهر اللُّغوية الَّتي تسير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتلك البيئة الشَّاملة الّتي تتألّف من عدّة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللُّغة»[3].

وفي سنة (1299هـ-1883م) بدأت فرنسا تفتح تدريجيًّا أبواب المدارس العامة لنشر اللُّغة الفرنسية في البلاد، أما اللُّغة العربية فبقيت محصورة في المدارس الثَّانوية كلغة اختيارية، وفي هذه الفترة من الاحتلال الفرنسي استقر البشير الإبراهيمي في تلمسان، فنشر علمه وأمر أهلها ببناء مساجد للدّراسة، فشيدت "دار الحديث"، وكذلك عانى الجزائريون الويلات من الاستعمار الفرنسي، فتمكّنت فرنسا من الاستحواذ على خيراتها، وفرض لغتها على المجتمع الجزائري وكادت تقضي على اللُّغة العربية، وقد استطاعت أن تأثر في اللَّهجة المحلية، وما استعمال المجتمع الجزائري لبعض الكلمات الفرنسية في نطقهم هذا لدليل واضح على تمكن الفرنسين منفرض لغتهم.

1- سورة الروم، الآية: 22.

2- ينظر: د. زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخيّة العامّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ص: 71.
Ferdinand de saussure. Course in general linguistics. London k 1959, p159.

3- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص: 11.

والعلاقة بين اللّهجة والفصحي هي علاقة الخاص بالعام ومع تعدّد اللّهجات في البيئة اللُّغوية الواحدة، فإنّ كلّ بقعة تنفرد بلهجتها الخاصة، كما يلاحظ ذلك في البيئات الحضرية والبدوية والصّحرواية الّتي لها لهجاتها الّتي تميزها من غيرها وتشيع فيها أصوات وتراكيبها تناسبها.

وقد رأى علماء اللُّغة أنّ اللّهجات مقترنة واتفقوا على أنّ اقترانهما مرتبط بالضّرورة الاجتماعية. في هذا الصّدد يقول محمد عيد: «إنّ وجود اللّغة المشتركة واللّهجات المحلية في اللُّغات أمر تحتّمه الضّرورة الاجتماعية وما تقتضيه من تفاوت في مستوى الاستعمال وحاجاته تبعًا لحاجة النّاطقين أنفسهم»[1].

فاللّهجات تختلف في الأمة الواحدة تبعًا لاختلاف أقاليمها –كما هو الشّأن في بلادنا–، وتتلاءم مع بعضها البعض بالرّغم من اختلافات الموجودة بينها في طريقة التّفكير والعادات والتّقاليد، ومتى انتشرت اللُّغة في مناطق واسعة وتكلّم بها النّاس صعب عليها الاحتفاظ بوحدتها، فتتفرّع عندئذٍ إلى لهجات كما هو الحال بالنسبة للغة العربية: «فمنذ أن اتسع انتشار العربية أخذت تتشعب إلى لهجات، يختلف بعضها إلى بعض وتختلف عن الأصل الأول الّذي تشعبت عنه في كثير من مظاهر الصّوت والقواعد والدّلالة والمفردات»[2].

وبناءً على ذلك قسّم علماء اللُّغة اللّهجات العربية إلى خمس مجموعات، هي:

أ–مجموعة اللّهجات الحجازية وتشمل لهجات الحجاز ونجد واليمن.

ب–مجموعة اللّهجات السّورية وتشمل جميع اللّهجات العربية في سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن.

جـ–مجموعة اللّهجات العراقية.

د–مجموعة اللّهجات المصرية وتشمل اللّهجات العربية في مصر والسّودان.

1– المستوى اللُّغوي للفصحى واللّهجات والنّثر والشّعر، ص: 89.

2– نفسه، ص: 89.

هـ–مجموعة اللّهجات المغربية وتشمل جميع اللّهجات العربية في شمال إفريقيا[1].

وكل مجموعة بحوزتها عدّة لهجات، وكلّ لهجة بدورها تنقسم إلى لهجات محلية كما يقول علي عبد الواحد وافي: «وكلّ لهجة من هذه اللّهجات تنقسم إلى عدة فروع وتختلف باختلاف البلاد النّاطقة بها، حتى أنك لتجد بين القريتين المتجاورتين المنتميتين إلى لهجة واحدة خلافًا واضحًا في كثير من مظاهر الصّوت والمفردات والتّراكيب والأساليب»[2]. ولا يمكن في حال من الأحوال فصل اللّهجات المتجاورة عن بعضها البعض فصلًا تامًّا، فالتّنوع الموجود في الخطاب اللّهجي عندنا لا نهاية له، فهو ممتد من جانب إلى آخر.

والتّقسيم اللّهجي يرجع إلى سكان الإقليم الواحد الّذين يتميزون في لهجتهم ببعض الخصائص الصّوتية نلحظ عند الأداء على حد قول إبراهيم أنيس: «فاللّهجة مجموعة من الصّفات اللُّغوية تنتمي إلى بيئة خاصّة، يشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة»[3].

1–خصائص الأصوات:

لأهل تلمسان لهجات ثلاث؛ اللّهجة الحضرية واللّهجة الحوزية واللّهجة البدوية، وكلّها تتفرّع من اللّغة العربيّة الفصحى الّتي طرأت عليها تغييرات كثيرة من حيث الإعراب ومن حيث النطق، ويستعمل أهل تلمسان اللّهجة الحضرية الّتي لحقها تغيير في الحروف الهجائية العربية كالذّال الّتي أصبحت تنطق دالا مهملة فيقولون: "الدهب" بتسكين الذال في"الذهب" وكذا الثاء الّتي تحولت إلى تاء في "تلج" بدلا من "ثلج".

كما أن اللّهجة التّلمسانية لا أثر فيها للضّاد العربية الفصيحة، فهي تنطق عندها طاء مثل "مريطة" في "مريضة"، أما الحرف الّذي لا ينطق على شكله الصّحيح، فهو القاف الّذي يميّز منطوق تلمسان من بقية المنطوقات الأخرى، وهو ينطق همزة كنطق أهل فاس وأهل القاهرة.

1– ينظر: أحمد علم الدّين الجندي، اللّهجات العربيّة في التّراث، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1987م، ص: 130.

2– علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ص: 149.

3– إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 16.

فهم يقولون مثلا: "الألب" في "القلب"و"أهوة" في "قهوة"، ولكن هناك بعض الكلمات تنطق عندهم (قافا) الشّبيهة بالجيم القاهرية مثل "قعد" في اقعد و"قنفود" في "قنفذ". فاللّهجة تبقى إذا محافظة على ألفاظها ومعانيها، إذا بقيت محتكرة بين أفراد المجتمع الواحد وتتميز بصفات صوتية تميزها من بقية اللهجات. أما الصّفات الّتي تميز اللّهجة التّلمسانية، فيمكن حصرها في نقطتين:

1-اختلاف في بعض مخارج الأصوات اللُّغوية.

2-اختلاف في صفة الأصوات اللُّغوية من جهر وهمس أو شدة أورخاوة.

أ/أصوات غير محلية:

جمعت اللّهجة التّلمسانية كثيرًا من الأصوات غير محلية لظروف اجتماعية واستعمارية، فأصبحت تميزها من بقية اللّهجات الأخرى وهي كما يلي:

«قلب القاف همزة، ومن أمثلة هذا التّطوّر في العربيّة القديمة ما رواه أبو الطّيب اللّغوي من قول العرب: "قشبه وأشبه أي لامه وعابه، والقوم زهاق مائة، وزهاء مائة، أي قريب من مائة والقفز والأفز أي الوثب»[1].

- نطق الجيم صوتا مزدوجا (دج) في قولهم: (دجابه) أي أحضره وأصلها جاء به.
- قلب الضّاد (طاء) في مثل قولهم: (رمطان) في رمضان و(طو) في ضوء.
- تفخيم السّين وقلبها صادًا في بعض الكلمات مثل قولهم (وصخ)، أي وسخ.

2/الإمالة:

وهي على نوعين:

إمالة مضمومة في (يوم) بدلا من يوم يفتح الياء.

إمالة مكسورة في (بيت) بدلا من بيت بسكون الياء.

1-رمضان عبد التواب، المدخل إلى العلم اللّغة ومناهج البحث اللُّغوي، ط: 1، القاهرة، 1982م، ص: 80.

ومن صفات اللّهجة الخصائص البنيوية للكلمة، وهذا واضح في لهجة تلمسان الّتي نلحظ فيها:

زيادة (ما) في الحديث المنفي أو الرفض كـ: (ما عنديش) أيما عندي شيء

(ما نمدش) ⟵ أي ما عندي شيء

زيادة (حا) في أول الكلمة في مثل (ح ولد) ⟵ أي ولد ما.

و(ح لحاجة) ⟵ أي حاجة ما.

المبحث الثّاني: العربيّة الفصحى واللّهجة التّلمسانيّة

ظلّ منطوق تلمسان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا باللُّغة العربية الفصحى على الرّغم ممّا عرفته من الوجود الإسباني والتّركي والفرنسي بالمدينة، والحقّ أنّ الاختلاف بينهما لا يكاد يلحظ، فما جمعه هذا المنطوق من تغيير في نطق بعض الأصوات وبعض الألفاظ وفي الاشتقاق والتّصغير ما هو إلا اختلاف طفيف كان نتيجة لتعبير الناس عن أفكارهم بسهولة ويسر، فالتّغيير الّذي حدث في أصوات منطوق تلمسان وتراكيبه إنما كان قصد التّخفيف في النطق.

ومن مظاهر هذا التّخفيف:

1/بداية الكلمة بالصّوت السّاكن:

ومن أمثلة ذلك:

طْمَعْ ⟵ طَمعَ.

خْسرْ ⟵ خَسِر.

فالتّسكين في هذه الكلمات أخف في النّطق وأكثر اختصارًا للوقت وللجهد العضلي لقول عبد المنعم سيد عبد العال: «إن النّطق بالسّاكن قد ساعد المتحدث على سرعة تعبيره بطريقة من طرق الاختصار في الجهد العضلي قصد إظهار المعاني وسرعة النّطق بها»[1].

2/استبدال أصوات اللّين القصيرة في آخر الكلمة بالسّكون:

من أمثلة ذلك:

وْجدْ ⟵ بدلا من وجد بمعنى هيا أو حضر.

جْبَر ⟵ بدلا من وجد بمعنى وجد شيئا ما.

أْبَلْ ⟵ بدلا من قبل بنطق القاف همزة.

1- لهجة شمال إفريقيا تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، القاهرة، 1986م، ص: 66.

فحذف الحركات القصيرة من فتحة ضمة وكسرة كما يقول أحمد علم الدّين الجندي: «فيه تيسير واقتصاد»[1]. وهذه الصّفة لا توجد فقط في منطوق تلمسان بل هي موجودة في جميع اللّهجات العامية المتفرعة من العربية لقول علي عبد الواحد وافي: «انقرضت هذه الأصوات جميعها سواء في ذلك ما كان علامة إعراب وما كان منها حركة بناء فينطق الآن في هذه اللّهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر فيقال مثلا: رجع عمر للمدرسة بعدما خف عياه، بدلا من رجع عمر إلى المدرسةبعدما خف من أعيائه»[2].

3/تحول أصوات اللّين الطّويلة إلى حركات قصيرة:

ومن أمثلة ذلك:

مْشَ ⟵ في مشى

دْعَ ⟵ في دعا

يقول محمّد توفيق شاهين في هذا التّغيير: «إنّ ما حدث في غير العربيّة فقد تحوّلت FAVA في الفرنسية القديمة إلى FEVE وتحوّلت الأصوات القويّة فيها إلى أصوات ضعيفة كما في POLOMBE إلى POLN وتخلّت اللاتينيّة عن علامات الإعراب»[3].

4/الإشباع:

وهو تحوّل أصوات اللّين القصيرة (الفتحة والضمّة والكسرة) وهو تحوّل أصوات لين طويلة (ألف وواو وياء) في مثل:

ساهَلْ ⟵ في سَهْل

نْتِينَ ⟵ في أنتَ وأنتِ

1- علم الدّين الجندي، اللّهجات العربيّة في التّراث، ص: 246.

2- علي عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، ص: 138.

3- محمد توفيق شاهين، علم اللُّغة العام، ص: 138.

والإشباع مظهر صوتي تتميّز بها العربيّة ولهجاتها لقول عبد المنعم سيد عبد العال: «والإشباع في حقيقته لا يعدو أن يكون انسجامًا صوتيًّا بفضله بعض النّاس ولا يميل إليه البعض الآخر»[1].

5/تحول صوت الهمزة إلى واو:

ومن أمثلة ذلك:

وْدَنْ ⟵ في أُذُن بالدّال بدل من الذال.

ورِّني ⟵ في أرني

6/تحول الهمزة إلى الحركة الطّويلة:

كَاسْ ⟵ في كأْسْ

فَاسْ ⟵ في فَأْس

7/التّخفيف في وسط حرف اللّين:

بِيتْ ⟵ في بيت

دِيبْ ⟵ في ذئب

يوم ⟵ في يوم

8/إبدال بعض الأصوات بأصوات أخرى:

تبدل بعض الأصوات بأخرى في المنطوق التّلمساني في النّطق في الحروف التّالية (الظّاء والتّاء والذّال) الّتي تحوّلت إلى (طاء والتّاء والدّال) في مثل:

ظْفار ⟵ في أظافر

ظْلَامْ ⟵ في ظلام

تَلْج ⟵ في ثلج

عْدابْ ⟵ في عذاب

هَدِ ⟵ في هذه

[1] عبد المنعم سيد عبد العال، اللغُّة العربيّة عاميتها والفصحى ، ص120.

والضّاد الّتي تحوّلت إلى طاء في مثل:

رمْطَانْ ⟵ في رمضان

طُو ⟵ في ضوء

كما يتحول صوت القاف إلى الهمزة في منطوق تلمسان في مثل:

آلْ ⟵ في قال

آوآو ⟵ في قاوقاو[1]

وتحول صوت الجيم إلى (دج) في مثل:

آدجيْ ⟵ في آجي بمعنى تعال

فهذه الأصوات (الظّاء والذّال والثّاء والقاف والجيم) أغلبها تحوّلت إلى أصوات أخرى في منطوق تلمسان، والإنسان يجنح دائمًا إلى ما يسمّى بالاقتصاد اللّغوي كما يقول علي عبد الواحد عبد الوافي: «ومن آثار ما حدث في اللّغة العربيّة بصدد أصوات الجيم والتّاء والذّال والطّاء والقاف، فقد أصبحت هذه الأصوات ثقلية على اللّسان في كثير من البلاد العربيّة، فأصبح لفظها على الوجه الصّحيح يتطلب تلقينًا خاصًّا ومجهودًا إراديًّا وقيادة مقصودة لحركات المخارج ولعدم ملاءمتها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النّطق في هذه البلاد أخذت تتحوّل منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها»[2].

9/الإدغام:

هو تقريب صوت من صوت تحقيقًا للانسجام واقتصادًا للجهد الّذي يبذله المتكلم، يقول إبراهيم أنيس في هذا المعنى: «إنّ القبائل البدويّة تميل إلى السّرعة في نطقها وتلمسأيسر السبل فتدغم الأصوات بعضها في بعض وتسقط منها مايمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع»[3].

1–عبد الواحد وافي، فقه اللُّغة، ص: 135.

2– علي عبد الواحد وافي، اللّهجات العربيّة، ص: 120.

3– ابن جني، تحقيق: محمّد علي النجار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1987م–1407هـ، ط: 03، ج: 02، ص: 142.

وقد عرفه علماؤنا القدامى بأنه تجاور صوتين متقاربين أو متجاذبين وفناء أحدهما في الآخر[1]، أما المحدثون فيسمونه بالمماثلة assimilation وهي: «تقارب صوت من صوت آخر، بحيث يفقد إحدى صفاته الفارقة تحقيقا للانسجام ومن أمثلة الإدغام في منطوق تلمسان:

–إدغام الحاء في العين في مثل:

الله يَسْمَعْليكْ ⟵ في الله يسمع عليك

حْفَسْ عليهَا ⟵ عفس عليها أي داس عليها

–إدغام اللام في النّون في مثل:

أُنَّاهْمْ ⟵ في قلنا لهم بنطق القاف همزة

مَلْخَارجْ ⟵ من الخارج

10/المخالفة:

كما لا يخلو منطوق تلمسان من ظاهرة المخالفة حيث عرفها عبد العزيز مطر: «يحدث هذا الاختلاف في الكلمة المشتملة على التّضعيف، بأن يتغيّر أحد الصّوتين الضّعفين إلى صوت لين طويل: واو مد أو ياء مد أو ألف مد، أو إلى أحد الأصوات الشّبيهة بأصوات اللّين، وهي المسماة بالأصوات المائعة LIQUIDES وهي اللام والنّون والميم والرّاء»[2].

ومن أمثلتها:

عَبّيتْ ⟵ عببت بمعنى أخذت

رَدّيتْ ⟵ رددت

فقد أبدلت جميع هذه الأفعال إلى صوت لين طويل هو الياء لتحقيق السّهولة في النّطق واختصارًا للجهد العضلي؛ لأن النّطق بالصّوت المضعف مستثقل وفيه جهد أكبر، وقد أشار إليها

1– آمنة بن مالك، مصطلحات الدّراسة الصّوتيّة في التّراث العربي، دكتوراه دولة في فقه اللغة، جامعة الجزائر، 1987م، ص: 416.

2– عبد العزيز مطر، لحن العاميّة في ضوء الدراسات اللّغوية الحديثة، دار المعارف، ط: 2، 1401هـ–1981م، ص: 259.

سيبويه: «بكراهية التّضعيف وليس بمطرد»[1]. وقد عبّر عنها بعبارات مختلفة مثل: «كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد وكراهية اجتماع الأمثال، واستقال المثلين وغير ذلك»[2].

ومما جاء من أمثلة المخالفة في منطوق تلمسان الحصري:

أصّيتْ شعري ⟵ أي قصصت شعري، بالهمزة بدلا من القاف

مَديتْلُ لكتاب ⟵ أي مددت له الكتاب

حيث جاء في كتاب الأمالي: «العرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء فيقولون: "تظنيت، وإنما هو تظننت، وقصيت أظفاري بمعنى قصصتها، وتلعيت من اللعاعة»[3].

فكلّ هذه الأمثلة مخففة وذلك لبذل الجهد العضلي واختصارًا للوقت، فالتّخفيف يكون بإبدال الحرف المضعف حتى لا يتجانس حرفان من جنس واحد، وحتى يسهل النّطق لقول إبراهيم أنيس: «وهذا التّطور هو إحدى نظرية السّهولة الّتي نادي بها كثير من المحدثين والّتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السّهلة الّتي لا تحتاج إلى جهد، فيبدل مع الأيام الأصوات الصّعبة في لغته بنظائرها عضلي السّهلة»[4].

11/تبادل مواقع الأصوات:

ويكون التّخفيف كذلك في منطوق تلمسان بتبادل الأصوات مواقعها في الكلمة، فينتج حرف مكان آخر في مثل:

وْجَابْ ⟵ في جواب

مْعؤلقَة ⟵ في ملعقة

1- سيبويه، الكتاب، ج: 02، ص: 401.

2 -علي عبد الواحد وافي، اللُّغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، دط، دت، ص: 131، 132.

3- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1400هـ-1980م، ص: 171.

4- إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، ص: 212.

جْدَاده ⟵ في دجاجة (تبدل الدال بالجيم و تضاف دال أخرى بدل الجيم)، وفي هذه الظّاهرة يقول أحمد علم الجندي: «كما نسمع صداه كل يوم في لهجاتنا العربية الحديثة مثل الزّحالف للزّلاحف والمعلقة للملعقة، كما ينطق أهل الجزيرة بالسّودان تماينة في ثمانية وبايمه في باميه»[1]، وهذه الظّاهرة أي ظاهرة القلب، لا تنحصر اللّهجات العربية فقط، وإنما نلحظها أيضا في اللاتنية، الّتي تحولت فيها كلمةberbisإلىbrebis و abreuver. إلىabeuvrer

12/النحت:

جنح منطوق تلمسان إلى ظاهرة أخرى وهي النّحت ومن أمثلة:

فاين ⟵ في أين

فاوَأْ ⟵ في أيّ وقت

فالنّحت يعدّ من الاختصار اللّفظي كما يقول محمّد رشاد الحمزاوي: «وهو أن تعدّ مد إلى كلمتين، أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها، كلمة فذّة تدلّ على ما كانت تدلّ عليه الجملة نفسها»[2].

1- أحمد علم الجندي، اللّهجات العربيّة في التراث، ص: 656.

2-محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللُّغويّة الحديثة في اللُّغة العربيّة، معجم، تونس، الجزائر، 1987م، ص: 301، محمّد توفيق شاهين، النّحت في اللُّغة، عوامل تنمية اللّغة العربيّة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01، 1400هـ-1980م.

المبحث الثّالث: الدّراسة اللّغويّة والتّغيرات الصّوتيّة لمنطوق تلمسان

اللُّغة ظاهرة اجتماعيّة فكريّة صوتيّة، تكوّنت مع تكوّن مجتمعها النّاطق بها، نشأت بنشأته وسايرته في رقيّه وانحطاطه، ومن ذلك حظيت اللّغة العربيّة بمكانة تاريخيّة رفيعة في مختلف الدّراسات، باعتبارها لغة القرآن الكريم كما نالت اهتمامًا محمودًا، ومكانة مرموقة في نفس الباحث اللّغوي الّتي راح يدرسها دراسة معمّقة في مختلف مستوياتها اللّغوية واللّسانيّة.

ومن ثمّة فإنّ اللّغة أصوات ملفوظة، وكلّ ملفوظ صوتي إنساني هو كلام حامل للمعاني والأفكار الدالّة المنقولة من المرسل إلى المستقبل، حيث أنّ الكلام يتبلور ذهنيًّا ثمّ صوتيًّا حين يلتقي الصّائت بالصّامت في تكوين الوحدة الصّوتيّة القاعديّة، المسمّاة مقطعًا لغويًّا ليُشكّل من ذلك المباني الإفراديّة، ثمّ يتدرّج من تكوين التّراكيب النّحويّة حتّى يصل إلى النموّ، والاكتمال عند الأساليب البلاغيّة، وبهذا كانت اللّغة أرقى وسيلة للتّواصل والتّخاطب، والتّفاهم بين النّاطقين بها.

فاللُّغة العربية تختزن في مسارها الاستخدامي قديما وحديثا نطقين اثنين، أحدهما شاع في نطق أصوات اللُّغة العربية المشتركة الّتي نزل بها القرآن الكريم، والمعيار الّذي نحتكم إليه في ضبط هذا النّطق في حاضرنا: هم قراء القرآن الكريم، قرّاء الصّحابة، ومن ثمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المعنى ينقل ابن الجزري ما نصّه أنه «إذا ثبت تواتر اللّفظ ثبت تواتر هيئة أدائه؛ لأن اللّفظ لا يقوم إلا به، ولا يصح إلا بوجوده»[1].

أما النّطق الآخر فقد شاع في اللّهجات العربية قديمًا وحديثًا وهذا تحكمه ظروف جغرافية واجتماعية بالإضافة إلى قرب أو بعد الجماعة اللُّغوية عن غيرها من الأمم الأخرى، فالاختلاط مجلبة للتّأثر والتّأثير، قال ابن الأثير: «كان اللّسان العربي عندهم صحيحا محروسا، لا يتداخلها

1- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تقديم وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 2002، ج: 1، ص: 225.

2- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، دط، دت، 5/1.

لخلل، ولا يتطرّق إليه الزّلل إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم... فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن»[1].

واستمر حال العربية على هذا الوضع في عصرنا، فهي تمضي بنطقين: فصيح ورثه القراء المعاصرون — ممن يحسنون القراءة — عن أسلافهم، وهو نطق معياري بقي مرتبطا بالقراءة؛ لأنها سنة متبعة تلازم فيها اللّفظ والأداء[2].

وولاية تلمسان كغيرها من ولايات الوطن عرفت في منطوقها نموذجين من الاستخدام الصّوتي، فصيح مجاله قراءات القرآن، وضابطه مجيدو التّلاوة المتقنون الثّقاة، أمّا النّطق الآخر فميدانه اللّهجات، وقد تنوّعت أصواته تبعًا لظروف النّاطقين البيئيّة من بداوة وتحضّر، وتأثر وتأثير بمن جاورهم، بالإضافة إلى الطبيعة الجغرافية وما يميزها من صعوبة أو سهولة في مسالكها وما تعرّضت له من هجرات أو نزوح منها أو إليها، وما عرفته من اختلاط سببه الحروب، أو التّواصل الاقتصادي، ومن تجارة أو غيرها مع جهات أخرى من داخل الوطن أو من خارجه، وما إلى ذلك من الأسباب الّتي لها تأثير في التّنوع الصّوتي.

وقد توزّع النّاطقون في ولاية تلمسان على مناطق مختلفة، فمنهم من استقرّ في المناطق السّاحليّة بقسميها الشّمالي والشّمال الغربي، ومنهم من اختار المناطق الدّاخليّة، وهناك من آثر الجهات الجنوبيّة، وقد أدّت الظّروف الّتي أحاطت بكلّ منطقة من المناطق المشكّلة لولاية تلمسان إلى ظهور أصوات لهجيّة ميّزت الناطقين بها على اختلاف جهات تمركزهم.

تتميّز اللّهجة التّلمسانيّة بخاصيّة تشترك فيها مع مدن في المغرب الأقصى، وأخرى في المشرق العربي ونخصّ بالذّكر "القاهرة" وقبائل "اليمن"، وكذلك قبائل من "لبنان" وبلاد الشّام

1–أحمد عبد الرّحمان حماد، الخصائص الصّوتيّة في لهجة الإمارات العربيّة: دراسة لغوية ميدانيّة، دار المعرفة الجامعيّة، دط، دت، ص: 13.

2–السّيوطي، جلال الدّين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت، 2003م، ص: 106.

وكذلك في "نابلس" و"فلسطين" فينطقون "القدس" مثلا: "الأدس"، وقد مرت هذه اللّهجة بعوامل لغويّة كثيرة، بعضها نشأ عن طريق الوراثة والبعض الآخر عن الطّبيعة والبيئة والجوار[1].

ويرجح الباحث التّيجيني بن عيسى أنّ سبب انتشار هذه الظّاهرة الصّوتية هو نتيجة مترتبة جرّاء نزوح الأندلسيين إلى شمال المغرب العربي، وذلك راجع لوجود هذه الظّاهرة كذلك في المغرب الأقصى في مدينتي "تطوان" و"فاس"، ويذكر أنّها شاعت بوضوح بعد رجوع أهل تلمسان الّذين هاجروا إلى الشّام ومصر، كما ذكر الباحثون في مناسبات كثيرة أنّ تلمسان وفاس تتشابهان في أمور عديدة مثل العادات والتّقاليد وفي نطق القاف همزة، لكن همزة الفاسيين غارية تنطق من الدّاخل أمّا همزة التّلمسانيين فليّنة قريبة جدًّا من همزة تطوان، والتّشابه في النّطق موجود بين همزتي تلمسان وتطوان[2].

يذكر إبراهيم أنيس أنّ أهل المدن المتحضرة بمليون عمومًا إلى الرّخاوة الأصوات الشّديدة، حيث أنّ فيها من التّؤدة واللّيونة ما ينطبق مع بيئتهم وطبيعتهم، وفي الصّحراء الخالية من كلّ مظاهرة المدنيّة، قد يضيع الصّوت في الأجواء الواسعة، حيث يتحدّث الأفراد فلا يوجد جدران تعوق موجات الأصوات، بل تنساب الأصوات في محيط الفضاء، أمّا الأصوات المجهورة فأوضح في السّمع، تتلقاها الأذن في مسافات قد تختفي فيها الأصوات المهموسة.

«لهذا كان من المعقول بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدّنة الّتي تتحدّث بين جدران المنازل، والّتي لا ترى داعيًّا لوضوح الصّوت بنسبة أكبر ممّا يتطلّبه السّامع القريب، تميل عادةً على همس الأصوات، وقد دعت الحضارة منذ القدم، كما دعت آداب الإسلام إلى خفض الصّوت، وهذا ما أدّى إلى شيوع الأصوات المهموسة في البيئة العربيّة المتحضّرة»[3].

1- هشام خالدي، القاف والكاف في عاميّة تلمسان، رسالة ماجستير في علم اللّهجات، 2000-2001م، ص: 120-121.

2- التّيجني بن عيسى، الأصوات اللُّغويّة في لهجة تلمسان، مؤسسة بختي للإعلام الآلي تلمسان، ط: 1، 1994م، ص: 106.

3- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص: 106-107.

وفيما يلي وصف لهذه الأصوات اللّهجية منسوبة إلى الرّقعة الجغرافية الّتي سُمعت فيها.

أولا: الأصوات اللّهجية المسموعة في منطوق تلمسان المدينة (الحضر والأحواز)

من المعلوم أنّه لا يمكن لأي لغة أن تبقى حبيسة ضمن سياج وهمي؛ لأنّها في ديمومة مستمرّة وذات اتّصال باللّغات المجاورة، وهذا ما حدث في منطوق تلمسان الحضري.

يقصد عادة بكلمة (الحضر) سكّان تلمسان القاطنين داخل السُّور الّذي يحيط بالمدينة العتيقة، ويوصف هؤلاء بأنّهم أهل حضارة وتمدّن. في حين تُطلق لفظة (الحوز) على سكان ضواحي تلمسان، ممن يقطنون خارج السّور، وأغلب هؤلاء بدو وفدوا على المدينة واختاروا الاستقرار على تخومها.

فالحديث هنا عن أثر اللغات في هذا المنطوق نتيجة الموقع الجغرافي للمنطقة الّذي كان بدوره سببًا رئيسيًّا في دخول أجناس مختلفة إلى تلمسان كالبربر والإسبان والأتراك والفرنسيين، فاحتكت لهجة أهاليها بجميع هذه اللّغات وهذا أمر طبيعي من المتعذّر أن تظلّ لغة بمنأ من الاحتكاك بلغة أخرى.

ومن الأصوات اللّهجية الّتي اختصّ بها حضر تلمسان نذكر:

1/القاف الهمزية:

يتّصف صوت القاف بأنّه صوت شديد مهموس، مخرجه أقصى الحنك ويشيع قلبه همزة في لهجة تلمسان التّلمسانيين، وهذا راجع إلى تشابه الصّوتين في صفة الشّدّة مثل: (ألب) في (قلب) و(أبّة) في (قبّة) و(آل) في (قال)، ويتميّز الواقع اللّهجي التّلمساني بتغيّراته اللّغويّة والصّوتية كقلب العين خاء في (خسل) أي (غسل) و(آسم) في أي اسم، وهو تركيب اسمي كثير الاستعمال في تلمسان ويأتي بمعنى ماذا الاستفهاميّة؟ وقلب الضّاد طاء في (تطرب) أي (تضرب) و(غطب) في (غضب)[1].

1- التيجيني عيسى، الأصوات اللّغويّة في لهجة تلمسان، ص: 105.

وصوت القاف في اللّهجة الحضريّة أو المدينة يرقق ويلين حتى يصير همزة فكلمة "قاوقاو" مثلا الّتي تعني الفول السّوداني تنطق "آوآو"، يقول أهالي تلمسان مثلًا "بألاوة" وهي حلوة لذيذة من أصل تركي تدعى (Baklawa) تصنع من العجين وتحشى باللّوز وتسقى بالعسل، كما يقولون: "أطايف"، وهي كذلك من أصل تركي وهي عبارة عن عجينة ترفق وتجفّف ثمّ تطبخ بواسطتها الشّربة[1].

كلمة "أزار" عند التّلمسانيين تعني إناء حديدي كبير يستعمل للطهي في الولائم والأعراس، والكلمة مأخوذة من التّركية (Kazan) الّتي تعني عند الأتراك إناء حديديًّا، أمّا كلمة "بؤراج" فهي آنية حديديّة تستعمل لتسخين الماء، وهي مأخوذة أيضًا من التّركية (Bakrace) والّتي تحمل نفس المعنى[2]، وكلمة "أزار" و"بؤراج" تنطق "قزار" و"بقراج" في اللّهجات الأخرى، المجاورة لمدينة تلمسان.

وفي المثل العامي "القط يعلم لبّاه النّط" ينطق بقلب القاف همزة "الأطّ"، ويطلق هذا المثل على كلّ إنسان لم يكتسب خبرة ويريد أن يقنع أو يفسّر شيئًا ما للإنسان ذي الخبرة الواسعة، وفي قولهم أيضًا "عاتق" فأبدلوا القاف همزة فأصبحت "عاتأْ"، وكذلك في قولهم "عأْدة" بهمزة بدل القاف "عقدة" وبفتح العين ويطلقونها على مسحوق اللّوز المعجون بالعسل والمخلوط بالقرفة ويستعمل حشوًا للحلويات المختلفة[3].

لكن هناك بعض الكلمات في اللّهجة التّلمسانية لا تقلب القاف فيها همزة إنّما تخرج عن القاعدة المألوفة وتنطق صوتًا شديدًا مجهورًا يشبه إلى حدٍّ ما الجيم القاهريّة، مثل: "بقرَ" في "بقرة" و"أقعُدْ" في "أقعد" و"قْمَر" في "قمر".

وتتميّز اللّهجة التّلمسانيّة إذن بقلب القاف همزة، وسرعان ما يعرف مستعملوها في كل القطر الجزائري بأنّهم من سكّان مدينة تلمسان، فهذه الصّفة هي بمثابة الخاصيّة أو العلامة

1- نادية بوقادوم، تأثير العاميّة التلمسانيّة باللّغة التركيّة، رسالة ماجستير في علم اللهجات، 2000-2201م، ص: 60.
2- نفسه، ص: 63.
3- هشام خالدي، القاف والكاف في عامية تلمسان، ص: 123.

الخصوصيّة إن صحّ التعبير، لكن هذه الهمزة غالبًا ما يتجنّبها مستعملوها خصوصًا الشّباب ويفضلون استعمال الصوت [ق] و[ڤ].

2/ التّاء السّينية:

يلفظ التّلمسانيون (الحضر) التّاء مشربة سينا، في نحو قولهم: (أُتْسلك) في قلت لك، و(لكتْساب) في لكتاب، و(التْسمر) في التّمر، ولعل إيثار التّلمسانيين إشراب التّاء سينا مردّه إلى أنّ التّاء صوت مهموس خفي وإشرابه قليلا من صوت السّين يزيده وضوحًا؛ لأنه أندى في السّمع بما فيه من الصفير.

3/التّاء الكافية:

يخرج التّلمسانيون (الحضر) التّاء السّاكنة في بداية الكلمة كافا، نحو قولهم: (كلاتة) في ثلاثة. ويبدو أن مسوّغ هذا الإبدال، أنّهم حين أبدلوا الثاء الأخيرة تاء مالوا إلى إبدال الأولى كافا إيثارا للصّوتين الشّديدين (ك و ت)؛ لأنهما أقصرا زمنًا وأسرعا نطقًا من الثّائين الرّخوين المكلف نطقهما جهدا مضنيا[1].

4/الجيم التّلمسانية DJ:

من الأصوات اللّهجية المتداولة في منطوق حضر تلمسان الجيم، فهي مسموعة في كلامهم بنطقين: أولهما يقترب من الجيم الفصيحة، كما نسمعها من مجيدي القراءات القرآنية، فهم يخرجونها (دج) في نحو قولهم: (دْجي) في أجي، بمعنى تعالى، وقولهم: (دْجنان) في لجنان أي البستان.

أمّا الثّاني فهي جيم مركبة من صوتي التّاء والشّين (تش)، ويذكر أحد الدّارسين أنّ هذا الصّوت من بقايا النّطق التّركي في منطوق التّلمسانيين الحضر، ومن الأمثلة الّتي يوردها هذا الدّارس قولهم عند نداء شخص اسمه مبدوء بالجيم، نحو: (جْوار) و(وجنار) فهم يلفظونهما هكذا: (تْشوار)

10–المصطلحات الصّوتية عند النحاة واللّغويين العرب، ص: 82.

و(تْشنار)[1]. ولعلّ النّطق الأول للجيم (دج) أكثر انتشارا وسماعا بين التّلمسانيين على اختلاف أعمارهم.

والظّاهر أن الفرق بين الصّوتين، يتمثل في أنّ الجيم في النّطق الأول قليلة التّعطيش، أما في الثّاني فمبالغ في تعطيشها حتى أبدلوها شينا مجهورة، فهي قريبة في نطقها من الجيم البيروتية والحلبية ببلاد الشّام[2]، ولهذا أدغموا اللّام فيها في نحو قولهم: (الجّبل والجّيل).

5/ الأصوات المطبقة في نطق حضر تلمسان (ض، ظ، ط):

ينطق التّلمسانيون الحضر صوتي: (ض، ظ) دالا، يظهر هذا واضحا في نطق الرّجال خاصة، نحو قولهم: (دهر ودو) في (ظهر وضو)، في حين نسمع الصّوتين على ألسنة النّساء خاصة (طاء)، يبدو هذا في قولهم: (طْهر، وطَو، ورمطان، وطْليلة) في (ظهر ورمطان وظل)[3]، والفرق بين النّطقين، أن الرّجال آثروا صوتا مجهورا مرققا، في حين مال النّساء إلى الطّاء المهموس المفخم.

أما صوت الطّاء فيحافظون غالبا على خصائصه النّطقية، كما في قطن وطين وطاجين وطريز، ولكنهم يميلون به نحو التّاء المفخمة في بعض الألفاظ، كما في قولهم: (تريق) بدل طريق. فصوت الطّاء في هذه الكلمة وسط بين التاء والطاء.

6/الدّال التّائية:

يسمع الدّال تاء في نطق بعض حضر تلمسان، وذلك في سياق صوتي معين تأتي فيه التّاء ساكنة متلوّة بصوت مهموس، نحو قولهم: (يتْفَنْ) في (يدفن)، والظّاهر أن إبدال الدّال تاء سوّغه تأثير الفاء بما فيه من الهمس في الدّال المجهور؛ الّذي اتصل به اتصالًا مباشرًا؛ لأنه ساكن، ثم

1- محمد رمضان الشّاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1995م، ص: 361- 362.

2-رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللّغوي، ص: 94.

3- تجيني بن عيسى، لهجة تلمسان، رسالة تقدم بها الطّالب لنيل شهادة الماجستير في اللّغة، جامعة تلمسان، ص:54.

وقوعه في نهاية مقطع، والتّاء في بداية مقطع (يدْفَنْ)، والصّوت الّذي في بداية مقطع أقوى من الّذي في نهايته[1].

والأمر نفسه نلاحظه في مناطق أخرى من ولاية تلمسان، كما هو جار على ألسنة سكان دائرة صبرة بقبائلها المتعددة في تمكسالت وأولاد حمّو وأولاد عدّو وبلغافر، فهم يقولون: (يتفع) في (يدفع)، و(يتفل) في (يدفل)، أي يبصق.و(يتفن) في (يدفن).

7/الدّال الطّائية:

وهناك فئة قليلة من حضر تلمسان من يخرج الدّال طاء في مثل قولهم: (يطْحي فلفور) في يدحي في الفرن. أي يضع شيئا في الفرن.

8/التّاء الطّائية:

ويميل بعض التّلمسانيين إلى تفخيم التّاء بإبدالها إلى نظيرها المفخم، أي: الطّاء، فيقولون: (طاصيلة) في تأصيلة، و(يلطخ) في يلتخ. أي يلقي الشّيء بقوة على الأرض.

9/ الأصوات الصّفيرية في نطق التّلمسانيين حضر وأحواز:

في تسجيل صوتي شمل التّلمسانيين بقسميهم (الحضر والحوز) يؤكد أن بعضا من هؤلاء يلفظ الأصوات الصّفيرية كما هي معروفة في الفصيح، وإلى جانب هذا سُمعت السّين صادًا، وذلك في نحو قولهم: (صلطان، وسور، وخْصارة) في سلطان وسور وخسارة. والمسوّغ الصّوتي لهذا الإبدال تحقيق الانسجام بإبدال الصّوت المرقّق إلى نظيره المفخم ليعمل اللّسان في مستوى واحد أي العلوّ[2].

وهو أمر يلاحظ في منطوق معظم سكان ولاية تلمسان على اتساعها. بيد أنّ السّين تبقى سينًا والصّاد تبقى صادا في معظم الألفاظ المنطوقة، حينما لا يكون الدّاعي ملحًا كما في الأمثلة السّالفة.

1- فندريس، اللغة، فندريس، ص: 246.

2 - ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 487، والمبرد أبو العباس، المقتضب، ج: 1، ص: 15.

10/ الفاء المجهورة V:

تسمع الفاء بخواصها الصوتية المعروفة لها في الفصيح في نطق التّلمسانيين (حضر وحوز) في نحو قولهم: (فْتح، فْرح، فْراش)، إلاّ أنّها قد تُجهر في سياق صوتي معيّن؛ فتلفظ قريبة من(V)، وذلك في مثل قولهم: (يفْسد)، فإنها تلفظ:(يفْزد). ويمكن تفسير هذا الاستعمال، على أنه عندما أثّرت الدّال بما فيها من الجهر في السّين فأبدلتها إلى نظيرها المجهور، وهو الزّاي، ثم أثّرت الزّاي بما فيها من الجهر تأثيرا رجعيا في الفاء فأبدلتها إلى نظيرها المجهور، وهو صوت v، الّذي لا يميّزه عن الفاء العربي سوى وجود الجهر في الأول والهمس في الثّاني، وطلبا للخفة والانسجام آثر التّلمسانيون إبدال الفاء v نطقًا.

وينبغي أن ننبّه إلى أن هذا الأمر لا يطرد عند باقي سكان ولاية تلمسان، إذ أن أهل صبرة مثلا بقبائلها المختلفة يحافظون على السّين بخصائصها النُّطقية في مثل هذه المواضع، وهو ما لمسناه عند الصبراويين مشافهة فهم يحافظون على صوت السّين في مثل يفسد.

11/السّين الشّينية:

تلفظ السّين شينا في نطق بعض التّلمسانيين من حضر وحوز في سياق صوتي محدّد، وهو مجيء السّين مجاورة للشّين في كلمة واحدة في مثل قولهم: (شمش وشميشة) في شمس وشميسة. ولعل هذا النّطق من بقايا نطق اليهود الّذي سكنوا تلمسان بعد نزوحهم من الأندلس أو وفدوا على المدينة مع الاحتلال الفرنسي، فكلمة (شمس) تلفظ بالعبرية (شِمِشْ).

بيد أن هذه السّين تبقى سينا بعد القلب المكاني، في مناطق عديدة من ولاية تلمسان، كما عند قبائل صبرة، فهم يقولون (سمش)، في (شمس) الفصيحة.

12/الشّين الصّادية:

يُسمع في منطوق تلمسان (حضر وحوز) أنّ بعضا من هؤلاء من يلفظ الشّين صادا عند مجاورتها للجيم في نحو قولهم: (صجرة وصجور) في (شجرة وشجور).

أما قبائل صبرة فيحذفون الشّين في (شجرة وشجور)، فيقولون (جرَّة) في المفرد، و(جَرْ) في حالة الجمع، ويحصل ذلك أيضا إذا كانت الكلمة معرّفة، فهم يقولون (الجَرَّة) و(الجَرْ). وأما في بعض الحالات فتقلب الشّين سينا في مثل هذه الكلمة فيقال (سجرة).

13/اللّام النّونية:

ينطق أغلب التّلمسانيين (حضر وحوز) اللام نونا في نحو قولهم: (جبرين وسماعين وسنسلة وطحان) في جبريل وإسماعيل وسلسلة وطحال.

ويشترك معظم سكان ولاية تلمسان في ذلك، على تفاوت فيما بينهم، فأهل صبرة يقولون أيضا (سنسلة) و(سماعين) و(طِحان)، ولكنهم لا يقولون (جبرين) بل يثبتون اللام فهي عندهم (جبريل).

14/الغين الخائية:

تُهمس الغين في نطق التّلمسانيين فتتحول إلى نظيرها المهموس، أي: الخاء في قولهم: (خْسل وخْطس) في غسل وغطس. والظّاهر في المنطوق المسجّل أنّ إخراج الغين خاء عند مجاورتها لصوت مهموس في نطق (حضر) تلمسان قد شاع في أحياء (سيدي بومدين وأغادير وبروانة). كما سُمعت الغين خاء في نطق بعض الحوز على ما سمع في أحياء (سيد الحلوي وسيدي سعيد وسيدي لحسن وإمامة والكيفان وشتوان وأوزيدان وأوجليدة).

أمّا في مناطق أخرى من الولاية، كما عند قبائل صبرة مثلا، فتحافظ الغين على خصائصها النُّطقية، فهم يقولون: (غسل) و(غطس) دون تغيير.

15/نطق القاف على ألسنة التلمسانيين الحوز:

إن السّامع لنطق الأحواز لصوت القاف يقف على تنوع في نطقهم لهذا الصّوت، فهو مهموس شديد من أقصى اللّسان وما يقابله من اللّهاة على نحو ما هو معروف في الفصيح.

وسُمع هذا الصّوت على ألسنتهم گافا سامية مجهورة شديدة من أقصى اللّسان وما يقابله من أقصى الحنك.

وسمع صوت القاف همزة على نحو ما هو جار على ألسنة بعض (الحوز)، وهم قلة قليلة ممن قلدوا (الحضر) في نطقهم، ومن كلامهم في هذا قولهم: (التْيأْ) في الطّيوق؛ أي النّوافذ، في حين سمعت الكلمة في نطق (الحضر) (الطّيئان) مفردها (طاءة)، وقولهم: (نْآوة) في نْقاوة، في حين هي في نطق الحضر:(النْأى).

ومن الغريب في نطق بعض التّلمسانيين الحضر وبخاصة الذّكور عند خروجهم من بيئتهم، فإنّهم يعودون إلى نطق القاف گافا سامية، وذلك نحو قولهم:(نگَلع والسّاگَية وگَادية وگُـدام)؛ أي نقلع والسّاقية وقادية وقدام.

ولعل العامل النّفسي والاجتماعي قد لعبا دورا في هذا الخروج عن المألوف، إذ لا شك أن قول الرّجل (ألبي) بدل (قلبي)، و(أنطرة) بدل (قنطرة) في وهران مثلا أو سيدي بلعباس سيثير حفيظة أهل المدينتين، وربما سخريتهم خاصة إذا علمنا أن السّكان يسخر بعضهم من بعض إذا اختلفت عاداتهم الصّوتية والمعجمية،، وقد لمسنا ذلك في كثير من المواقف، ولاسيما في مقابلات كرة القدم، إذ كثيرا ما كان أنصار فريق سيدي بلعباس ووهران يرفعون أصواتهم في المدرجات بألفاظ من تلمسان تدل على ليونتهم، كأن يقولوا: (مريأ حارة) أي (مريقة حارة) و(أوأة) أي (قاوقوة)، وذلك للتّأثير على معنويات اللاعبين، ويحد من عزيمتهم.

16/ الجيم الدّالية والدّال الجيمية:

يحصل في مدينة تلمسان، وبعض أحوازها، أن تقلب الدّال جيما والجيم دالًا، فيقولون (الجْدَادْ) في (الدْجَاجْ)، ولعل السّبب في ذلك هو الميل نحو السّهولة والانسجام الصّوتي والموسيقي.

17/ الدَّال الطائية:

لاحظنا، من خلال بعض العادات الصّوتية، أنّ أهل تلمسان يبدلون الدّال طاء في بعض الألفاظ، من ذلك أنّهم يقولون: (حْفيطْ) في (حْفيد) أي حَفيد، وفي الجمع (حفايط) في (حفايد)، وكلّ ذلك يرجع إلى ميلهم نحو السّهولة والخفة؛ لأنّ الفاء تطلب التّاء لاشتراكهما في صفة الهمس.

ثانيا: الأصوات اللّهجية المسموعة في المناطق الشّمالية من الولاية:

عرفت هذه المنطقة بجهتيها الشّمالية الشّرقية والشّمالية الغربية أصواتا لهجية نذكر منها:

1/ نطق القاف:

يسمع هذا الصّوت بنطقين، أوّلهما يقترب من الفصيح على ألسنة أهالي السّاحل الشّرقي، فهم يخرجونه مهموسا شديدا مستعليا من أقصى اللّسان وما يقابله من اللّهاة، وسُمع هذا في مدن وقرى (هنين، وبني خـلاد، وندرومة، وبني ورسوس، والعين الكبيرة، وفلاوسن)، وقد يمتدّ هذا النطق إلى المنطقة الشّمالية الغربية من السّاحل مع بعض الإخفاء في مثل قول أهل مسيردة الفاقة.

ويطّرد هذا النطق أيضا في منطقة بني سنوس، أي الجنوب الغربي للولاية (الخميس، وبني بحدل، وبني عشير، وتافسرة، وزهرة، والفحص). فهم ينطقونها فصيحة دائما إلا في مواطن محدودة، حيث تتحول عندهم إلى ما يشبه الجيم المصرية، كما في قولهم: (الكَرنين) بدل (القرنين)، وهو نبات شوكي لذيذ ينبت في فصل الربيع، و(الكَافلة) في (القافلة)، و(الكَيطون) في (القيطون).

2/القاف الكافية:

ويمثّل النطق الثّاني للقاف، وساد في المناطق السّاحلية الشّمالية الشّرقية والشّمالية الغربية، كالغزوات، ودار يغمراسنّ، والسواحلية، وتيانت، وتونان، ومسيردة التحاتة. وقد اعتاد هؤلاء على إخراج هذا الصّوت كافا مهموسة شديدة منفتحة مستفلة مرققة من أقصى اللّسان وما يقابله من أقصى الحنك.

ومن أوجه التّغيرات الّتي طرأت على هذا الصّوت في منطوق الغزوات نورد:

أبداله كافا مطلقا: وذلك على اختلاف مواقعه في الكلمة، مثال ذلك قولهم: لَكْصَرْ في القصر، وكال في قال، وأيضا عْكَل في عَقْل، وغيرها من المواضع الّتي لا يمكن حصرها. وهذا الإبدال بين القاف والكاف له ما يسوّغه من النّاحية الصّوتية، فالقاف والكاف متجاورتان في المخرج؛ إلا أن اللّسان مع الكاف ينخفض نحو قاع الفم، وهذا ما يكسبه صفة الاستفال، في حين أن أقصى اللّسان مع القاف يرتفع ناحية اللّهاة، فقد انتقل المخرج إلى الأمام قليلا من منبة اللّهاة إلى ما يليه من الحنك الأعلى (الطّبق). وهما يشتركان في الهمس والشّدة؛ أي إنّهما صوتان متحدان في الصّفة إضافة إلى تقاربهما في المخرج.

ومن الإبدال الوارد بين هذين الصّوتين في اللّهجات القديمة، قول ابن جني: «إناء قربان وكربان؛ إذا دنا أن يمتلئ؛ فينبغي أن يكونا أصلين؛ لأنك تجد لكل واحد منهما متصرّفا»[1]. فهذا الإختلاف في الوحدات الصّوتية مردّه إلى الاختلاف في اللّهجات، مع أن ابن جني لم ينسبها في هذا الموضع إلى قبيلتها، إلا أنه في موضع آخر نسب القاف إلى تميم وقيس، والكاف لقريش، قال: «أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه، قال: قال الفراء: كشطت، وقيس وتميم تقول: قشطت بالقاف، وليست القاف في هذا بدلا من الكاف؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين»[2].

فضّلت تميم القاف، وهذا راجع لطبيعة البيئة الصحراوية؛ حيث تميل القبائل البدوية إلى الأصوات الشّديدة، وهو أمر يتلاءم مع ما عرف عن البدوي من غلظة وجفاء في الطّبع[3].

3/الضّاد الطّائية:

إذا كان الشّريط السّاحلي بقسميه قد عرف قاطنوه اختلافا في نطق القاف، فإنّهم في المقابل قد اتفقوا في نطق بعض الأصوات، نحو الضّاد الطّائية؛ أي إخراج الضّاد طاء مهموسة شديدة

1- ابن جني، الخصائص، ص: 363.

2- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، ج: 1، ص: 287.

3- عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطور، ص: 64، 105.

مستعلية مطبقة مفخمة في مثل قولهم: (رب وطْحك) في ضرب وضحك وأيضا قولهم: بيط في بيض.

4/الجيم الشّينية:

يتفق النّاطقون في الشّريط السّاحلي بجهتيه في نطق الجيم شينا مجهورة غير مركّبة كما في نطق التّلمسانيين الحضر خاصة، وذلك في مثل قولهم: (بل وشْلابة)، ويلاحظ في نطق هذه الجيم أنها شديدة الرّخاوة، فهي تشبه الجيم الشّامية كما أنها مسموعة في بيروت وحلب[1].

ويقترب نطق الجيم من صوت الشّين في حالة ما إذا جاور صوتا مهموسا نحو صوت التّاء في قولهم شْتمعوا في اجتمعوا. وشُحا في جُحا، ففي المثال الأخير وقعت الجيم ساكنة في نهاية المقطع الأول من الكلمة، وهذا ما أضعفها وجعلها تتأثر بصوت التّاء المهموس؛ الّذي وقع في بداية المقطع الثّاني من الكلمة.

5/الجيم الكَافية GA:

تتحوّل الجيم إلى گاف في المنطقة السّاحلية برمتها في سياق صوتي معين تتّابع فيه الجيم والسّين والزاي، وذلك في مثل قولهم: (گزار وعگوز وگاسوس وگبس)، في جزار وعجوز وجاسوس وجبس.

ولوحظ أيضا إبدال الجيم كَافا في بعض الكلمات خارج السّياق المذكور، وذلك في نحو قولهم: فكَعني في فجَعني، ولا ندري العلة الصّوتية من إبدال الجيم كَافا سوى الميل إلى طلب صوت أندى وأصغى في السّمع، إذ الكَاف ذات رنين أصغى في السّمع من الجيم.

6/الصّاد السّينية:

ومن الأصوات اللّهجية الّتي التقى فيها النّاطقون في المنطقة السّاحلية إخراجهم للصّاد سينا في مثل قولهم: (السّدقة، وسندوق، وسحابي) في (الصّدقة، وصندوق، وصحابي)، ونحو قولهم:

1- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص:50.

لاسَك في لاصق، وسِيّاغ في صائغ، وهذان الصّوتان متجانسان، فكلاهما من طرف اللّسان ووسط الأسنان العليا، ولا فرق بينهما إلا في التّرقيق والتّفخيم.

7/السّين الصّادية:

وسمعت على لسان بعض النّاطقين على الشّريط السّاحلي، وذلك في نطقهم للألفاظ التّالية: (عرص، وغرص، ويقصم، ويصقصي) في (عرس، وغرس، ويقسم، ويسقصي)، فقد أخرجوا السّين صادا مهموسة رخوة صفيرية مفخمة. ويتجلى هذا النّطق أيضا في مثل قولهم: صَرْوال في السّروال، ويْكَصَّر في يَسهر، وأيضا قولهم: يَغْطَصْ في يغطسُ، ومصخوط في مسخوط. وفي نحو قولهم: راصْ في رأس، وأيضا صوكْ في سوق.

غير أنه في المنطقة الغربية من تلمسان، كما في صبرة وسيدي مجاهد، والكاف، وبني بوسعيد تحافظ السّين على خصائصها النّطقية كاملة، ونسجل ههنا أن الرّاء لا تفخم كما عند السّواحليين، ولذلك تحافظ السّين على صفاتها في هذه المنطقة الغربية.

8/القاف الخائية:

ومن الأصوات اللّهجية الَّتي سمعت عند بعض النّاطقين في المنطقة السّاحلية بواجهتيها الشّمالية الشّرقية والشّمالية الغربية إخراجهم القاف خاء في سياق صوتي خاص، قولهم: (دروخْ ودوخْ وبواخة) في (دروق ودوق وبواقة).

9/نطق الهمزة عينا أو هاء أوياء أو واوا:

عرف صوت الهمزة على لسان بعض أهل الساحل تنوعا نطقيا تمثّل في إخراجها عينا في نحو قولهم: (قرعان ومسعول) في (قرآن ومسؤول).

وتبدل الهاء من الهمزة في حالات نادرة وقليلة جدا، نحو قولهم هرّق وتهرّق؛ إذا أرادوا أراق، بمعنى انقلب وانسكب الماء، فأبدلوا الهمزة هاء، وأيضا قولهم: مهدّب في مؤدب.

ومثل هذا الإبدال، أعني إبدال الهاء من الهمزة، له أصول في اللّهجات القديمة، فقد ذكر ابن جني أن إبدال الهمزة هاء، يكون إما أصلا؛ أي لهجة، وإما بدلا، ومما تقع فيه الهاء أصلا، قوله: فالأصل نحو قولهم في إياك: هياك، أنشد أبو الحسن[1]:

فَهِيَّاكَ وَ الأَمْرُ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهْ

وهو يريد: إياك.

نفهم من هذا الكلام، أن إبدال الهمزة هاء؛ علّته تخفيف الهمزة، وذلك بالتّخلّص من شدتها وانفجارها بصوت الهاء الضّعيف بخفائه لقلة الاحتكاك معه، قال الخليل بن أحمد: «الهمز مهتوت»[2] في أقصى الحلق؛ فإذا رُفّه عن الهمز صار نفسا تحوّل إلى مخرج الهاء؛ ولذلك استخفت الـــعرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، يقال: أراق وهراق، وأيهات وهيهات[3].

ولُفظ الصّوت نفسه واوا عند غيرهم، كقولهم: (ودّن) في أذن، وتبدل الهمزة واوا أو ياء من أجل تسهيل نطقها، في مثل يْوكّد في يأكّد، أما مثال إبدال الياء من الهمزة فهو في مثل قولهم: يَنا في أَنا، ويَبْرَ في إِبْرة، ويَبْليس إذا أرادوا: إبليس. والملاحظ أن إبدال الهمزة هاء لا يقتصر على كونها في أول الكلمة وإنما تبدل ياء في اسم فاعل الثلاثي الأجوف؛ مما سمعناه في قولهم: لْقايَد في القائد، ولْعايْلة في العائلة،كما تبدل الهمزة ياء في صيغة فعائل، نحو قولهم: صمايَم في صمائم.

1- سر صناعة الإعراب، ج: 2، ص: 200، وينظر: ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، دط، 1999، ج: 1، ص: 40. وينظر: ابن جني، التّصريف الملوكي، تحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، دط، 2005، ص: 41، وينظر: ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت. لبنان، دط، 1987، ج: 1، ص: 397.

2- الهت: هو شبه العصر للصّوت، وقد أطلق سيبويه صفة الهت على صوت الهاء، لضعفه وخفائه. ينظر: الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيتري، دار الفكر، بيروت. لبنان، دط، 1994، ج: 3، ص: 157.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، 2003، ج: 3، ص: 289.

ويتلاقى سكان المنطقة الغربية (صبرة وتمكسالت، وسيدي مجاهد، والكاف، وبني بوسعيد..) في كل ذلك، باستثناء ما ذكرناه من قلبها ياء، إذ تحافظ الهمزة في قولنا (أنا) على نطقها في مختلف مناطق الولاية.

10/نطق الهاء:

لم يطرأ على هذا الصّوت في النّطق العامي لمنطقة الغزوات تغيير كبير عدا حذف الهاء في بعض الكلمات الشّائعة الاستعمال، نحو قولهم في الفاكهة: فاكية، وفي: من هنا: منّا؛ فحذف الهاء استلزم التقاء صوتين مثلين، هما النّون الأولى في "منْ"، والنون الثّانية في نا، وهذا بدوره استلزم ادغام وفناء النون السّاكنة في المتحركة فاستحالت إلى منّا.

أيضا نلاحظ إبدال الهاء صوت مدّ في مثل قولهم: صاريج وهم يريدون صهريج، كما تُحذف في بعض المواضع، نحو قولهم رِيتم وهم يريدون: رأيتُهُم، وطْرْبْتُ في ضربته؛ ففي هذه الحالة أُخفيت الهاء أو حذفت عندما وقعت ضميرا للمفعول به الغائب.

أما من حيث التّرقيق والتّفخيم؛ فإن الهاء في هذا تابعة لما يجاورها من أصوات، فإن جاورت صوتا مرقّقا فإنها ترقق أيضا؛ وتفخم إذا جاورت صوتا مفخّما فهي من هذه النّاحية تشبه الصوائت فإنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل هي بحسب ما يجاورها.

11/ الذّال الدّالية:

ومن الشّائع في منطوق المنطقة السّاحلية بواجهتيها الشّرقية والغربية اختفاء الذال من كلامهم؛ بحيث أصبحت دالا خالصة في مثل قولهم: (ديب ودْبيحة) في ذئب وذْبيحة، وأيضا قولهم: دابْ في ذابَ، وفْخَدْ بدلا من فخذٍ، والحاصل في منطوق هؤلاء تخلّيهم عن رخاوة الذال لصالح شدة الدال، وذلك طلبا للخفة والسهولة في النطق؛ لأن الصّوت الشّديدة أقصر زمنا وأقلّ كلفة على اللّسان[1].

1- ينظر:ظواهر التّشكيل الصّوتي عند النحاة واللّغويين العرب، ص: 112.

أما في المناطق الغربية (صبرة وتمكسالت، وسيدي مجاهد، والكاف، وبني بوسعيد)، فيحافظ سكانها على كل خصائص الذّال النّطقية، وذلك بإخراج اللّسان عند إصدار هذا الصّوت– ولا سيما عند قبائل صبرة– فهم يقولون (ذيب) و(ذبان)، ولا شك أن البيئة الجبلية القاسية لها تأثير قوي على إخراج هذا الصّوت من مخرجه الأصيل دون قلب أو تغيير.

12/ الكاف الشّينية أو التشينية:

ومن الأصوات اللّهجية البارزة في نطق المنطقة السّاحلية، وهو إخراجهم للكاف شينا أو صوتا مركبا (تش)، ويتجلى هذا النّطق بخاصة في الجهات الّتي تلفظ القاف كافا، كأهل الغزوات، ودار يغمراسن، وتيانت، وتونان، ومسيردة النْحاتة، والسّواحلية، وبعض قرى مرسى بن مهيدي، يبدو هذا في قولهم: (كتلشْ، وفي في مثل قولهم: عْليشْ في عليك، وشَبْش في الشّبكة، وأيضا مَالَشْ في مالك (استفسار عن الحال).

كذلك أُبدلت الكافا بصوت تْشْ، في مثل قولهم: تْشفي[1]. وما لاحظناه ونحن نجمع المادة أن هذا الصّوت، أعني تش يبدل من الكاف إذا وقعت الكاف في بداية مقطع أو إذا توسّطت الكلام، نحو قولهم: تْشَرتشار في كركار، وأيضا يتشمّش في ينكمش، ولْتْشرسي إذا أرادوا الكرسي.

وهذه الإبدالات الحاصلة في صوت الكاف حدثت نتيجة تقدم مخرج الصّوت ناحية وسط الحنك مع بعض الاحتكاك المصاحب للصّوت أثناء النّطق.

ولهذا الإبدال أيضا وجود في النّطق العربي القديم، وهو ما أقرّته الآثار اللغوية القديمة، فقد تحدث ابن جني عن الإبدال الواقع بين هذين الصّوتين، وهو يسمى: الكشكشة[2]، ونسبها إلى ربيعة، يقول: «وأما كشكشة ربيعة، فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: إنكش، ورأيتكش، وأعطيتكش، تفعل هذا في الوقف؛ فإذا وصلت أسقطت الشّين»[3].

1– مجلة المعرفة العدد: 574، السنة: 50 عام جويلية 2011 من مقال: التبدل الصوتي في لهجة توانت القديمة، ص:129

2– في هذه اللّفظة إشارة إلى أن أصل الظّاهرة هو: إلحاق الشّين بالكاف، ينظر: أمينة طيبي، المصطلح اللّهجي الأصيل في التراث اللغوي، مجلة المصطلح، تلمسان، 2005، عدد: 3، ص: 153.

3–ابن جني، الخصائص، ص: 315، وينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 242.

كما يمكن تفسير هذه الظّاهرة وفقا لقانون الأصوات الحنكية[1]؛ الّذي يتمثل في نقل مخرج الصّوت إلى منطقة الحنك الصّلب أو الغار؛ وهذا إذا وليه في النّطق حركة أمامية نحو: الكسرة، فتنقلب هذه الأصوات في الغالب إلى أصوات من النوع المزدوج؛ أي الّذي يجمع بين الشّدة والرّخاوة[2]. هذا يعني أن الكاف المحركة بالكسر تتحول في بعض اللّهجات إلى صوت مزدوج هو: تش؛ لذلك فإن إبدال الكاف شينا ليس إلا تطورا للصّوت المزدوج تش، ويشبه هذا التّطور ما في بعض اللّهجات الآرامية، مثل قولهم: تشافر بدلا من كافر[3].

وقد وجدنا أن هذه الكشكشة في منطقة السّواحلية لصيقة بها وحدها دون سائر مناطق تلمسان، والطّريف في الأمر أن سكان المنطقة السّواحلية يحاولون تفادي النّطق بالكاف شينا في حال انتقالهم للتّجارة أو الدّراسة في تلمسان أو مغنية خشية الإحراج أو الممازحة، ولاسيما الشّباب منهم، أما الشّيوخ منهم، نساء ورجالا، فلا يتحرجون في المحافظة على عاداتهم الكلامية أنى حلوا وارتحلوا، وقد شاهدنا ورأينا ذلك في كثير من المواقف الّتي كان أبطالها من هذه المناطق.

وقد بالغ بعض النّاطقين فأبدلوا الكاف تاء في نحو قولهم: (تلشي) في كلشي.

13/الشّين الصّادية:

يُخرج بعض أهالي الجهة السّاحلية الغربية الشّين صادا في كلمات بعينها، نحو: (صجرة وصجور) في شجرة شجور، في حين حافظ أبناء الجهة الشّرقية من السّاحل على النطق الفصيح للشّين.

14/الشّين السّينية:

1- يسمّيه ماريو باي: التغوير palatalization. أسس علم اللغة، ص: 144.

2- ينظر، رمضان عبد التواب، التّطور اللُّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 92-93.

3- ينظر: صلاح الدين حسن، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي، 1981، ص: 138.

احتفظ صوت الشّين بخصائصه الصّوتية عدا مواضع وكلمات قليلة جدا أبدل فيها بصوت السّين، وذلك في مثل قولهم: سَجْرة في شجرة، وسَجْعان في شُجعان، وطبعا مثل هذا الإبدال له ما يسوغه من النّاحية الصّوتية؛ فهما صوتان متجانسان، يتفقان في المخرج والصّفة.

ومثل هذا الإبدال وإن كان محصورا في ألفاظ قليلة إلا أنه امتداد أيضا للهجات القديمة، فقد ذكر ابن جني أن الشّين والسّين تُبدلان من بعضهما بعض، نحو: جعشوش وجعسوس[1]. وذلك لسعة السّين وضيق الشّين[2]. أما فيما يخصّ العلاقة الصّوتية الّتي تربط الشين بالسين، فإنهما كما قال سيبويه: صوتان يشتركان في الهمس والانسلال من بين الثنايا[3]. ومنها قول الشّاعر[4]:

يَا رُبَّ قَوْمٍ سَدِسٍ عَنْطَطِ لَيْسَ بِجُعْشُوشٍ وَلاَ بِأَذْوَطِ

كل ذلك يقال بالشّين وبالسّين.

فجعسوس بالسين وبالشين لهجتان مع أنه لم ترد نسبة أيّ منهما إلى قبيلة معينة، ومن الدّارسين من ربط هذا الإبدال بين الشّين والسّين إلى العلاقة الّتي تربط العربية بأخواتها من اللّغات السّامية؛ حيث تحوّلت الشّين إلى سين في العربية الفصحى، مثال ذلك: شمش في السّامية القديمة؛ الّتي آلت في الفصحى إلى سين؛ وأصبحت تنطق: شمس[5]، وقد ألف الفيروزآبادي كتابا في الفرق بين السّين والشّين سماه (تحبير المشين في الفرق بين السّين والشّين).

وسجلنا إبدال الشّين تاء في نحو قولهم: أتايْ في الشّايْ، ولم نسمع إبدالا بين هذين الصّوتين في مواضع وكلمات أخرى.

1- اللئيم الخلقة والخلق، ابن منظور، اللسان، مادة (جعس)، ج: 6، ص: 39.

2- ابن جني، الخصائص، ص: 363.

3- سيبويه، الكتاب، 4/ 450.

4- نفسه، 6/ 39.

5- حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة، بيروت، دط، دت، ص:161.

15/الصّاد الزّائية:

تبدل الصّاد زايا في مثل قولهم: قزْدير في قصدير وزْدَم في صدم، وبْزَق في بصَقَ.

من هذه الأمثلة نلاحظ أنّ إبدال صوت من صوت يخضع لقوانين التّجاور والقرابة المخرجية، بحيث أن الصّاد أُبدلت زايا عندما جاورت صوتا من أصوات الاستعلاء؛ وهو القاف. وأيضا لتأثره بصوت الدّال المجهور في نحو قولهم: يزْدر في ينام.

ومثل هذا الإبدال أقرته الدّراسات اللّهجية القديمة؛ وهذا يثبت أن النّطق الحالي لصوت الصّاد هو امتداد للّهجات القديمة؛ حيث كانت تُبدل فيها الزّاي من الصّاد؛ إذا كان بعدها: قاف أو دال، مثال ذلك ما رواه ابن جنّي عن الأصمعي (ت216هـ) في قوله: «اختلف رجلان في الصّقر [ص]، وقال الأخر: السّقر [س]، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما؛ إنما هو الزّقر. أفلا ترى إلى كل واحد من الثّلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها»[1].

نفهم من هذا الكلام أنّ الإِختلاف في نطق لفظة "الصقر" مردّه إلى اِختلاف اللّهجات، والصّاد والزّاي والسّين من مخرج واحد؛ كما أنها تشترك في الصّفير وفي الهمس عدا الزّاي؛ فالّذي جهر الصّاد وجعلها زايا، اهتزاز الوترين الصّوتيين، وهذا الاهتزاز في حقيقته ليس إلا استمرارا للاهتزاز عند النّطق بصوت القاف.

16/الثّاء التّائية:

الملاحظ في منطوق الشّريط السّاحلي بقسميه إبدالهم الثاء تاء على نحو صنيعهم في نطق الذّال دالا إيثارا للشّديد على الرّخو لخفته، وذلك في مثل قولهم: (التّورة، والتور، وتلاتة) في الثّورة والثّور وثلاثة، وأيضا في قولهم: توم بدل ثوم، وتْريا في ثُريا. ولعل نقص شدة هذا الصّوت جعله يفنى ويتلاشى ويستحيل تاء في معظم حالاته النّطقية، فالثّاء والتّاء صوتان متقاربان في المخرج،

1- ابن جني، الخصائص ، ص: 394 .

فالتّاء صوت أسناني لثوي، شديد، مهموس؛ يحدث بالتقاء طرف اللّسان بأصول الثّنايا العليا ومقدمة اللّثة، ويضغط الهواء مدّة من الزّمن ثم ينفصل اللّسان فجأة فيحدث صوت انفجاري[1].

في هذه الحالة انتقل مخرج التّاء إلى الدّاخل غير أنها أصبحت شديدة، ويفسّر هذا الإبدال بقرب المخرج وبالجهد العضلي الّذي يصاحب نطق صوت التّاء؛ حيث يتطلب إخراج طرف اللّسان ووضعه بين الأسنان، كما أن الرّخو يتطلّب نفسا أطول وهذا يكلف جهدا عضليا مضنيا. وهذا الإبدال نلحظه بكثرة في النّطق العامي.

في حين أن هذه التّاء تحافظ على خصائصها النّطقية في المناطق الغربية (صبرة، وتمكسالت، وسيدي مجاهد، والكاف، وبني بوسعيد)، فهم يقولون (ثورة) و(ثعبان)، بيد أنهم في كلمة مثل (ثلاثة) ينطقون التّاء الأولى تاء تفاديا لتواجد ثاءين في كلمة واحدة، فيقولون (تلاثة).

17/التّاء الطّائية:

الثّابت في نطق أهل السّاحل اختلافهم في لفظ التاء بين التّرقيق والتّفخيم، فقد تحولت التّاء إلى نظيرها المفخم عند من أخرج القاف كافا، كالغزوات وتيانت ومسيردة التّحاتة ودار يغمراسن وجبالة والسّواني وباب العسة[2]، ومن أمثلة هذا قولهم: (الطّراب والطمر). وعْطَر في عثَر فيفخمون التّاء لتصبح طاء.

18/الطّاء التّائية:

تتنازل الطّاء عن تفخيمها لصالح نظيرها المرقق وهو التّاء، وذلك في بعض الجهات من مسيردة التّحاتة وجبالة وبوطراق، فهم يقولون: (التْريق والتْبسي) في الطّريق والطّبسي، ولكن هذا الأمر لا يطرد في كل طاء.

1- ينظر: كمال محمد بشر، علم اللُّغة العام: الأصوات، دار المعارف، 1980، ص: 118.119.

2-أحمد قريش، لهجة تيانت، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الدكتوراة في اللغة، جامعة تلمسان، الجزائر2010، ص: 150.

وهو الملاحظ أيضا في منطقة بني سنوس، فهم يقولون أيضا (التريق) في (الطريق)، و(التبق) في (الِطِبق)، غير أنهم يحافظون على الطاء في مواطن أخرى، كما في (الطاولة) و(الطين).

19/القاف الگافية (الصّوت السّامي):

وسمعت القاف گِيما على لسان بعض النّاطقين من بلدية مرست بن مهيدي، ولعلّ هذا النطق وافد على الجهة من النازحين إليها من المناطق الأخرى، وسمع هذا الصّوت أيضا على لسان أهالي قريتي الكرايمة والنجاجرة بدائرة بني خلاد، ومن الثّابت أن المناطق الواقعة على الحدود المغربية تأثرت بنطق المغاربة، ومن ألمع مظاهر هذا التّأثر يتمثل في صوت لهجي هو:

20/الجيم الكَافية GA:

والظّاهر أن هذا الصّوت مرهون بسياق صوتي معين وهو وجود السّين أو الزّاي إلى جانب الجيم، وذلك في نحو قولهم: (كَلس) في اجلسْ.

21/الجيم الدّالية:

أيضا فإن الجيم تبدل دالا في ألفاظ قليلة نحو قولهم دْزاير إذا أرادوا الجزائر، وفي هذه الحالة انتقل المخرج من وسط اللّسان إلى طرفه، والجيم والذّال صوتان متقاربان في الصّفات، فهما يشتركان في الجهر والتّرقيق والانفتاح.

22/ الزّاي الجيمية:

ومن صور تأثير اللهجة المغربية في القرى الحدودية نطق الزاي جيما في مثل قولهم: (جوج ومْجوج) في زوج ومْزوج. وقد سمع هذا الصّوت في قرى: الرّافيل والعابد وربان وعصفور والزّوية.

ولقد سمعت من إحدى العجائز في منطقة الكاف بسيدي يحي تنصح قريبة لها بخصوص ابنها، فتقول لها: جَوْجيه إذا أردت أن تستريحي، أي زوجيه.

23/نطق الجِيم: دج DJ:

تنفرد منطقة سواحلية بمختلف قراها: تونان، ومزّورو، وسيدي إبراهيم، وزاوية الميرا، وبغاون، وبوخنايس، بنطق الجِيم (دج)، وذلك في كلمات معينة، نحو: (نْدجيل ونْدجيل وولدْجارّ وودْجاطو) في نْكَيل ونْكَيل وولْكَار وولْكَاطو. وفي مثل قولهم: لَدْجْمل في الجمل ولْدْجامع في الجامع، ولْدْجلابة في الجلابة، وفي غيرها من الكلمات الّتي تبدأ بلام التّعريف أو في الألفاظ الّتي لا تكون فيها الجيم في أول الكلمة؛ لأنها متى استهلت النطق فإنها تحقّق.

24/الدّال الطّائية:

يتفق النّاطقون في الغزوات وسواحلية في نطق الدّال طاء في قولهم: (عَطْس) في عَدْس.

25/القاف الكافية والقاف الگافية:

تنفرد منطقة مسيردة لفاقة في قرى مرست بن مهيدي وبني منقوش بنطقين للقاف، فهناك من يخرجها كافا مهموسة شديدة منفتحة مستفلة مرققة من أقصى اللّسان وما يقابله من أقصى الحنك، نحو قولهم: (كَلب) في قلب، في حين استساغ آخرون في المنطقة نفسها إخراجها گافا سامية كقولهم: (كَال) في قال.

وإذا اتجهنا صوب القرى المجاورة لمرسى بن مهيدي، نحو: (العنابرة، وسرمرام، وشايب راسو) وقفنا على تنوع صوتي قد يختلف عن المسموع في مرسى بن مهيدي، فالقاف في هذه القرى تلفظ كافا، في حين تسمع في قرى مجاورة للحدود المغربية، نحو (بوكانون، وجامع الوسطى، وحد الصبابنة) گافا سامية.

ويقترب أهالي مسيردة التّحاتة في نطقهم من نطق أهل الغزوات وسواحلية فالقاف تلفظ كافا والكاف تنطق شينا أو تْش.

وإذا انتقلنا إلى باب العسة وما جاورها سمعنا صوت القاف يلفظ بين القاف والكاف في حين حافظ أهل جبالة على النطق الفصيح للقاف، وهم يتفقون ههنا وأهل ندرومة وهنين في هذا الاستعمال.

26/ الضّاد الطّائية:

يلفظ أهل مسيردة الضّاد طاء، فقد سمع عنهم قولهم: (طْحك وطْرب) في ضحك وضرب.

وفيما يلي سنحاول دراسة تتبع التّغيرات الصّوتية للمصوتات في منطوق المناطق السّواحلية.

27/التّناوب بين المصوتات:

تباينت اللّهجات العربية القديمة في نطق كثير من الألفاظ، وذلك إمّا لتغيير في بعض أصواتها للقرابة المخرجية كما مر معنا في موضع سابق، وإما لتغيير في مصوتاتها، فبعض منها مال إلى الفتح، وبعض أخر مال إلى الكسر أو الضم، ذلك أن المصوتات تباينت في الخفة والثّقل بحسب تباين مخارجها؛ وهذا دفع بعض النّاطقين غلى تغيير مصوتات بعض الصّيغ طلبا للخفة وبما يتناسب وطبيعتها الجغرافية، وهذه التّبدّلات عادات صوتية توارثها الخلف عن السّلف؛ لأننا نلحظ لها وجودا في النّطق القديم؛ حيث عنى القدامى بذكرها ونسبتها إلى قبائلها الّتي عرفت بها؛ لذلك سنحاول أن ندرس التّناوب بين المصوتات وبين المصوتات والسّكون في منطوق الغزوات.

أ . **بين الفتح والكسر**: من أمثلة ذلك قولهم في البَيْض: (البِيط)، والمائدة: (الميدة)، وفي السَيف:(السِيف)، طبشور:(طَباشير)، وفي لَيل:(لِيل).

وفي ألفاظ أخرى حلت الفتحة محل الكسرة، وذلك في نحو قولهم:(المِفتاح) في المِفتاح، و(المِسمار) في المِسمار، و(سَلْك) في سِلك، و(البَرميل) في البِرميل، وأيضا قولهم: البارَح في البارحة.

وقد عني اللّغويون القدامى بنسبة هذه التّبدّلات الصّوتية إلى قبائلها، فنجد سيبويه ينسب الكسر إلى تميم والفتح إلى أهل الحجاز[1]، وكذلك فعل ابن جني: «وقولهم كَلمة وهي حجازية، وكِلمة وهي تميمية»[2]، أمّا المبرد، فنسب الفتح إلى الحجاز والكسر إلى قيس[3].

قال السيوطي: «أهل الحجاز: الشَفْعُ وَالوَتْرُ بِفَتْحِ الوَاو، وتميم الوِتْرُ بكسرها»[4]، إلا أنّه ذكر في حديثه عن الإِختلاف في عَرَض وعرِض، أنّ الكسر لهجة أهل الحجاز، والفتح لهجة تميم[5].

لعلّ هذا يعني أن أهل الحجاز كانوا يفتحون في مواضع، ويكسرون في أخرى، أو ربما أخذوا الكسر عن تميم، لقول ابن جني: "إنّ آخذا إلى لغته لغة غيره، قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التي أضافها إلى لغته دون بعض"[6]، فكلام ابن جني يوضح ويحلّ الاضطراب في نسبة هذا التباين اللهجي.

ب. بين الفتح والضم: ومن الألفاظ التي حدثت فيها معاقبة بين مصوّتي: الفتحة والضّمة، قولهم: (دْرُج) في دَرج، و(الصُوم) في الصَوم، وأيضا قولهم في الجُرح: جَرح و(الصْبَع) في الأُصبع، و(كَرسي) بدل كُرسي، و(فَلفَل) فُلفُل.

1- سيبويه، الكتاب، ج:4، ص: 204.

2- ابن جني، الخصائص، ص: 63.

3- ينظر: المبرد أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ج: 1، ص: 106.

4- السّيوطي، جلال الدّين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، 2004، ج: 2، ص: 211 .

5-نفسه، 210/2.

6-ابن جني، الخصائص، ص: 297.

وإذا تتبعنا نسبة هذا النطق في الموروث اللغوي القديم وجدنا الفتح ينسب إلى تميم والضّم إلى قريش، وهكذا نسبها ابن السّكيت بقوله: «وأهل الحجاز يقولون: سُكارى وكسالى وغُيارى، وبنو تميم يفتحون»[1].

ج–بين الضّم والكسر: ومما وقع في هذا الباب، قولهم في شَرِبَ: (شْرُبْ) و في رَغوة: (رُغْوة)، وقديما نسب الأصمعي (ت216هـ) الضّم إلى قيس والكسر إلى الحجاز.[2] ووافقه في هذا العزو السّيوطي، حيث نسب الكسر إلى الحجاز والضّم إلى تميم[3].

ما نخلص إليه هو أن الظّواهر الصّوتية المتعلقة بالمصوتات لم تكن مطّردة؛ لذلك وجدنا أن الناطقين الّذين مالوا إلى الفتح في مواضع آثروا الكسرة في مواضع أخرى، ولعلّ عدم الاطراد هذا قد تنبه عليه ابن جني في فترة متقدمة وعقد له بابا أسماه: «باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا»[4]، و«باب في تركّب اللغات»[5].

ثالثا: الأصوات اللّهجية الجارية على ألسنة أهل المناطق الشّرقية من الولاية

تتربع المنطقة الشّرقية على مجموعة من الدّوائر والبلديات نذكر منها: (الرمشي، وسبع شيوخ، والفحول، وعين يوسف، وابن سكران، وسيد العبدلي، وأولاد ميمون، وعين النحالة، والشّولي وعين تالوت)، إذ يكاد يتفق أهالي الجهات المذكورة في منطوقهم. ومن الأصوات اللّهجية المسموعة على ألسنة هؤلاء نذكر:

1– ينظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد ستار وعبد السّلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: 4، ص: 132.

2– ابن الأنباري أبو بكر، المذكر والمؤنث، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص: 81.

3– السّيوطي، المزهر في علوم اللغة،ج: 2، ص: 210.

4–ابن جني، الخصائص: ص: 191.

5–نفسه، ص: 194.

1/ القاف الگافية:

فهو يسمع على ألسنتهم مجهورا شديدا مخرجه من أقصى اللسان وما يقابله من أقصى الحنك، ومن الأمثلة المسموعة في هذه المناطق، قولهم: (صوگْ وگداش وگْطع وگْريب وبگْرة وگُولورگاد) في سوق وقداش وقطع وقريب وبقرة وقول ورقاد، وقد يُهمس هذا الصّوت في سياق صوتي محدد، وهو أن ترد القاف ساكنة متبوعة بالتاء في نحو قولهم: (كْتْل وكْتيلة) في: قتل وقتيلة.

ونلاحظ ذلك أيضا في المنطقة الغربية (صبرة وتمكسالت، وسيدي مجاهد، والكاف، وبني بوسعيد..)، فالقاف عندهم تنطق كذلك، بيد أنها في بعض الألفاظ تحافظ على فصاحتها، فتنطق قافا، كما في (قهوة) و(قرقرة) أي ضفدعة، و(قَرْعَة) أي زجاجة.

2/الذّال الدّالية والثّاء التّائية:

حافظ هذان الصّوتان على خواصهما الصّوتية المعروفة لهما في الفصيح عند أغلب النّاطقين في المناطق المذكورة، ومن نماذج هذا في كلامهم قولهم: (يذكر ويأذن ولكذب ولعذاب وثلاثة)، غير أن المسموع عند أهل الرّمشي وبن سكران وعين يوسف يؤكد تحوّل هذين الصّوتين إلى (د وت)؛ أي: إلى صوتين شديدين في منطوقهم، من ذلك قولهم: (ديب ولعداب وتلاتة).

3/ التّاء الطّائية:

تُسمع التاء طاء مفخمة في منطوق قريتي سيدي السنوسي وسيد العبدلي، يبدو هذا في مثل قولهم: (حطارم ووكنطور وموطور).

4/ الضّاد الظّائية:

الظّاهر في منطوق أهل الرّمشي وبن سكران وعين يوسف، أنهم يبدلون الضّاد طاء في مثل قولهم: (بعظ ومْرظ ويعرظ).

5/ نطق الجيم:

تُلفظ الجيم في المنطقة الشّرقية قليلة التّعطيش أي قريبة من الجيم الفصيحة كما نسمعها من مجيدي القراءات القرآنية، ومن أمثلة هذا قولهم: (جْبل وجامع ولجماعة وجْنازة وجار).

وهو الأمر نفسه الّذي نسجله في المنطقة الغربية (صبرة وتمكسالت وسيدي مجاهد، والكاف، وبني بوسعيد)، فالجيم في هذه الجهة تقترب من صفاتها في الفصحى.

6/ نطق الجيم گِيما:

وقد تُلفظ الجيم گِيما عند مجاورة الزّاي أو السّين عند بعض النّاطقين من المنطقة المذكورة، وذلك نحو قولهم: (سِگارةو گزار) في سجارة وجزار.

7/ الطّاء التّائية:

حافظ هذا الصّوت على خصائصه الفصيحة في نطق أغلب سكان المناطق الشّرقية باستثناء قلّة قليلة؛ سُمع هذا الصّوت في كلامهم تاء مهموسة مرققة، وذلك في مثل قولهم: (تْريق ويتبخ وتابخ وبتاتا) في طريق ويطبخ وطابخ وبطاطا.

8/ الباء المفخمة:

تفخم الباء في منطوق المناطق الشّرقية في نحو قولهم: (بّا واصحابات ويخبّر)، ومسوّغ هذا تأثير الصّاد والخاء بما فيهما من التّفخيم في الباء.

9/ الدّال التّائية:

وتلفظ الدّال تاء مهموسة في منطوق بعض الجهات من المنطقة الشّرقية، على نحو ما يجري على ألسنة أهل سيد العبدلي، فهم يقولون: (تفشة) في دفشة.

10/ العين الحائية:

المعروف في منطوق (عين فزة وعين تالوت وأولاد ميمون) إخراجهم للعين حاء، في نحو قولهم: (حْشا وحْسل وحْشية) في (عشاء وعسل وعشية).

وهو ما لمسته أيضا في المنطقة الغربية، وبالتّحديد في أولاد حمو وأولاد عدو وبلغافر وتمكسالت، فهم يقولون (حسل) و(حدس) و(حشا) في عسل وعدس وعشاء.

11/ الصّاد السّينية:

يُخرج الناطقون في جهات من المنطقة الشّرقية، نحو (عين تالوت وعين يوسف وأولاد ميمون وبني ورسوس وبرج عريمة) الصّاد سينا في نحو قولهم: (ناقسين وساقرين وسغير وسدقة) في ناقصين وصاقرين وصغير وصدقة.

رابعاً: الأصوات اللّهجية في منطوق المناطق الدّاخلية:

يدخل في نطاق هذا التّقسيم جميع المدن والقرى المحيطة بتلمسان المدينة، ومن جميع الجهات الشّمالية والجنوبية والشّرقية والغربية، نحو مدن وقرى: (سبدو، وتيرني، وعين غرابة، وصبرة، وبوحلو، وأولاد رياح، وزناتة، والحنايا، والشّولي، وبني صميل)، ومن أوضح الأصوات اللّهجية السّائرة على ألسنة أهالي المناطق المذكورة، هو لفظهم للقاف گافا سامية، في نحو قولهم: (يْگصر وويْگابل وگْبيل وصوگْ وطريگْ) في يقصرو ويقابل وقبيل وسوق وطريق.

ولم يبق صوت القاف محافظا على خصائصه الفصيحة سوى في كلمات محدودة، نحو قولهم: (القهوة والقرية والقراية).

1/الضّاد الظّائية:

تُسمع الضّاد ظاء في كلام المناطق المذكورة في مثل قولهم: (نحظر وخظرا وبعظها وتظحكو) في نحضر وخضرا وبعضها وتضحكو.

2/الذّال الظّائية:

يبدو أن بعض أهل هذه المناطق يؤثرون التّفخيم، حيث أخرجوا الذّال ظاء، فقالوا: (نْظوكَ) في نذوق.

3/ الظّاء الضّادية:

إن المسجّل في نطق أهل الحنايا وزناتة إبدالهم الظّاء ضادا في نحو نطقهم: (ضالم وضلام) في ظالم وظلام. وفي الوقت الّذي حافظ أغلب سكان المناطق الدّاخلية على نطق الذّال والثّاء كما هما في الفصيح، فقد تحوّل الصّوتان إلى دال أو تاء في نطق أهل الحنايا وزناتة في قولهم: (تلاتة والتورة والترید وندكر وندبح) في ثلاثة والثّورة والثّريد ونذكر ونذبح.

4/ الثّاء الذّالية:

سُمع هذا الصّوت في منطوق صبرة في نحو قولهم: (ذقيلة) في ثقيلة للمرأة الحامل.

5/ الطّاء التّائية:

يلفظ أهل سبدو وبوحلو الطّاء تاء في نحو قولهم: (تْريق وتْبق) في طْريق وطْبق.

6/ الطّاء الظّائية:

سُجّل هذا النّطق في مدينة صبرة، فقد سُمع قولهم: (نظرب والمقروظ) في نضرب والمقروط.

7/ السّين الصّادية:

يُلاحظ في منطوق بعض الجهات الدّاخلية ميلهم إلى إبدال السّين صادا وبخاصة في قرية أولاد أرياح، فهم يقولون: (عْفص وعرص وراص وصوكَم).

8/ الجيم الگِيمية:

حافظ الناطقون في جل الجهات الدّاخلية على نطق الجيم قريبة من الفصيح في نحو قولهم: (جْبل وجْنان)، غير أنّهم يخرجون الجيم گِيما عند مجاورتها للسّين أو الزّاي في نحو قولهم: (گزار وگاسوس).

9/ الجيم الزّائية:

لاحظنا أن بعض الناطقين، ولاسيما من ذوي الثّقافة المحدودة، يبدلون الجيم زايا، فيقولون مثلا (الززاير) في الجزائر و(الزَزِيرَة) في الجزيرة.

10/ الغين الخائية:

يلاحظ في منطقة صبرة أنهم يبدلون الغين خاء حينما تجاور صوت السّين، فيقولون: (يخسل) و(الخسيل) في يغسل والغسيل. فالسّين صوت صفيري مهموس ينسجم مع صوت الخاء المهموس. فتتحقق الخفة المطلوبة.

11/ الحذف في الأصوات:

هناك ظاهرة تتميز بها قبيلتا أولاد حمّو وأولاد عدّو في منطقة صبرة، وهي أنهم يحذفون الميم الدّالة على الجمع في مثل (عليكم) و(منكم) و(نتاعكم) و(منهم) و(عليهم)K فيقولون (عْلِيكُ) و(مَنْكُ) و(نْتاعْكُ) و(مَنْهُ) و(عْلِيهُ)، والملاحظ أن الضّمة تنوب عن الميم المحذوفة، ومن الأمثلة المشهورة في هذا الشّأن قول الناس، من غير القبيلتين، دلالة على هذه الظّاهرة عند القبيلتين: ياوْ عَنْدْكُ حْمِيرْكُ في زْرَعْكُ.

خامسا: الأصوات اللّهجية الجارية في منطوق المناطق الجنوبية:

الظّاهر من المنطوق المسجل في أغلب المناطق الجنوبية، أنه لا يختلف عن منطوق المناطق الدّاخلية الشّمالية والشّرقية، وكل ما بدا لنا هو ميلهم إلى تفخيم بعض الأصوات المرققة، نحو

قولهم: (ظُرْكْ وياخظْ وظوكَمْ) في دروق وياخذ وذوق، ومن المظاهر اللّهجية الّتي سادت منطوق المناطق الجنوبية:

1/الضّاد الظّائية:

سقط صوت الضاد من كلام أهل الجنوب من الولاية ليُلفظ ظاء، وذلك في قولهم: (نظرب ونظحك ورمظان والظو).

2/ الضّاد الدّالية:

وسُمع في نطق بعض القرى من جنوب الولاية إبدالهم الضاد دالا في نحو قولهم: (نْديّقْ) في نْضيق.

3/ الصّاد السّينية:

حافظ سكان جنوب الولاية على النّطق الفصيح للصّاد إلا أن بعضهم أخرجها سينا في مثل قولهم: (سغير وسبته وسْداقي) في صغير وصبته وصْداقي.

4/ القاف الگافية:

إن الغالب في نطق سكان جنوب الولاية إخراجهم القاف گافا سامية، وذلك في مثل قولهم: (گالْ ويگْدر والعگْرب گْبيل ويگسمو)، ولا تسمع القاف الفصيحة في نطقهم إلا في كلمات محدودة، نحو: (قهوة وقْمجة وقرية)، وقد تتحول على ألسنة بعضهم إلى كاف خالصة في مثل قولهم:(كْتل وكْتيلة).

5/ الجيم في نطق جنوب الولاية:

إن المسموع في منطوق هذه المنطقة مبالغتهم في تعطيش الجيم، إذ تتحول في نطقهم إلى شين مجهورة، وذلك في مثل قولهم: (الجْبلْ والجْمل والجْيران والجْاه والجْامع)، فهذا النّطق يشبه إلى حدّ ما ما يسمع في بعض حواضر الشام كبيروت وحلب[1].

6/ الهمزة العينية:

والملاحظ أيضا في نطق أهل جنوب الولاية إخراجهم الهمزة عينا في نحو قولهم: (حدلعانولْعاثار) في لحد الآن والآثار.

سادسا: الأصوات اللّهجية الجارية على ألسنة الناطقين في المناطق الغربية من الولاية

يتناول هذا الجزء من الدّراسة الأصوات الدّائرة على ألسنة المدن والقرى الآتية:

(مغنية، وحمام بوغرارة، وسيدي مجاهد، وقبائل بني سنوس، وبني بحدل، والعزايل)، ومن الأصوات اللّهجية البارزة في كلام هذه المناطق، نذكر:

1/ القاف الگافية:

يُسمع هذا الصوت في مدن وقرى (مغنية، وحمام بوغرارة، وسيدي مجاهد) بالإضافة إلى (أولاد قدور، والبطيم، وتربان، والمصامدة)، كما جرى هذا على ألسنة قرى (زهرة، وبني عشير، وأولاد موسى)، فقد اعتادوا نطقه مجهورا شديدا كالگاف السّامية، في حين تلفظ القاف قريبة من النّطق الفصيح في منطقة بني بوسعيد، مثل قريتي: سيدي مبارك والزوية.

2/ الضّاد الطّائية:

يشيع هذا الصّوت في منطوق جلّ مدن وقرى المنطقة الغربية، فهم يقولون: (طحكْ وطربْ وعطم) في ضْحك وضْرب وعضم.

1- المهدي بوروبة، ظواهر التشكيل الصّوتي عند النّحاة واللّغويين العرب، ص:107

3/ الضّاد الدّالية:

الظّاهر من منطوق المناطق الغربية أنّ بعض النّاطقين فيها كأهالي تافسرة وبني حمو وجزءا من سكان مغنية يلفظون الضّاد دالا في مثل قولهم:(مْدغ) في مْضغ.

4/ التّاء الطّائية:

تُنطق التّاء طاء مفخمة في جهات من المنطقة الغربية، نحو قرى (الفحص، وزهرة، والخميس، وبني عشير، والعزايل، وبني حمو)، فهم يقولون: (الطمر ونحطارمو والطراب) في التمر ونحترمو والتراب، أما باقي المناطق فتخرج التاء كما هي معروفة في الفصيح.

5/ التّاء السّينية:

سُمع هذا الصّوت في تكلّمات قرى (العزايل وتافسرة والثلاثا وبني بحدل)، فهم يُشربون التّاء قليلا من صوت السّين على نحو ما يسمع في كلام أهالي تلمسان وندرومة، فهم يقولون: (قوتسلك).

6/الثّاء التّائية:

لم يحافظ صوت الثّاء على خصائصه الفصيحة إلا في مناطق محدودة، نحو قرية (زهرة)، فهم يقولون:(ثْمنية وثْريد)، في حين تحوّل التّاء إلى نظيره الشّديد عند أغلب سكان المناطق الغربية، في مثل قولهم: (نحرت ووتيقة والورت) في نحرثو وثيقة والورث.

7/ القاف الخائية:

يلاحظ في نطق أهل تافسرة إخراجهم القاف خاء، إذا كانت ساكنة نهائية، نحو قولهم: (دروخْ ودوخْ) في دروق ودَوْقْ.

8/ الصّاد السّينية:

سُمع هذا الصّوت في مدينة مغنية، في نحو قولهم: (سغير والسّخّارة والسدقة) في صغير الصخارة والصدقة.

9/ الجيم الگافية:

يسود هذا الصوت في نطق معظم مناطق الجهات الغربية، غير أنه مشروط بسياق صوتي معين وهو مجيء الجيم مجاورة للزاي أو السين في مثل قولهم: (عْگزت وگزار وگلَس) بدل: عجزت وجزار وجْلس.

10/ القاف الّتي بين القاف والكاف:

يبدو هذا الصّوت في مسموع منطقة بني سنوس بقراها (العزايل، وتافسرة، والثلاثا بما فيها الجعانين والمغانين) ينضاف إليها قرى (الخميس، وبني حمو، وبني بحدل)، فهم يخرجون القاف بينها وبين الكاف، وهو نطق يشبه إلى حد ما نطق الفلسطنيين لصوت القاف[1].

هذه مجمل الأصوات اللّهجية الّتي تمّ رصدها في منطوق عاميات ولاية تلمسان. وهي ليست فروقات ولا تباينات عشوائية أو وليدة العصر الحديث، وإنما هي تباينات لهجيّة تحكمها مسوغات صوتية غايتها تعميم الانسجام الصّوتي وتحقيق الحد الأدنى من الجهد المبذول، وهي في معظمها امتداد للهجات سادت في القديم في بيئات جغرافية معينة.

وكان منهجنا في هذه الدّراسة يستند إلى المشافهة المباشرة لأفراد من الفئات البشرية المؤلفة لسكان الولاية، وقد أفضى بنا هذا العمل الميداني إلى تقسيم الولاية إلى بيئات جغرافية محددة انطلاقا من المميزات النّطقية الخاصة بكل منطقة.

وقد استفرغ الفريق الباحث وسعه في مشافهة الفئات الممثِّلة للمنطوق حسب الجهات، وذلك بالاستماع لكبار السن من الذّكور والإناث وكذا صغار السّن وكثيرًا ما كانت المناسبات (الولائم من أعراس وغيرها) فضاء للمشافهة، وإن كان التّركيز منصبا على المسنين وبخاصة النساء بدعوى أن هؤلاء قلّ خروجهن من مناطقهن، فهن أحسن من يمثلن النّطق أصدق تمثيل، ولم

1- ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ص: 49.

يكتف الفريق الباحث بهذا بل لجأ إلى اعتماد ما يعرف في البحوث اللّهجية بمساعد البحث، وهم أفراد يعود إليهم الباحث عند الضّرورة لاختبار نطق أو التّأكد منه.

وقد توّج هذا العمل برسم مخطط تتوزع عليه الأصوات اللّهجية الجارية على ألسنة الناطقين عبر عاميات ولاية تلمسان؛ وذلك قصد الوقوف على الحدود الجغرافية الّتي يشغلها كل صوت لهجي.

توزيع الأصوات اللّهجية على الجدول

الصّوت	المنطقة الّتي ساد فيها
القاف الهمزية	مدينة تلمسان
التّاء السّينية	حضر تلمسان، العزايل، تافسرة، بني بحدل.
التّاء الكافية	حضر تلمسان
الجيم DJ المركبة	حضر تلمسان ـ الغزوات، تونان، مزاورو، سيدي ابراهيم، زاوية الميرا، بغاون، بوخنايس.
الدّال التّائية	حضر تلمسان، سيد العبدلي.
الدّال الطّائية	حضر تلمسان، الغزوات، السّواحلية.
التّاء الطّائية	حضر تلمسان، الغزوات، تيانت، مسيردة التّحاتة، دار يغمراسن، جبالة، السّواني، باب العسة، سيدي السّنوسي، سيد العبدلي، الفحص، زهرة، بني عشير، العزايل، بني حمو.
V	حضر وحوز تلمسان
السّين الشّينية	حضر وحوز تلمسان
الشّين الصّادية	حضر وحوز تلمسان
اللام النونية	حضر وحوز تلمسان
الغين الخائية	حضر تلمسان، سيدي بومدين، أغادير، بروانة، سيدي الحلوي، سيدي سعيد، سيدي لحسن، إمامة.
القاف الگافية	أحواز تلمسان، الخميس، بني بحدل، بني عشير، تافسرة، زهرة، الفحص. مرست ين مهيدي، الكرايمة، النجاجرة، بني خلاد، مسيردة الفاقة، بني منقوش، بوكانون، جامع الوسطى، حد الصّبابنة، الرّمشي، سبع شيوخ،

	الفحول، عين تالوت، ابن سكران، سيد العبدلي، أولاد الميمون، عين النحالة، عين يوسف، سبدو، تيرني، عين غرابة، صبرة، بوحلو، أولاد رياح، زناتة، الحنايا، الشولي، بني صميل، المناطق الجنوبية، مغنية، حمام بوغرارة، سيدي مجاهد، أولاد قدور، البطيم، أولاد موسى، المصامدة.
الجيم الدّالية	حضر وحوز تلمسان، الغزوات.
القاف الكافية	الغزوات، دار يغمراسن، السّواحلية، تيانت، تونان، مسيردة التّحاتة، مرست بن مهيدي، العنابرة، سرمرام، شايب راسو.
الضّاد الطّائية	الشّريط السّاحلي، مسيردة، المناطق الغربية من الولاية.
الجيم الشّينية	الشّريط السّاحلي، المناطق الجنوبية.
الجيم الگافية	المنطقة السّاحلية، المناطق الحدودية مع المغرب، المنطقة الشرقية، المناطق الداخلية، المناطق الغربية.
الصّاد السّينية	المنطقة السّاحلية، عين تالوت، عين يوسف، أولاد ميمون، بني وارسوس، برج عريمة، المناطق الجنوبية، المناطق الغربية.
السّين الصّادية	المنطفقة السّاحلية، أولاد رياح.
القاف الخائية	المنطقة السّاحلية
إبدال الهمزة هاء أو واوا أو ياء	الشريط السّاحلي
حذف الهاء	الغزوات
الذّال الدّالية	المنطقة السّاحلية
الكاف الشّينية أو التّشينية	المنطقة السّاحلية

الشّين السّينية	مدينة تلمسان، الغزوات.
الصّاد الزّائية	الغزوات
الثّاء التّائية	الشّريط السّاحلي، الرّمشي، بن سكران، عين يوسف، المناطق الغربية.
الطّاء التّائية	مسيردة التّحاتة، جبالة، بوطراق، بني سنوس، بوحلو.
الزّاي الجيمية	عين تالوت، الرّفايل، العابد، ربان، عصفور، الزّوية.
الذّال الدّالية	الرّمشي، بن سكران، عين يوسف.
الضّاد الظّائية	الرّمشي، ابن سكران، عين يوسف، سبدو، تيرني، عين غرابة، صبرة، بوحلو، أولاد رياح، زناتة، الحنايا، الشّولي، بني صميل، المناطق الجنوبية.
الباء المفخمة	المنطقة الشرقية.
العين الحائية	عين فزة، عين تالوت، أولاد ميمون، صبرة.
الذّال الظّائية	سبدو، تيرني، عين غرابة، صبرة، بوحلو، أولاد رياح، زناتة، الحنايا، الشّولي، بني صميل، المناطق الجنوبية.
الظّاء الضّادية	الحنايا، زناتة.
الطّاء الظّائية	صبرة.
الجيم الزّائية	المناطق الداخلية.
حذف الميم الدّالة على الجمع	أولاد حمو، أولاد عدّو.
الضّاد الدّالية	المناطق الجنوبية، تافسرة، بني حمو، معنية.
الهمزة العينية	المناطق الجنوبية.

القاف الّتي بين القاف والكاف	بني سنوس، العزايل، تافسرة، الجعانين، المغانين، الثلاثا.

خريطة تمثل التنوعات النطقية للأصوات الحنجرية والحلقية

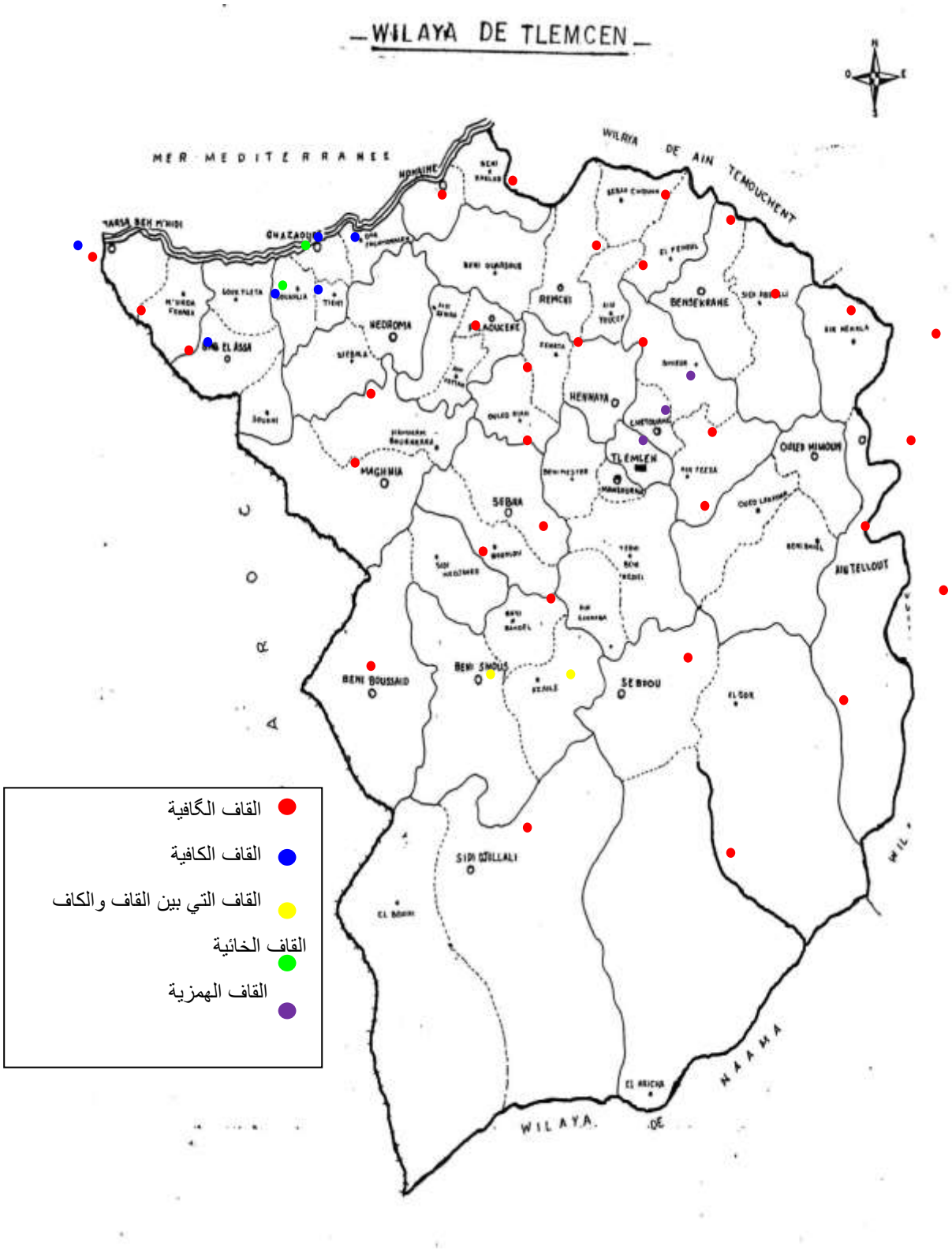

خريطة تمثل التنوعات النطقية لصوت القاف

خريطة تمثل التنوعات النطقية للأصوات الطبقية والغارية

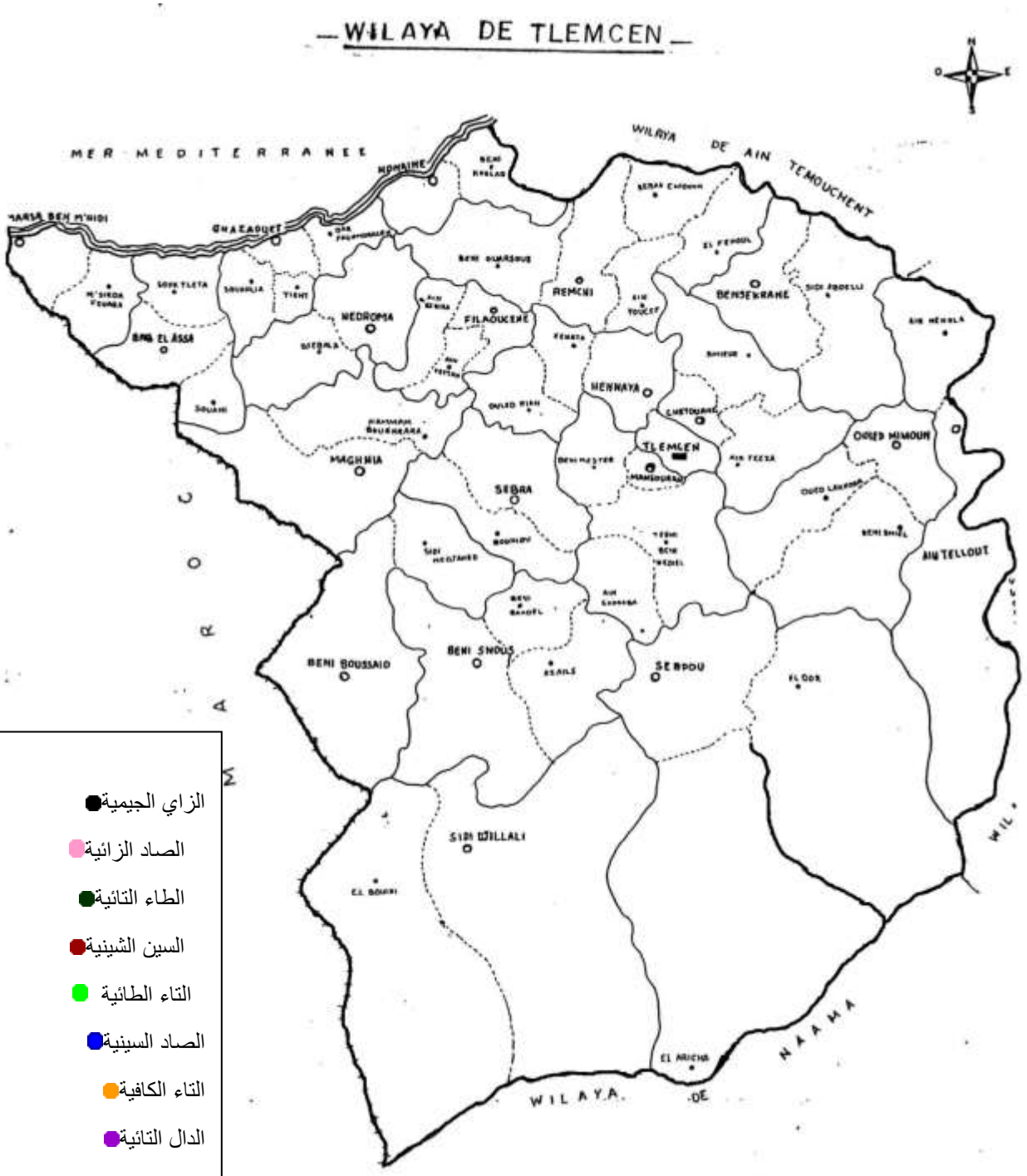

- الزاي الجيمية
- الصاد الزائية
- الطاء التائية
- السين الشينية
- التاء الطائية
- الصاد السينية
- التاء الكافية
- الدال التائية
- الدال الطائية
- السين الصادية
- الضاد الظائية
- الطاء الظائية
- الضاد الدالية

خريطة تمثل التّنوعات النّطقية للأصوات الأسنانية اللّثوية

سابعا: العادات الكلامية في منطوق عاميات ولاية تلمسان

بعدما تمّ حصر الأصوات اللّهجية الجارية في منطوق عاميات ولاية تلمسان ثم إنزالها على خريطة الولاية حسب مواقعها الّتي سمعت فيها، رأى فريق البحث إلحاق هذا العمل بدراسة تتبع العادات الكلامية ذات الطّابع الصّوتي.

والظّاهر من المنطوق المسجَّل أن من العادات الكلامية ما مسّ الصّوائت كالميل إلى تنميطها، أي جعلها على نمط واحد، أو الزّيادة في طولها على الطّول الطّبيعي، أواختلاسها، أي الانتقاص من زمنها أو حذفها. ومن هذه العادات ما كان مجاله الأصوات الصّامتة وما أصابها على ألسنة النّاطقين من إبدال أو حذف أو إضافة أو إلحاق.

وضالة النّاطقين من هذا الاستخدام السّهولة والتيسير، ومحاولة الاقتصار على أقل جهد ممكن أثناء عملية التّواصل.

ومن العادات الكلامية الّتي شاعت في منطوق التلمسانيين وانمازوا بها عن غيرهم نذكر:

1– تنميط المصوتات وتوحيدها:

عرف منطوق تلمسان المدينة بحضره وأحوازه هذه الظّاهرة؛ أي الميل إلى المماثلة بين المصوتات القصيرة في نحو قولهم: (كِرِكْ) في (كِراكْ) وقولهم: (رِيها وريِهْ) في (راها وراه)، في حين تنطق عند غيرهم منسكان الولاية، (كِراكْ وراها وراه).

إن الحاصل في نطق حضر تلمسان وأحوازها إيثارهم لصائت الكسر على الفتح لما كانا من المصوتات الأمامية، وكان مخرجاهما متقاربين في مقدمة اللّسان وما يسامتها من مقدمة الحنك، وبذلك يعمل اللّسان من موقع واحد وفي اتجاه واحد، وفي هذا راحة لجهاز النّطق واختزال في الجهد المبذول؛ إذ أثرت كسرة الكاف في (كِراك) في فتحة الراء من باب المماثلة التقدمية مع انفصال، فأبدلت الفتحة كسرة تخفيفا للنّطق وتسهيلا له .

وإذا كان حضر تلمسان وأحوازهم قد فضّلوا الكسر على الفتح فجعلوا الثّاني تابعا للأول في الأمثلة السّابقة، فإنّ غيرهم من سكان الولاية قد اختاروا المصوت الخلفي، أي الضّم، وآثروه

على غيره من المصوتات الأمامية (الفتح والكسر) في نحو قولهم: (حُمُّص) في (حِمَصْ) و(العُجُلة) في (العَجْلة) كسكان المنطقة الجنوبية والشّرقية؛ أي المناطق التّالية (سبدو، وصبرة، وعين تالوت، وبن سكران، وسيدي العبدلي، والعريشة، والمقور، والبويهي)، في حين سمعت اللّفظة بالكسر في جهات أخرى، نحو قولهم: (حِيمص).

ومن صور هذه العادات الكلامية الضّاربة في منطوق عاميات تلمسان إيثار جهات للكسر على الضّم، نحو قول أهل (ترارة) للسطل من الحديد أو بلاستيك (بودي)، في حين يفضّل غيرهم الكسر، فيقلون: (بيدو) كما هو جار على ألسنة بعض أهالي سواحلية ومدينة مغنية وما جاورها من القرى.

ولعلّ مسوغ الاستخدام الأول، أنهم كرهوا الانتقال من المصوت الأمامي؛ أي الكسر في (بيدو) ثم العودة إلى المصوت الخلفي؛ أي الضّم لاستثقالهم له، ولهذا آثروا البدء بالمصوت الخلفي ثم أتبعوه بالمصوت الأمامي؛ ليعمل اللّسان في اتجاه واحد، وفي ذلك راحة لجهاز النّطق وانتقاص في الجهد المبذول، ولعلّ هذا هو الذي دعا العرب إلى عدم بناء كلمات على وزن (فِعُل)، في حين استساغوا وزن (فُعِل).

أما الاستخدام الثّاني فلم يستثقل أصحابه الانتقال من الكسر إلى الضّم؛ لإيثارهم إنهاء الكلمة بصوت أفخم؛ أي الضّم، وهذا الاستعمال كان شائعا في المناطق البدوية قديما كقبيلة تميم وحديثا في القرى والبوادي، نحو مغنية وما جاورها.

ومن مظاهر هذه العادات الكلامية الّتي ارتبطت ببيئة الناطق وما ميّزها من بداوة وخشونة أو تمدّن وليونة، نذكر ما سمعناه من بعض قبائل ترارة وبخاصة بني عابد وأولاد رياح والخلافنة، فهم يميلون إلى الضّم مؤثرين له على المصوّت الأمامي، نحو قولهم: (لْكوزينه، ولْحوسين، وزوليخه)، بدل (لْكِيزُونَه، ولْحِيسُون، وزِيلُوخَه) عند غيرهم من مثل سواحلية.

ونشير ههنا إلى وجود عادة كلامية اشترك فيها جلّ الناطقين من سكان الولاية، وهي مخاطبة الجنسين بأحد اللفظين (نْتِينْ أو نْتِينَا)، في حين فضّل غيرهم مخاطبة المذكر: (نْتَ) والمؤنث: (نْتِ).

وشاع على ألسنة أولئك الّذين يتفقون في توحيد كلمة المخاطب على استعمال كلمة (عْرُوصْ) براء مفخمة متبوعة بصاد مبدلة من السّين بتأثير من الراء، كما هو في الفصحى (عْرِيسْ) بالسّين، أما باقي المناطق فحافظ أهلها على الكلمة الفصيحة (عْرِيس) بكسر الراء وترقيقها.

2– اختزال المصوّت أو اختلاسه:

الثّابت أنّ من طبيعة اللغات أن تعطي لكل صوت من أصواتها حقّه في التّحقيق النّطقي، إذ لكل صوت زمنه الطّبيعي وقد يكون له زمن مكتسب يمليه السّياق الذي يرد فيه. غير أنه قد يعرض للصّوت عارض يدعو المتكلم إلى اللانتقاص من مدّته؛ والهدف من هذا كلّه الاقتصاد في الجهد المبدول. وتكثر هذه الظّاهرة عند أهل البادية المتمركزين بالمناطق الجنوبية والشّرقية أمثال (الڤور، والعريشة، وسبدو، وصبـرة، وسيدي العبدلي، وعين تالوت، وأولاد ميمون، وعين غرابة، وزلبون، وبوحلو، وسيدي مجاهد، والوادي الأخضر، وبني صميل، وعين نحالة، وعين فزة)، وذلك في مثل قولهم: (بُوخَالد) باختزال الضّمة الطّويلة في الباء إلى قصيرة، والفتحة الطّويلة في الخاء إلى قصيرة؛ فتصبح (بُخَلَدْ)، ومن نحو ذلك أيضا قولهم: (مَرْتُ) بدل (مْرَاتُو)؛ أي زوجته وهذا النّطق الثّاني متداول على ألسنة سكان تلمسان المدينة، وسكان المناطق الشّمالية السّاحلية والدّاخلية للولاية وأهالي بني سنوس ومن جاورهم، ونلمح هذا الاختزال في زمن الصّوت في مثل قولهم: (خُرْشُف) دون مدّ صوت الشّين بينما عند باقي الأهالي يمدّون الصوت؛ فتصبح الكلمة (خَرْشُوف)، والقول نفسه في كلمة (صُكَّرْ) بدل (صَكُّورْ) أي السّكر، وقولهم كذلك (مَكَنْشْ) بدل (مَكانْشْ)، وقد تقودهم السرعة إلى خطف الحركة؛ أي إضعاف صوتها لتقترب من السكون بغية تحقيق الحدّ الأدنى من الجهد المبذول، والتفسير نفسه ينطبق على قولهم (هَذَ مَكَنْ)؛ أي (هاذا ماكان)، حيث تم الاستغناء عن مصوّت الفتح الطّويل بصِنوه القصير.

3– تحقيق الواو والياء في حالتهما اللّينه:

هذه حالة نطقية يكون فيهما الصّوتان المذكوران في وضع متوسط بين الصّامت والمصوت من حيث الخواص الصّوتية والوظيفية، وهو مجيئهما في الاتصال ساكنين مسبوقين بفتح، وذلك

على نحو ما سُمع في المناطق الشّـــرقية والجنوبية الشّـــرقية، بالإضـــافة إلى المناطق الدّاخلية المحيطة بتلمسان المدينة، ممن عرفوا بطابعهم البـــدوي، مثل: (الفحول، وسبعة شيوخ، وسيدي العبدلي، وعين نحالة، وأولاد ميمون، والوادي الأخضـــر، وبني صـــميل، وعين تالوت، وســـبدو، والمقور، والعريشـــة، وســـيدي الجيلالي، والبويهي، وعين غرابة)، يبدو هذا في مثل قولهم (لْخَيْل، ولْخَيْمَة، ولْخَوْف،و لْمَيْلودْ، ولْقَ و ْر، ورَيْحان، وزَيْتون، وشَوْلي)[1].

غير أن بعض الناطقين آثروا التّخفيف واليسـر؛ فتخلّصـوا من هذه الحالة الوسـطية، حيث استساغوا المصوت الطّويل كسرا أكان أم ضما، فقالـــوا: (لْخِيلْ، لْخُوفْ، لْقْ ُور، زِيتوُنْ). وقد سمعنا هذا الاستخدام في تلمسان المدينة وباقي المناطق الأخرى.

4– الجنوح نحو الضّم أو الفتح:

يســـود في منطوق عاميات ولاية تلمســـان جنوح بعض الجهات في عاداتها الكلامية نحو الضّم، في حين اعتاد غيرهم الفتح.

فمن المناطق الّتي اعتاد أهلها الضّم نذكر أهالي تلمسان المدينة بحضرها وأحوازها، فقد آثروا الضّم على الفتح، ومما جاء على لسانهم، قولهم: (لْحُرْفَه ولْبُرْوُوهْ ومْخُبِّي وعُشْرِينْ وسُخَانه)[2]؛ أي (الحرفة والبرقوق ومخبي وعشرون والحرارة)، فنرى أنّ الصّوت المبدوء به في الأمثلة التالية؛ أي الحاء والخاء والباء والعين والسين على التّرتيب قد حُرك بالضم.

والملاحظ أنّ هذه الظّاهرة لم تنحصر في مدينة تلمسان؛ بل امتدت إلى أهالي هنين وبني وارسوس وندرومة وفلاوسن وباب العسة، في حين حافظ سكان باقي المناطق على الفتح، ولا تتوقف هذه الظّاهرة؛ أي الميل نحو الضّم في الأسماء فقط، وإنّما شملت الأفعال أيضا، من ذلك ما سمع على لسانهم (حَلْحَاجَه تُعْجُبْ، أو عُجْبَتْنِي)؛ حيث جنحوا نحو ضم الحرف الأول وإن كان الأصل فيه الفتح؛ لأنه في الزّمن الماضي، غير أنهم لا يتفقون في ضم جميع الأفعال أو الأسماء التي

1– هذا حسب ما وقفت عليه في منطوق أهالي هذه المناطق المذكورة.

2– هذا حسب ما سمعته من أفواه التّلمسانيين أهل المدينة وكذا سكان المناطق هنين وبني وارسوس وندرومة وفلاوسن وباب العسة.

أصلها الفتح، فهناك منهم من يضم ومنهم من يفتح، فمثلا كلمة (شُرْبه) ضمت شينها ومنهم من آثر فتحها، فقالوا: (شَرْبه)، وهذا النّطق جرى على ألسنة أهالي الغزوات وهنين، وبني خلاد، وبني وارسوس، وندرومة، وفلاوسن، وجبالة، وتونان، وسواني، وباب العسة، وبني سنوس، ومسيردة التّحاتة.

وتأرجح هؤلاء الناطقون بين الفتح والضّم في مثل قولهم: (تَقْعُدْ) و(تَقْعَدْ) كذلك (تاكُل وتاكَلْ)، غير أن الفتح أو الضّم لم يمسّ الحرف الأول المبدوء من الكلمة، وإنما ما وليه من الحروف، فالمثالان المذكوران في حالة الضّم سمعا عند أهالي بني وارسوس وهنين وبني خلاد، بينما المثال نفسه في حالة الفتح سُمع عند أهالي الغزوات ومن يبدلون القاف كافا، وكذلك ندرومة وبني سنوس، والتّفسير نفسه يقال عند هؤلاء الفريقين في نماذج من مثل قولهم: (خافْتْ وخُفْتْ وتْغاشيتْ وتْغُوشيتْ) بمعنى (خفتُ وأُغمي عليّ)، ومثال الاسم نجده عند أهالي صبرة؛ إذ يضمون الرّاء مع تفخيمها في نحو قولهم: (الرُّكْبَه) وهم يقصدون بها وسائل التنقل، بينما يفتح باقي الأهالي في معظم مناطق الولاية وذلك في قولهم (الرَّكْبه)[1].

5– الجنوح نحو الكسر أو الفتح:

وهناك ميل نحو الكسر في بعض المفردات الّتي يكثر دورانها على ألسنة بعض الناطقين في الجهة الشّرقية والجنوبية والدّاخلية، نحو قولهم: (كِيشْ) بمعنى (كيف؟) بكسر الكاف مع الإشباع، في حين نسمع في منطقة ترارة سواء ما قطن منهم في الساحل الشّرقي أو الغربي أو المناطق الدّاخلية القريبة من السّاحل، فإنهم يفتحون الكلمة المذكورة فيقولون: (كاشْ)، ومنهم من يضيف ياء مدّ بين صوتي الكاف والشّين؛ فتصبح الكلمة (كاياشْ؟) كأهالي فلاوسن وهنين، وبني وارسوس، وبني خلاد، والغزوات، والسّواحلية، والمناطق المجاورة لندرومة المدينة.

ونشير ههنا إلى أن بعض الأسماء مما يفتح في الفصحى أصبح ساكنا عند معظم سكان الولاية في نحو قولهم: (بْنادَم) أي ابن آدم و(مْساكنْ) أي مساكين، غير أنه ندّ عن هذا النطق

1– هذه الأمثلة حسب ما جمعته من أفواه الناطقين به من سكان هذه المناطق المذكورة أعلاه.

سكان قرية التّعاونية بدائرة الرمشي، فإنّهم يضمّون الصّوت الأول جنوحا به نحو التفخيم، فيقولون: (بُونادَمْ) أي ابن آدم، أما كلمة (مُساكَنْ) بضم الميم؛ فقد عمّت هذه الظّاهرة كثيرا من المناطق وبخاصة الجنوبية منها والغربية والشّرقية على السّواء باستثناء المناطق السّاحلية والدّاخلية القريبة من السّاحل؛ فقد فضّل الناطقون فيها التسكين[1].

إن الّذين فرّوا إلى الضّم قد انساقوا بطبعهم البدوي إلى الأصوات المفخّمة الّتي يمتلئ بها الفم؛ لأنّهم اعتادوا على ذلك، في حين آثر الباقون الفتح؛ لأنهم كرهوا البدء بالضّم لما له من مؤونة على اللّسان، ولما يكلف من جهد لتحقيقه، وهذا بخلاف الفتح؛ الّذي هو عبارة عن إنزال اللّسان نحو قاع الفم، ثم إرسال الهواء في ممر فارغ من العوارض.

من صور الميل نحو الضّم في الأفعال فقط في حالة الجمع الخاص بالمتكلم والمخاطب والغائب، وقد جاء على لسان هؤلاء (نَدُّو، ويْرَبُّو، ويْلَقُّو، ويْعَزُّو، وتَقْرُو، ويْراعُو، ويْوَرُّو) ومعانيها في الفصحى كالآتي: (نأخذ، ونربي، ويلاقون، ويعزون، وتدرسون، ويراعون، ويظهرون)، والظّاهر في هذه الأفعال أنها انتهت بواو الجماعة؛ حيث حافظ أهل المناطق الشّرقية والجنوبية الشّرقية على هذه الواو وحذفوا النون، فمالت هذه الأفعال عندهم إلى الضّم، وما يلفت الانتباه إلى أن أهالي أولاد ميمون قد اختصّوا باشتقاق الفعل فقالوا: (نَتْأَتُو)، أي: نشرب (لتاي)؛ لأنهم يسمون الشّاي في عاميتهم (تاي)، فانتسلوا من هذه اللّفظة المذكورة الفعل (تَأتى) بمعنى شرب الشّاي، وقد سايرهم في هذا الاستخدام أهالي عين غرابة وبني هديّل[2].

ويُلاحظ في نطق من آثروا الضّم في الفعل المسند إلى الجماعة، أنّهم يكسرون الفعل الدّال على المخاطبة المؤنثة المفردة في نحو قولهم: (تَقْرِ) أي (تقرئين)، بينما نسمع هذا الفعل عند آخرين هكذا: (تَقْرايْ) بإشباع فتحة الرّاء متبوعة بياء ساكنة، فتشكل مقطع من النوع الطّويل المقفل يحسن الوقف عليه، وقد ساد هذا النطق في معظم المناطق الدّاخلية المائلة في نطقها إلى البداوة، كسبدو، وصبرة، وعين غرابة، والرّمشي، وسبعة شيوخ، وعين يوسف، والفحول، والحناية. ويُستثنى

1– هذا حسب المادة المجموعة في هذه المناطق.

2– هذا حسب تسجيلي لمنطوق هذه المناطق الشّرقية والجنوبية الشّرقية.

من هذه المناطق منطقة بن سكران وسيدي العبدلي، فهم يستخدمون في مخاطبة المؤنثة ذينك التّعبيرين معا، فيقولون مثلا: (نْتِ تَقْرايْ؟)؛ أي: (هل أنت تقرئين؟)، وفي الأمر يستخدمون التّعبير المكسور الآخر في قولهم: (رُوحِي تَقْرِ)؛ أي: (اذهبي إلى الدّراسة)[1].

والنتيجة المستخلصة من هذه المعاينة أنّ التّعبيرين (تَقْرِ وتَقْرايْ) متداولان معًا في هذه المناطق، مع اختلاف نسبة استخدامهما على ألسنة النّاطقين بهما.

6– الضّمة المشربة كسرا:

وهو نوع من الإشراب اختصّت به قبائل التّرارة؛ أي كل المناطق السّاحلية الشّرقية والغربية والدّاخلية القريبة منها، فهم ينحون بمصوت الضم نحو مصوت الكسر الّذي يليه؛ فيشربونه شيئا من الضّم، وذلك في مثل قولهم: (مَدْعُور، مَشْعُول) فأشربوا ضمة العين في هذين المثالين شيئا من الكسر، فلا نسمعها ضمة خالصة ولا كسرة محققة، وإنما هي ضم مشوب برائحة الكسر. الأمثلة في هذا كثيرة سواء كانت للأسماء، أو الأفعال أو أسماء الأفعال مثل (يَشَعْلُو، ويَجَمْعُو، ويَدَّرْسُو، ولْيُوم، وعَنْدُ، ويْصَّيْدُو، ونْتُومْ، وشُهَدا، وعُلَما، ولْقُوتْ، ومَسْمُوعْ، ومَعْجُونْ). أما بقية المناطق فإنّهم لا يعرفون هذا الإشراب بين المصوتين الأمامي والخلفي؛ لأنهم يُطيلون المصوت الأول في مثل هذه الأمثلة.

7– عادة القلب المكاني:

القلب المكاني: هو تقديم أو تأخير يصيب أحد أصوات الكلمة الأصول مع بقاء دلالة الكلمة على ما كانت عليه في أصل الوضع. ويُرجع بعض الدّارسين ظاهرة القلب المكاني إلى سرعة الأداء أثناء التّحقيق الفعلي للكلام، في حين يعزوها آخرون إلى الاقتصاد في المجهود المبذول، وذلك أثناء عملية إصدار الأصوات الّتي لا تكلّف جهدا، وقد شاعت هذه الظّاهرة في اللّهجات العربية قديمها وحديثها.

1– هذه الأمثلة مأخوذة من تسجيلي لمنطوق أهالي المنطقة الشرقية كسيدي العبدلي.

تلمسان بمناطقها المختلفة لم تخلُ تعابيرهم اليومية من هذه الظّاهرة، فقد جاء على لسان أهالي المدينة في تسميتهم للدّجاجة جْداده بدل دْجاجه، وحتى البيض ينعتونه (وْلا جْداد أوأولاد جْداد)[1]، ففضلوا البدء بالجيم الغارية ثم اتبعوها بدال لثوية؛ لكي يعمل اللّسان في اتجاه واحد.

وإذا اتجهنا تلقاء أولاد ميمون وجدنا أهلها يقلبون في كلمة (يَقْبظ) بين الظّاء والباء فيقولون: (يَقْظب)[2]، فلما كانت الظّاء رخوة من طرف اللّسان وأطراف الثّنايا العليا وكانت الباء شفهية محضة، وهي من مخرج بعد مخرج الظّاء، وحتى يعمل اللّسان في اتجاه واحد استساغوا تقديم الظّاء على الباء، وفي ذلك راحة لجهاز النّطق من البدء بالباء ثم العودة إلى الظّاء.

وإذا كان التلمسانيون أهل المدينة يستعملون عبارة (ما هو؟) للسّؤال عن الشّيء المبهم، فإنّ أهالي ترارة وبخاصة أهل هنين وفلاوسن وبني وارسوس وبني خلاد، فكلهم يستعملون هذه اللّفظة مقلوبة في قولهم: (وامِيهْ)، والحاصل أنّ هذا القلب لم يكتف بصوتين كالعادة، وإنما حوّر صيغة السّؤال وغيّر ترتيب أصواتها؛ فابتعدت عن الصّيغة الأصل، ومن صور القلب المكاني أيضا نذكر ما حدث في لفظة (الزْنَاجَه) بدل (الجْنَازَه)، وذلك في معظم مناطق تلمسان باستثناء بعضها في الجهة الشرقية كسيدي العبدلي وبن سكران، ولعل البدء بصوت الزّاي المجهور أسهل من النطق بجيم غارية.

ومن نماذج هذا القلب نورد ما جرى من قلب في كلمة (يَلْتَمُّو) ومعناها (يجتمعون) في مناطق ترارة كهنين وبني وارسوس وندرومة وفلاوسن، بينما تقلب إلى (يْتْلايْمُو) بتغير مكاني بين اللام والتّاء في مناطق كعين تالوت وأولاد رياح والحناية والرمشي والمقور وعين غرابة[3].

من أمثلة القلب أيضا ما جاء في أسماء الإشارة للدّلالة على الشّيء البعيد؛ فأهالي المدينة (تلمسان) ومن جاورهم من المنطقة الدّاخلية والمنطقتين الشّرقية والجنوبية، يقولون: (لْهِيهْ) بينما نسمع في أجزاء أخرى من الولاية، وهم أهل الجهتين الشّمالية والدّاخلية أعني ههنا قبائل ترارة،

1– هذا ما وفقت إلى جمعه عن المنطوق السائد في هذه المنطقة.

2– هذه الأمثلة من تسجيلي بالمناطق الشرقية.

3– الأمثلة هذه مأخوذة من تسجيلي بهذه المناطق.

فإنهم يقلبون الكلمة السّابقة ويبدلون الهاء الأخيرة نونا في قولهم: (لِيهَنْ)، فقد خالفوا بين الهاء الأولى والياء، وفي هذه الصّيغة الجديدة يصعب على المتكلم الوقف عند هاء مسبوقة بهاء قبلها، ولما كان الجمع بين المتماثلين ثقيلا أبدلوا أحدهما صوتا مما يخالَف به، فاختاروا النون؛ لأنها من الأصوات المائعة السّهلة الميسرة. ولعل اختيارهم للنون مردّه إلى أنها تلتقي والهاء في سعة المخرج وضعف الاحتكاك.

يبدو أن الألفاظ الّتي تعرّضت إلى القلب وصعُب على اللّسان الوقوف على أحد أصواتها بعد عملية القلب المكاني بحصول التّماثل، فإن المتكلم يدرأ هذا الثّقل باللّجوء إلى قانون المخالفة الصّوتية، والمثال الموالي يؤكد هذه الظّاهرة، فقد أطلقوا على الأثافي، وهي تلك الأحجار الثّلاثة الّتي يوضع عليها القدر فوق النار، (آيْنِي) سجّلنا هذا على لسان أهالي بني سنوس ومن جاورهم، ولكن أهل ترارة يقولون بعد قلب في أصوات الكلمة: (نْيَانِي)[1].

من الأمثلة الّتي كثر تداولها لفظة سَجَّادة الصّلاة فبعضهم يسميها (سجَّاده) والبعض الآخر يسميها: (سَدَّاجَه)، فأهل القلب كُثُر ويتوزّعون على جهات مختلفة من تراب الولاية.

ومن أمثلة ظاهرة القلب المكاني ما شاع في نطق أهالي ترارة خاصة قبائل أولاد صالح والخلافة من بني عابد، فهم يقولون: (حْسابْني): بدل (سْحابْني)[2] أي ظننت، ولعلهم في هذا الإبدال اختاروا البدء بصوت صفيري بدل صوت حلقي احتكاكي لا يكاد يسمع. وعلى العكس من هذا القلب المتعلق بصوت الحاء نجد أهالي سيدي العبدلي يقلبون الكلمة (شْحالْ) إلى (حْشالْ)[3]؛ أي (كم)، ونرى ههنا أن أهل هذه المنطقة فضّلوا البدء بصوت الحاء الحلقي المهموس بدل الشّين الغارية. ويقلب أهالي الحناية والرّمشي وسبعة شيوخ وسكان البلديات المجاورة لهم بين الصّوتين النّون والكاف في قولهم (نَكْسُو) بدل نَكَنْسُو)[4]؛ أي نزيل الغبار وننظف المكان.

1– هذه الأمثلة مأخوذة من تسجيلي بهذه المنطقة.

2– هذه الأمثلة من منطقة ترارة.

3–هذه الأمثلة من منطقة سيدي العبدلي.

4– هذه الأمثلة تخص هذه المناطق كالحناية وسبعة شيوخ والرمشي.

وفي منطوق عاميات تلمسان صور من التّخفيف والتّسهيل تيسيرًا للنطق واقتصادا في المجهود المبذول من مثل الإبدال والقلب والحذف الّذي سنقف فيما يلي على صور منه.

8– عادة الحذف:

يلجأ الناطقون في تلمسان بمختلف مناطقها إلى الحذف بوصفه مسربا للهروب من ثقل الكلمات لطولها أو لدرء التّنافر، أو لعدم للانسجام الحاصل بين أصواتها، ونعني بالحذف ههنا التّخلص من أحد أصوات الكلمة والاستغناء عنه لثقله، أو لأن الكلام مفهوم من دونه. فقد شاع عند أهالي منطقة ترارة وبخاصة المنطقتين الشّرقية والغربية من السّاحل بالإضافة إلى المناطق الدّاخلية القريبة من السّاحل اسقاط هاء ضمير الغائب سواء كان للمذكر أو المؤنث، وفي حالة الإفراد أو الجمع، فهم يقولون مثلا: (دْيَالْمْ أي دْيالْهُم، قُلَّمْ أي قُلْ لهم، وقُلَّا أي قُلْ لها)، وغيرهم لا يُسقطها بل ينطقها واضحة بيّنة. والحاصل أنه حدث تحويل داخل بنية الكلمة فقد حذف صوت الهاء ونقلت حركة الصّوت الّذي قبله وهي الفتحة في الفصحى في مثل (قُلْ لها) إلى صوت اللام السّاكن قبله وتم إدغامهما، التّفسير نفسه يقال عن (قُلَّمْ أيْ قُلْ لهم)[1].

لكن صوت الهاء لم يسقط فقط حين يكون ضميرا، وإنما شاع إسقاطه عند معظم سكان تلمسان على اختلاف جهاتهم. فقد أسقطوا الهاء من أسماء الأشياء كقولهم: (صَارِيج) بدل (سَهْرِيج)، حيث احتفظ بهذه الهاء أهل تلمسان المدينة، لكنها سقطت بالإجماع في كلمة (فْوَاكِ) أي فواكه.

وسقط صوت الهاء أيضا في منطقة بني سنوس وبخاصة عند سكان الخميس والفحص، فهم حين يسألون عن الشّيء يستعملون التّعبير (واسْمُو؟) وأصله(واسمْ هُو) فحذفت الهاء واحتفِظ بضمّتها مع صوت الميم الّذي كان ساكنا، وفي هذا تخفيف للكلام وتيسير له.

ونرى سقوط الهاء أيضا في قولهم (مَنَّا) والمقصود (من هنا)، وهذه سمعت عند غالبي سكان تلمسان إلا أهل المدينة فإنهم يحافظون عليها، وبالتّالي لا وجود للإدغام، لكن ما يميزهم في حالة

1– إنّ هذه الأمثلة من تسجيلي الخاص بنطق هذه القرى.

إسقاط الهاء حين يتلفظون بالعبارة المتداولة عندهم والّتي تميزت بتنميط المصوتات، فقالوا (رِتَّخْدمْ)؛ أي (راها تخدم) بمعنى أنها تعمل، أو (رِ يلْعَبْ)؛ أي (راه يلْعَب)، وذلك حين يتعلّق الحديث بالغائب أو الغائبة؛ فيلجأون إلى إسقاط الهاء، أما إن عادوا إلى الخطاب المباشر فإنهم لا يكتفون بصوت الراء وحده بل يلصقونه بضمير الخطاب: الكاف، كقولهم (رِيكْ تخْدم، رِيكْ تلْعَبْ).ويمتدّ هذا الحذف عندهم إلى عبارة السّؤال، حين يقولون: (فارِيهَا أو فارِيهْ)[1]؛ أي (أين هي؟ أو أين هو؟)؛ وباقي أهالي المنطقة يقولون (فايَنْ راها أو وِين راها أو فِين راها؟) ولمخاطبة المذكر يقولون: (فايَنْ راه أو فِين أو وِين راه؟)، فالعبارة دخلتها المماثلة بين المصوتات، لكنها لم تخلُ من حذف الياء والنون.

وشاع على ألسنة أهالي تلمسان المدينة وكذا أهالي بني سنوس قولهم (عنَّا)، والمقصود (عندنا) فأسقطوا صوت الدّال وأدغموا النونين، في حين مال غيرهم إلى إسقاط النون الأولى وبقي التّعبير عندهم: (عَدْنا).

ويحذف سكان مدينة تلمسان الذّال من الفعل (خذْ) فيقولون (خُو)، أي تحذف الذال ويعوضونها بإشباع ضمة الخاء. وشمل هذا الحذف صوت العين الحلقي خاصة في حالة النطق بالأعداد، فأهل تلمسان يستغنون عنه نهائيا في قولهم: (تْناشْ 12، سْبَطاشْ 17)، أما غيرهم في باقي المناطق فإنهم لا يكتفون بعدم الحذف؛ بل يحافظون كذلك على جهره، فيقولون: (تْناعَشْ 12 وسْباطاعَشْ 17)، بل هناك من يضيف صوت الرّاء كقولهم: (تْناعْشَرْ12 وسْباطاعْشَرْ 17)، وهذه الزّيادة بعد صوتي العين والشّين لا تسمعها إلا عند كبار السّن في جميع مناطق تلمسان. أما البقية فإنهم إن لم يسقطوا العين ذكروها مع الشّين دون صوت الرّاء، وهذا منتشر بخاصة في منطوق البدو كقبائل بني واسين[2].

وهناك خذف آخر يخصّ أهالي منطقة تلمسان المدينة، فقد اعتادوا حذف السّين في (تْنَّا) أي انتظرْ، وغيرهم ينطقها سْتَنَّا، كما درجوا على حذف التّاء في نحو قولهم: (بقى على خير)

1- هذه الأمثلة تسمع عند أهالي المدينة.

2- هذا ما وقفت عليه في منطوق هؤلاء.

بقلب القاف همزة، واحتفظ غيرهم بنطق التّاء قبل الباء؛ أي: (تَبْقى على خيرْ)، فهم يرون في هذا الإسقاط تسهيلا للنطق، وأن هذه الزّوائد الأولى لا فائدة منها أو أنها ليست ضرورية متى أُتقن اللّبس.

أما سكّان منطقة ندرومة المدينة فيتميّزون بحذف صوت الميم في قولهم: (آسْ كاينْ؟ آسْ قُتْلَكْ؟) في (ماذا هناك؟ ماذا قلت لك؟) كما يحذفون صوت اللّام من قولهم: (قُتَّكْ أو قَتَّكْ)؛ أي قلت لك وقالت لك. والحذف نفسه نسمعه عند أهالي تلمسان المدينة مع إبدال القاف همزة.

من العادات اللّسانية الشّائعة في منطقة صبرة، ولاسيما عند عشيرتي: أولاد حمو وأولاد عدو، حذف الميم الدّالة على الجمع، فهم يقولون (عْليهُ) بدل عليهُمْ، و(عَنْدكُ) بدل عندكم، ومن العبارات المشهورة عن هاتين القبيلتين، والتي يتندّر بها بعضهم قولهم: عندكُ حْميركُ فِ زْرَعْكُ؛ أي عندكم حميركم في زرعكم، والمعنى: احذروا فإن حميركم تسرح في حقل الزّرع مما يعرضه للتلف، وقد وجدنا شبيها لهذه العادة اللّسانية في منطقة بشار، وخصوصا القنادسة، فهم أيضا يحذفون هذه الميم.

انفرد أهالي منطقة ترارة خاصة حين ينطقون بلفظة (شوُنْ) بحذف الكاف وأصلها (شْكُونْ)، أي (من؟) وتختلف درجات الحذف عند هؤلاء، فمن ينطقون الكاف شينا، فإنهم يحذفونها أمثال الغزوات والسواحلية، ومسيردة التحاتة، وتونان، وتيانت. أما باقي أهالي ترارة فإنهم يحذفونها خاصة إذا كانت متبوعة بضميري: الغائب والغائبة المفردين في قولهم (شُونُوَ، شُونِيَ)، أوجماعة الغائبين في قولهم: (شونُمَّ) أي (من هم؟)، والأصل في القول (شْكُونْ هُمَا)، مع ملاحظة حذف الهاء من (هو وهي)، وأصل القول (شْكُونْ هو وشْكُونْ هي)[1].

أما تفسير الحذف الأول فهو أن الهاء حُذفت من (شْكونْ هُوَ) والكاف أيضا، ونقلت ضمة الهاء إلى النون فأصبح التّعبير (شُونُوَ)، والشّيء نفسه حدث مع ضمير الغائبة المفردة فحذفت

1– هذه الأمثلة مأخوذة من تسجيلي لمنطوق هذه المناطق التابعة لمنطقة ترارة.

الهاء والكاف ونقلت كسرة الهاء إلى النّون، فأصبح التعبير (شُونِيَ بدل شْكونْ هي)، أما التّعبير الثّالث فحذفت منه الكاف والهاء ونقلت ضمة الكاف إلى النّون واتصلت بالميم المشددة.

إنّ ظاهرة الحذف هذه لم تتوقّف عند هذه الأصوات، فقد حُذف صوت الحاء عند أهالي مسيردة التّحاتة في قولهم: (تَّى) وأصلها (حتَّى)، كلّ ذلك لتسهيل النّطق والاقتصاد في الجهد، كما حذف أهل ندرومة وهنين وبني وارسوس و فلاوسن ومن جاورهم من البلديات، فقد استغنى بنو خلاد عن صوت الدّال من كلمة الدّجاج؛ فصارت عندهم (لْجاجْ)، الظّاهرة نفسها أصابت قولهم: (لْتَحْ) بدل (لْتَحْتْ) أضف إليهم أهالي زهرة من قبائل بني سنوس، فقد حذفوا التّاء تسهيلا والتّفسير نفسه يقال عن استخدامهم: (لَعْشِي) بدل (لَعْشِيَه)؛ حيث حذفوا الياء تسهيلا مع إطالة كسرة الشين[1].

ونشير إلى أن صوت الياء حُذف أيضا في (رِيَه)، والمقصود بها الرّؤية، فأصبحت بعد الحذف (رِّ)، وذلك عند جلّ أهالي المناطق المذكورة سابقا باستثناء منطقة زهرة، ولكنك لا تسمعها إلا عند كبار السّن من الشّيوخ والعجائز[2].

الظّاهرة نفسها نلحظها في حذف صوت الفاء من فعل الأمر (شُوفْ)، أي: أنظر، فقد جاء على لسانهم (شُو) بتفخيم الشّين، ونفس الفعل في زمن الماضي فإنه يتعرّض إلى حذف الفاء؛ فنسمع قولهم: (شَتْ بدل شَفْتْ أو شَتُو بدل شَفْتُو)، وكل هذا مرده السّهولة والتيسير في نطق الكلمة والبحث عن أدنى جهد للنطق بالكلمة.

بقي أن نشير إلى منطقة سيدي العبدلي، فقد سُمع عنهم حذف اللّام في قولهم: (كُشّْ) أي (كُلْشْ)، وحذف آخر يخصّ دوار الكبارتة التابع لبلدية المقور، فهم يقولون: (كِكْظاكْ)، ومعناها (مثل ذلك)، وأصل التّعبير (هاكْ ظاكْ)، فحُذف صوت الهاء وعوض عنه بكاف مكسورة

1– هذا ما وقفت عليه في منطوق هؤلاء الأهالي القاطنين بهذه المناطق.

2– هذا حسب تسجيلي الخاص بمنطوق هذه المنطقة.

وهي كاف التّشبيه، أما الظّاء فهي منقلبة عن ذال عند هؤلاء، لأنّهم يفخمون الأصوات المرققة الرّخوة ويحولونها إلى نظائرها المفخمة.

9– العادات الكلامية القائمة على الإبدال:

وهوأن يأخذ صوت مكان صوت آخر في الكلمة تجمع بينهما قرابة صوتية، مع بقاء الكلمة محافظة على معناها[1]، ومنطوق تلمسان بعامياتها المختلفة لم يخلُ من هذه الظّاهرة، فأهل تلمسان المدينة مثلا اعتادوا إبدال القاف همزة في الكلمات الّتي احتوت عليها، لكن هذا الإبدال لم يبق محصورا في القاف تعدّاه إلى صوت الكاف، فقد أبدلت هي الأخرى همزة، ولكن في كلمات محدودة في مثل قولهم: (بأْبوُأَة ودرْبُوأَة وإيرَانْ)[2] ؛ أي (بكْبوُكَة): وهو نوع من الطّعام يحضر بكرش الخروف (ودربوكة): وهي آلة الموسيقى المعروفة و(كيران): أي الحافلات، لكن نشير ههنا إلى أن هذا النّطق لا تسمعه إلا عند كبار السّن الذين لم يختلطوا بغيرهم كثيرا. ويُبدل أهل تلمسان الميم نونا خيشومية في مثل قولهم (نَقلوب بدل مقلوب)؛ أي المنقلب، و(نْخُطْ بدل مْخُطْ أي مخض)، و(نْقيل بدل مقيل أي القيلولة)، وفي هذا المثال الأخير تشترك مع أهل تلمسان قبائل بني سنوس كلّها؛ إذ يقولون المنْقيله والمنْقيل بدل المقيل)، أي أإن الميم والنون كلاهما من الأصوات المائعة، إذ جاز الإبدال بينهما. وهو منتشر في باقي مناطق الولاية كالحناية والرّمشي وغيرهما، فهم يقولون بدل (مْفاتَح): (نْفاتَح)، والظّاهرة نفسها سجلناها في منطوق صبرة، كما في قولهم: محمد الّتي تصير على ألسنتهم (مُحَنْد)، ولاسيما إذا كانت مضافة في أثناء النداء على شخص باسم أبيه كما في محمد سعيد الّتي تصير محند سعيد، أي محمد بن سعيد. وتُبدل الميم نونا في جلّ مناطق تلمسان، في مثل قولهم: (ندرومة) نطقت (مدرومة) في كثير من جهات تلمسان الواسعة[3].

1– ينظر: أبو الطّيب اللُّغوي، كتاب الإبدال، ص 9/1. وينظر: السّيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل، إبراهيم محمد علي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت، ص 460/2.

2– هذه الأمثلة مسموعة عند أهالي تلمسان المدينة عند كبار السن منهم.

3– هذا حسب ما وقفت عليه في منطوق هؤلاء.

ويتناوب صوتا الرّاء والنون الإبدال فيما بينهما؛ لأنهما من الأصوات المائعة، ومن أمثلة هذا قولهم: (قزَان بدل قزَار) وهي الطنجرة الكبيرة.

وأبدلت الزّاي من الجيم في كثير من هذه المناطق خاصة سبدو وصبرة والشّولي، والمناطق الشّرقية والجنوبية، إذ جاء على ألسنتهم (زِيش بدل جِيش)، و(زَزَايْري بدل جزايري)، و(عْزَاجْ بدل عْجَاجْ وهو الغبار)، و(زَبْشْ بدل جَبْشْ)، وهذا النطق خاص بمنطقة صبرة. و(زَحْشْ في جَحْشْ) وهو ولد الحمار.

والملاحظ أيضا أن صوت الجيم الفصيح يُبدل كَافا سامية إذا جاورت الزّاي أو السّين، فقد جاء على لسانهم (عْكُوز، وگبْس، وْگزّار، وعْگَزْت، وْگاسوسْ) بدل (عْجُوز، وجَبْس، وجزَّار، وعْجَزْتْ، وجاسوس)، وينتشر هذا الإبدال في أكثر المناطق وبخاصة الشّمالية الشّرقية والغربية بما في ذلك قبائل ترارة (ندرومة، وفلاوسن، وجبالة، وباب العسة، ومسيردة)، ينضاف إليها المناطق الدّاخلية كسبدو وصبرة، لكن أهالي الشّولي وسيدي العبدلي ومن جاورهم كبن سكران وعين تالوت، فإنهم ينطقون الجيم فصيحا، ولا يبدلونه كَيما سامية. واشتهرت مناطق الرّافيل والعابد وروبان والزوية وعصفور بإبدال الجيم في كلمة (اجلس) إلى كَيم سامية، فتحول النطق إلى (اگْلَسْ) وهذا النطق منتشر في المغرب الأقصى[1].

وأبدل أهل الرّمشي ومن جاورهم من أهالي سبعة شيوخ والفحول وغالبية المنطقة الشّرقية بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية وبعض المناطق الداخلية؛ ممن يستخدمون الكَاف السّامية بدل القاف بإبدال السّين المجاورة للكَاف زايا خالصة في قولهم (زِيكَي)، وهم يريدون: (يَسْقي)؛ أي يسقي، وما نسمعه منهم أن الكَاف تحوّلت إلى نظيرها المهموس الكاف، كما قلبت الكَاف في يگْتَل إلى يكْتل بجوار التّاء المهموسة[2].

نشير ههنا إلى إبدال انفرد به التّلمسانيون (الحضر)، وهو إخراجهم للهمزة الممدودة في كلمة (القرآن) قافا خالصة، إذ يقولون: (قُرقَان)، ولعلّ ذلك كان أسهل عليهم من إبدال القاف

1–هذا حسب ما سمعته من أفواه الناطقين به من سكان هذه المناطق المتاخمة للمملكة المغربية.

2– هذا من تسجيلي في منطوق المنطقة الشرقية وصولا إلى الجنوبية وبعض المناطق الداخلية.

كعادتهم همزة فتجتمع همزتان ولما ثقل عليهم النّطق بهما معا آثروا إبقاء القاف الأول على حالها مع إبدال الهمزة الثّانية قافا، ورأوا ذلك أيسر وأسهل عليهم من النّطق بهمزتين في كلمة واحدة.

ويبدل جلّ سكان ولاية تلمسان الميم باء في نحو قولهم: (مُقْراج) (بُقْراجْ)، ويشيع إبدال الباء من الفاء في الجهة السّاحلية وبخاصة قبائل ترارة في مثل قولهم: (عْبَسْتْ) بدل (عْفَسْتْ)؛ أي دست، ومنهم من يبالغ في هذا فيقول: (عْمَصْتْ) بإبدال الفاء ميما والسّين صادا، وقد سُمع هذا في منطقة أولاد رياح وزناتة والحناية. كما سُمع عن هؤلاء معاقبتهم بين الطّاء والصّاد في نحو قولهم: (طَوْحُو) و (صَيْحُو) وكلا اللّفظتين مستعملة، كما اختصّت هذه المناطق أيضا بإبدال تمثّل في إحلال الخاء مكان القاف في مثل قولهم: (دَرْوَخْ بدل دَرْوَقْ) و(دُوخْ بدل دُوكْ) و(بُوَّاخة بدل بُوَّاقة أي بالونة)، وقد ساير هؤلاء أهالي تافسرة وبني سنوس في المحافظة على هذا الإبدال[1].

إنّ إبدال القاف من الكاف له ما يسوّغه من الناحية الصّوتية، فكلاهما من الأصوات الطّبقية الّتي تتبادل فيما بينها. أما إبدال الخاء من القاف، فيبدو أنّها عادة علقت بألسنة هؤلاء بفعل الاحتكاك بفئات بشرية وافدة على الجهة.

وتُبدَل العين حاء في منطوق سيدي العبدلي وأولاد ميمون، فقد سُمع على لسانهم (حْسَل وحْشَا) في (عْسَل وعْشَا)، والحاصل ههنا تأثير السّين بما فيها من الهمس في العين المجهورة من قبيل المماثلة الجزئية مع اتصال، فأبدلت العين بنظيرها المهموس وهو الحاء. ولعلّ ظاهرة تغليب الهمس على الجهر قد مسّت صوت الدّال في نحو قولهم: (تَفْشَه بدل دَفْشَه)، أي كلام لغو، كما مالوا إلى التّرقيق؛ حيث أبدلوا الطّاء في (طُماطِيش) تاء فقالوا: (تُماطِيشْ)، وقد تبعهم في هذا الإبدال منطقة ترارة ممثّلة في (هنين، وندرومة، وبني خلاد، وبني وارسوس، وفلاوسن، وجبالة)، واختص دوّار أولاد دحمان القريب من بلدية سيدي بونوار من دائرة بني خلاد بهمس الطّاء في قولهم: (بُوتُونه بدل بُوطُونه)؛[2] أي عمود الكهرباء.

1– هذا حسب ما جمعته من منطوق هؤلاء الأهالي.

2– هذا ما وقفت عليه في منطوق أهالي هذه المناطق.

وسمعنا إبدال صوت الهمزة عينا خالصة عند كبار السّن بخاصة في معظم جهات الولاية في نحو قولهم: (قُرْعان، ومَسْعُول، وعَدِّيتْ، ولْعاتار، وعالَفْ)[1]؛ أي (قرآن، ومسؤول، وأدِّيت، والآثار، وألف)، وأُبدلت الهمزة أيضا ياء خالصة في قولهم: (يَنا) بدل (أنا) في كثير من مناطق الولاية، نحو قبائل ترارة بما فيها الغزوات وجبالة وتونان ومسيردة وباب العسة وهنين وبني وارسوس وبني خلاد، ينضاف إليها المناطق الدّاخلية كسبدو وصبرة، ولعل النّاطقين ههنا فروا من الهمزة لما تتطلبه من جهد؛ فهي وقفة حنجرية تخرج باجتهاد وأبدلوها ياء؛ لأنّها أسهل من الهمزة نطقا وأيسر مخرجا. وأبدل هؤلاء أيضا الواو من الهمزة في نحو قولهم: (يْوَدَّنْ) بدل (يْأَذَّنْ)؛ أي يؤذن، واختاروا الواو ههنا كذلك؛ لأنّها لا تكلّف جهدا كبيرا في إخراجها بعكس الهمزة.

أما صوتا الشّين والسّين فقد تبادلا في منطوق تلمسان المدينة في نحو قولهم: (شَمْشْ) و(سمش)؛ أي: شمس، وقالوا أيضا (شُمِيشَة) و(سُمِيشَة)، ولعلّ هذا من بقايا الاستخدامات السّامية في اللّهجة التّلمسانية، وقد شمل هذا الإبدال كلمات أخرى اجتمعت فيها السّين والشّين، فقالوا: (مُوشْطاَشْ) بدل (مُوسْطاَشْ)؛ أي: الشّوارب، بل لقد طال هذا الإبدال الفعل الفرنسي: (charger)، فقالوا فيه: (سَارْجِي)؛ أي: يعبئ، والمعلوم أنّ الأصوات تتفاعل فيما بينها داخل الوحدة الصّوتية، وأنّ المتكلم يجنح دوما صوب الأيسر والأسهل من الأصوات، وأنّ الصّوت محلّ التّغيير يبحث عن أقرب الأصوات شبها به، وعليه لما كان إخراج الشّين يكلّف جهدا أكبر بما فيه من الرّخاوة والتّفشي، وأنّه يستغرق زمنا أطول لما فيه من الاستطالة. ولما كان صوت السّين على العكس من ذلك لا يتطلّب إحداثه تلك المشقّة ولا يستغرق زمنا أطول كالّذي يتطلبه إصدار الشّين، لهذا كله آثروا السّين في هذا الإبدال.

وعرف منطوق تلمسان بعامياته المختلفة تبادلا بين الأصوات التّالية: (التّاء، والدّال، والضّاد، والطّاء)، فمن الكلمات الّتي تنوّع نطقها في منطوق تلمسان الولاية نذكر: كلمة (مْضَغْ)، فأهل الغزوات والسّواحلية وتونان يقولون: (مْتَغْ) بإبدال الضّاد تاء، فقد تخلت الضّاد عن جهرها وتفخيمها فتتحول إلى تاء على لسانهم. بينما فضّل أهالي بني سنوس وتلمسان المدينة إبدال الضّاد

1– هذا ما وقفت عليه من منطوق هؤلاء خاصة في هذه الأمثلة.

دالا وهو نظيرها المرقق المجهور فقالوا: (مْدَغْ)، في حين آثر غير هؤلاء إبدال الضّاد طاء، فقالوا: (مَطَّغْ)؛ أي بتخلى الضّاد عن جهره، والملاحظ مما سمعناه في منطوق (هنين، وبني وارسوس، وبني خلاد، وفلاوسن، وندرومة)، ومن تبعهم من بلدياتهم، أنهم نطقوا كلمتي (مَطَّغ ومَتَّغ) بتشديد الطّاء والتّاء. وسُمع صوت الضاد ظاء في بعض المناطق الشّرقية والجنوبية فقالوا في: (مْضَغْ) (مْظَغْ)[1].

ومن العادات الكلامية ميل بعض المناطق إلى التّفخيم، نحو منطقة ترارة فهم يقولون للشّيء السّاخن (طابَخْ) بطاء مفخمة، في حين جنحت مناطق أخرى إلى التّرقيق، فقالوا: (تابخْ)، وقد ساد هذا في مناطق سيدي العبدلي وبن سكران والرمشي وسبدو وصبرة وفي جهات من المنطقتين الشّرقية والجنوبية.

ويتميّز سكان سواحلية وتونان والغزوات ومسيردة التحاتة بإبدال خاص في بعض الكلمات، وهو نطقهم GA جيما كثيرة التّعطيش، وذلك في مثل قولهم: (دْجيل)؛ أي (ذْقيل) من القيلولة و(دْجاطو) بدل (القاطو) و(دْجارو) بدل(لْقارو)؛ أي السّيجارة و(دْجَميله) بدل (لْقَميله)؛ أي الطنجرة، وهذه الكلمة دخيلة[2].

وقد يتنوع الإبدال من منطقة إلى أخرى في كلمة واحدة، وهي تلك الّتي تطلق على نسيج العنكبوت. وفيما اجتمع فيه أكثر من إبدال واحد كإبدال الميم باء، وإبدال اللام راء، وإبدال القاف خاء تسميتهم المتنوعة لنسيج العنكبوت، فأهل السّواحلية والغزوات ومن جاورهم يطلقون عليه: (آخْمارْ) بتفخيم صوت الميم بتأثير من الخاء. أما سكان منطقة ندرومة وبخاصة قرية سيدي داود، فإنهم ينعتونه: (بوُقْبالْ)؛ حيث أبدلوا صوت الخاء بصوت القاف وصوت الميم بصوت الباء وصوت الرّاء بصوت اللام، بينما استقر سكان برج عريمة بتسميتهم له (لُخْبالْ) بإبدال صوت الميم باء وصوت الراء لاما، أما أهالي هنين وجبالة فينعتونه بالتّسمية نفسها في قولهم: (لُخْمارْ)، الفرق بينهما أن سكان منطقة هنين يرققون صوت الميم؛ بينما سكان منطقة جبالة أخرجوه مفخّمًا.

1– هذه الأمثلة حسب التسجيل المتوفر لدينا عن منطوق أهالي هذه المنطقة.

2– حسب ما وفقت في تسجيله بهذه المنطقة.

10– عادة الإلصاق والإلحاق:

ونقصد بهما زيادة مقطع أو مقطعين في صدر الكلمة أو نهايتها للدّلالة على معنى معيّن أو توجيهه. والظّاهر أنّ منطوق تلمسان لا يخلو من هذا المسرب كقرينة دلالية. فمن ذلك اتخاذ سابقة الحاء للدّلالة على العدد المحدد أو المبهم، من ذلك قولهم: (حَلْمرَه وحَنْهارْ، حَطُّفْله) في (وحد لمره ووحد نْهار ووحد طفله)، وتشيع هذه اللاّصقة في جلّ مناطق الولاية، في حين آثر غيرهم؛ ممن يقطنون في الجهات المتبقية من الولاية، وهم فئات من المناطق الشّرقية والجنوبية والدّاخلية، ذكر لفظة (وَحْدْ) إلى الاسم المراد تعيين عدده، فقد سمع على لسان هؤلاء قولهم: (وَحْدْ نْهارْ، وَحْدْ لْبَنْتْ، وَحْدْ لْمَرَّه).

والظّاهر أن لاصقة الحاء هي في الأصل اختزال أصاب كلمة (واحد)، فقد استغنوا عن المقطع الأول (وا)؛ لأنّه عرضة للتّغيرات؛ فبقيت الكلمة على مقطع متوسط مغلق (حدْ) وميلا منهم إلى الخفة والسّهولة أبدلوا الدّال السّاكنة لاما؛ فصادفت هذه الأخيرة اللام الباقية من (الْ) التّعريف في الكلمات الموالية للحاء، فآثروا إدغامها فيها. وضالة هؤلاء درء الثّقل؛ لأن كثرة تتابع الأصوات يجهد النّاطق. في حين فضلت جهات أخرى الإبقاء على الكلمة كما هي بحروفها، ولم يرو في ذلك استثقالا.

ومن السّوابق الّتي يكثر دورانها في منطوق عاميات تلمسان إلصاق الشّين في مستهل لفظة (شْواي وشْويه)، فقالوا: (شِشْواي وشِشْوية)، ولعلّ المقصود من هذا التّركيب، أنّ صوت الشّين المتصدر هو اختزال للفظة (شيء)، وأن كلمة (شواي وشويه)، هي تصغير للفظة (شيء) على منوال عاميات تلمسان، وبهذا يكون المقصود من العبارة شيئاً من شويئ على طريقة الفصحى.

ومن صور هذه اللاصقة المضافة في مقدمة الكلمة قولهم: (شِناسْ)، أي أفراد غير معروفين، وهو استخدام أرادوا به الدّلالة على القلة. ومنها كذلك لاصقة الدال في مثل قولهم: (داك الراجل دِي جَا لْبارحْ، هالدّار دِي جدّي، دِكايَنْ)[1]، ويشيع استعمال هذه اللاصقة في المناطق الشمالية

1– هذا ماوقفت عليه عند منطوق هؤلاء.

الشّرقية والشّمالية الغربية بالإضافة إلى أجزاء من المنطقة الدّاخلية، وهي على ما يبدو اختزال للاسم الموصول (ذي)، ثم أبدلوا الذال دالا من باب إيثار الشّديد على الرخو، على نحو ما فعلوا في الثّاء؛ إذ أبدلوها تاء، والظاّهر أنّهم أرادوا بها الدلالة على الملكية. وهناك من بالغ في ذلك كأهل الغزوات وفلاوسن وندرومة وعين الكبيرة؛ حيث أضافوا إليها لاحقة (يال) فقالوا: (دِيالْ)؛ قاصدين بها الزّيادة في تخصيص الملكية.

يستخدم أهل ترارة وبني سنوس (الهاء) لاصقة في فعل الأمر للحث على تنفيذ الحدث، فيقولون للشّخص مثلا: (هاكُولْ، وهاسْمَعْ)، وكأنّ الهاء ههنا جيء بها لتنبيه المتلقي إلى ما سيُطلب منه. وقد يُتبعون الهاء براء مفتوحة في نحو قولهم: (هَرَ) وهو فعل أمر المراد منه أعط ما في يديك، وقد يُبدلون الهاء همزة خالصة فيصير الفعل (أَرَ) ويكثر هذا الاستخدام بين الرّجال ولا تسمعه بين النساء[1].

يستعمل النّاطقون في مختلف جهات تلمسان الكاف لاصقة في مقدمة الفعل للدّلالة على حدوث فعل مشروط، فهم يقولون: (كِيْجي، كِيَكْمَل، كِيْسافرْ، كِياكُلْ) والمعنى الّذي تفيده الكاف ههنا (عندما يجيء، حينما يكمل أوإذا يسافر، أولما يأكل).

وانفردت قبائل أولاد رياح وزناتة وبني ورنيد بعامّة بالسّين لاصقة تتقدم الفعل في نحو قولهم: (سْتَحْفَلْ، وسْتْخَيّلْ، وسْتْقامْ)[2]؛ أي (احتفل، وتخيّل، وتقام). ولعلّ الغرض من استهلال الفعل بهذا الصّوت الصّفيري جلبُ انتباه السّامع وشده إلى ما يريد المتكلم إيصاله له، وقد اختاروا السّين؛ لأنها من أندى الأصوات سماعا لما فيها من الصّفير.

ويستعمل الناطقون في جهات مختلفة من الولاية وبخاصة ترارة بمناطقها المختلفة ممثَّلة في (الغزوات، والسّواحلية، وتونان، ودار يغمراسن، وهنين، وبني وارسوس، وجزءا من قبائل بني خلاد وندرومة، والعين الكبيرة، مسيردة التحاتة، وبني بوسعيد بالإضافة إلى جزء من سكان الحناية وزناتة وأولاد رياح) سابقة (الياء) في لفظ الأمّ، إذ المعروف أن معظم سكان منطقة تلمسان ينادون الأم

1– هذه الأمثلة من المادة المسجلة من أفواه الناطقين بها بمنطقة ترارة.

2– هذه الأفعال ذات سابقة السين مسموعة في منطوق هذه القبائل.

بقولهم: (مَاّ)، في حين انفرد سكان المناطق المذكورة بقولهم: (يَماّ)، ويبدو أن أصل هذه الياء مبدلة من الهمزة (أُمّ)، فقد أثرت كسرة الميم في ضمة الهمزة من قبيل التّأثير المدبر مع انفصال؛ فقلبت كسرة، ثم أبدلت الهمزة ياء لمناسبة الكسرة فأصبحت الكلمة: (يِمّا)، والذي دعاهم إلى هذا الصّنيع كثرة دوران اللّفظ على الألسنة؛ فاستعملوا أسهل الأصوات وأخفها.

الملاحظ في منطوق عاميات ولاية تلمسان استخدامهم لواحق في نهاية الكلمة للدلالة على معنى معين. من ذلك وصلهم الضمائر بلاحقة النّون، نحو قولهم: (نْتُومانْ وهُومَانْ)[1]، أي (أنتما وهما)، وذلك كما يشيع في منطوق تلمسان المدينة، بينما يستخدم أهل ترارة على اختلاف مناطقهم التكلّمات التالية: (خالْتَنْ، وخايَنْ، وبّايَنْ، ويَمّايَنْ، وعْگوزْتَنْ)[2]، والظّاهر أن هذه االنّون أُلحقت بأسماء في الأمثلة الأخيرة، غير أنها أتبعت بإضافة لتعيين المراد، نحو قولهم: (خالْتَنْ فْلانْ؛ أي: خالة فلان).

ويستخدم أهل هذه المناطق النون لاحقة لتأكيد الشّخص أوالمكان؛ فيلصقونها باسم الإشارة فيقولون: (تَمانِيِّ)؛ أي: الموضع نفسه، أو قد يلحقونها بضميري الغائب: المفرد المذكر والمؤنث فيقولون: (هُوانِيِّ)، أي هو بعينه، أو (هِيّاَني)؛ أي بعينها، وهناك من استخدمها في نهاية اسم الإشارة، في نحو قولهم: (هَكاّ) أي هكذا وقالوا أيضا: (هَكّانِيَ)، وسمعت بهذا التركيب في منطوق بني هديل.

وقد تجتمع النون المشدّدة المكسورة مع تاء ساكنة في نهاية الكلام، وذلك في مثل قولهم: (هُوَ نِّيتْ) أو (هِيَ نِّيتْ)[3] بمعنى (هو حقا أو هي حقا)، والمعنيون بهذا هم سكان المناطق الشّمالية؛ أي السّاحلية والدّاخلية المجاورة لها كهنين وبني وارسوس وندرومة وفلاوسن والغزوات والسواحلية وسوق التلاتا، أضف إلى هذا المناطق الشّمالية الغربية الّتي تقع على الحدود المغربية، فهم يشتركون مع المغاربة في هذا الاستخدامس: (نِّيتْ) ولها المعنى نفسه الّذي عندنا.

1- حسب النطق المحلي لأهالي تلمسان المدينة.

2- هذا النطق خاص بأهل ترارة.

3- هكذا سمعتها من أفواه الناطقين بها حسب التسجيل.

ويستخدم أهالي بني ورسوس الهاء لاحقة[1]؛ لتعيين اسم الإشارة (هنا وهناك) فيقولون: (هْناها)، أي هنا في هذا المكان، وإذا أشاروا إلى البعيد قالوا: (تَمّاها)، أي هنالك. وتلحق أيضا اسم الإشارة (هكذا) فيقولون: (هَكْتَها) بهمس الدّال وتحويلها إلى نظيرها أي التّاء، والظّاهر أن هذه اللاحقة لم تعرفها بقية المناطق الأخرى من سكان الولاية.

وتستخدم جهات من ولاية تلمسان لاحقة التاء للدلالة على جمع المؤنث السالم في نحو قولهم: (شّجْرات وخْواتاتْ وسَرْبيتاتْ)[2]، وتعد هذه التاء علامة زائدة لتأكيد التأنيث. والملاحظ ههنا أن الأعداد المؤنثة تبقى عند جميع سكان الولاية في صيغة المفرد أي (أربعة، تلاته، خمسه)، أما عند قبائل ترارة بمختلف بلدياتها المتمركزة في الشّمال والدّاخل، فإنّهم يجمعون هذه الأعداد أيضا بإضافة الألف والتّاء فيقولون: (تلاتات وربعات وخمسات).

واستُخدمت هذه التّاء لاحقة في بناء المصادر الخاصة، نحو قولهم: (تقدُّمْتْ، وتَكَبُّرْتْ، وتَيْهودِيتْ)[3]، وقد سمع هذا الاستعمال في المناطق الشّمالية والغربية والمناطق الدّاخلية بصفة عامة، ينضاف إليهم قبائل بني سنوس وبني بوسعيد، ويمكن إضافة مثالين آخرين سُمعا في هاتين المنطقتين وهما: (تَخْرَمِياتْ، تَفَهْمِيتْ)، ويقصد بهما (التقدم والتكبر والخبث في المعاملة).

وتستخدم الشّين لاحقة للدلالة على نفي الفعل في نحو قولهم: (ما مْشاشْ، وماكانْشْ، وما كْلاشْ، وما مْرَبيشْ، وما مْعَلَمْشْ، وما خَدّامْشْ)[4]، وقد اتفق الناطقون عبر تراب الولاية على استعمال هذه اللاحقة أداة للنفي، بل نستطيع أن نقول إنّ الشّين توظف للدّلالة المذكورة في الجزائر قاطبة، كما تستخدم هذه اللاحقة في لهجات أقطار عربية أخرى[5].

1- هذا النطق لم أسمعه إلّا في منطقة بني سنوس بقراها المختلفة.

2- هذا النطق سائد بكثرة في منطقة ترارة.

3- يسود هذا النطق مناطق ترارة وبني سنوس أيضا.

4- هذه اللاحقة شائعة في المنطوق الجزائري في جل الولايات.

5- ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللُّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 135- 137.

وتجنح جهات من ولاية تلمسان إلى إلحاق الياء بعد ضمير المتكلم المفرد (أنا) للتأكيد، فيقولون: (أنايا) وبعد ضمير جمع المتكلمين (حْنا)، فتسمع (حْنايا) أي (نحن)، وقد يتوسعون في استخدامها للدلالة على المكان، نحو (هنا) التي تصبح على لسانهم: (هْنايَ)[1]، وقد انتشر هذا الاستعمال في كثير من مناطق تلمسان وبخاصة الدّاخلية كسبدو، وصبرة، وعين غرابة، وبني هديل، والشّولي، والمناطق الشّرقية كالرمشي، وعين يوسف، وسبعة شيوخ، وعين تالوت، وأولاد ميمون، وعين نحالة، وعند أهالي المناطق الجنوبية بكاملها.

خلاصة:

هذه مجمل العادات الكلامية الّتي تم رصدها في منطوق عاميات ولاية تلمسان، والملاحظ أن هذه الاستخدمات الّتي اعتادها التّلمسانيون في مختلف مناطقهم الهدف منها الاقتصاد اللُّغوي؛ أي: محاولة الاقتصار على الحد الأدنى من الجهد المبذول مع المحافظة على أمن اللّبس. والظّاهر أنّ البنيات الصّوتية الّتي آثرها التّلمسانيون لتحقيق أغراضهم النّطقية تتناسب وما تجيزه الدّراسات الصّوتية الحديثة.

1- هذا حسب المنطوق المسجل في المناطق المذكورة.

خاتمـــــــــــة

لكل بداية نهاية، ونهاية البداية هنا خاتمة الرّحلة الّتي قادتني إلى دراسة الأصوات اللّغوية والتّغيرات الصّوتية الّتي طرأت عليها.

– فانطوى هذا البحث على دراسة ظاهرة منتشرة بين مختلف طبقات المجتمع بصفة عامة، وهي ظاهرة التّعددية اللُّغوية والّتي تمثل نقطة التقاء بين الأنظمة اللّغوية على المستوى الصّوتي والصرفي والنّحوي والدّلالي، ولقد حاولنا أن نضع أيدينا على نقاط التّشابه والاختلاف بين هذه الأنظمة ومنه نكون قد استنبطنا مجموعة من النّتائج أهمها:

- إن التّعدد اللّغوي يعتبر ظاهرة سلبية أكثر منها إيجابية تعيق عملية التّعلم والنّطق السّليم.
- إن الثّنائية اللُّغوية ظاهرة طبيعية موجودة في جميع اللّغات، وهو موجود مستويين لغويين؛ مستوى الفصحى ومستوى العامية، وهذا الأخير ذا صلة متينة بالفصحى في قوانينها العامة الصّوتية والصّرفية والنّحوية والدّلالية.
- تؤثر اللُّغة الأم (العامية) على تعليمية اللُّغة الأولى واللُّغة الثّانية عند المتعلمين، ويبرز ذلك في تعابيرهم الشّفهية والكتابية.
- إنّ إتقان المتعلم للغته الأولى يسهل عليه الانتقال إلى اللُّغة الثّانية.
- اللُّغة واللَّهجة عنصران فعّالان في حياة الفرد، حيث لا يمكن الاستغناء عن أحدهما، فاللّغة الفصحى واللّهجات تعيش جنبا إلى جنب في المجتمع، وتؤدي كل واحدة الوظيفة المنوطة بها، وللإنسان ذاته يد في أحداث هذه اللّهجات حيث تتغيّر ظروفه ويعتريها التّبدل، خاصة مع مرور الأجيال والعصور.
- التّغيرات الصّوتية الّتي طرأت على الأصوات اللُّغوية عند التّلمسانيين لم تأت خبط عشواء، وإنما جاءت وفقا لمظاهر ساعدت على حصولها، وذلك من جراء ميل الناس إلى السّهولة وطلب التّخفيف، والاقتصاد في الجهد العضلي، وقساوة الظّروف الطبّيعية وكذلك ما يورثه الآباء إلى أبنائهم.

- معظم الخصائص اللُّغوية المميزة لولاية تلمسان ترجع إلى ظواهر لهجية قديمة، ظهرت في لهجات اليمن وفي مناطق من الإمارات العربية مما يؤكد على العلاقة الوثيقة بين اللّهجات القديمة واللّهجات الحديثة.
- إن الصّلة قوية بين قديم اللّهجة وحديثها بالمقدار الّذي احتفظت به هذه الأخيرة من صفات لهجية قبلية قديمة، فمعظم الألفاظ ذات أصل عربي فصيح حيث تستمد غالبية لهجات العوام من الفصحى.

ولكلّ شيء إذا ما تم نقصان

وما توفيقي إلاّ بالله

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش

المصادر والمراجع العربيّة:

1- الكتب:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 4، 1971م.
2. إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط: 09، 1995م.
3. إبراهيم السّامرائي، التّطور اللُّغوي التّاريخي، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط: 2، 1983م.
4. ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، دط، دت.
5. أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللُّغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1997م.
6. أحمد بنعمان، التّعريب بين المبدأ والتّطبيق، شركة دار الأمّة للطّباعة والتّرجمة والنّشر والتّوزيع، ط: 02، 1998م.
7. أحمد عبد الرّحمان حماد، الخصائص الصّوتية في لهجة الإمارات العربية، دراسة لغوية ميدانية، دار المعرفة الجامعية، دط، دت.
8. أحمد علام الدّين الجندي، اللّهجات العربيّة في التّراث في النّظامين النّحوي والصّرفي، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا، تونس، دط، 1978م.
9. أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللغوي، عالم الكتب، ط: 3، 1405هـ-1985م.
10. إسماعيل أحمد عمايرة، تطبيقات في المناهج اللُّغوية، دار وائل للطّباعة والنّشر، ط: 1، 2000م.
11.
12. أبو إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللُّغة وصحاح العربيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1999م.

13. إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984م.
14. أمين الخولي، مشكلات حياتنا اليومية، الهيئة المعربة العامة للكتاب، دط،1987م.
15. ابن الأنباري أبو بكر، المذكر والمؤنث، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دطّ، 1981.
16. أندريه مارتيني، مبادئ في اللّسانيات العامّة، ترجمة: سعدي زبير، دار الأفاق، دط، دت.
17. أنطوان الهاشم، اضطرابات اللّغة "ديدينه بورو"، منشورات عويدان، بيروت، لبنان، ط: 02، 1996م.
18. أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل لبنان، ط: 01، 1989م.
19. أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، المكتبة الجامعيّة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط: 01، 1973م.
20. أيوب عمرو بن العلاء، أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي، عبد الصبور شاهين،
21. برجشتراسر، التّطور النّحوي للغّة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعي، الرياض، دط، 1402هـ -1982م.
22. بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، ط: 03، 1998م.
23. بريتل مالمبرج، الصّوتيات، ترجمة: محمد هليل، عين الدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دط، 1994م.
24. توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللُّغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 1، 1400هـ-1980م.
25. التّيجني بن عيسى، الأصوات اللُّغويّة في لهجة تلمسان، مؤسسة بختي للإعلام الآلي تلمسان، ط: 1، 1994م.
26. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تقديم وتعليق: جمال الدّين محمد شرف، دار الصّحابة للتّراث، طنطا، ط1، 2002م.
27. ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، المكتبة العلميّة، ط: 2، 1956م.
28. ابن جني، التّصريف الملوكي، تحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثّقافية، بيروت، لبنان، 2005م.

29. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1986م.
30. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2.
31. ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1999م.
32. جودة الرّكابي، طرق تدريس اللّغة العربية، دار الفكر، دمشق، ط2، دت.
33. جولييت غارمدي، اللّسانيات الاجتماعيّة، عرّبه: خليل أحمد خليل، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط: 01، 1990م.
34. الحاج رمضان شاوش، باقة السّوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 1983م.
35. حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة، ط: 1، 1425هـ-2004م.
36. حسام سعيد النعيمي، الدّراسات اللّهجية والصّوتية عند ابن جني، دار الطّليعة بيروت، دت.
37. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: عبد السّلام هارون، مقاييس اللُّغة، دار الفكر، بيروت، دط، دت.
38. ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د.ت، د.ط
39. ابن خلدون، المقدّمة، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللّبناني للطّباعة والنشر، ط: 03، 1967م.
40. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2003م.

41. رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدّلالة والمعجم، دار الغريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 2001م.
42. رشدي أحمد طعيمة ،محمود كامل النافة، اللُّغة العربية والتّفاهم العالمي، دار الميسرة والتّوزيع، عمان، دط، دت.
43. رمضان عبد التّواب، بحوث ومقالات في اللغُّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعي، الرّياض، دط، 1982م.
44. رمضان عبد التّواب، التّطور اللُّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي الرياض، ط: 1، 1404هـ-1983م.
45. رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرّفاعي، الرّياض، ط: 2، 1990.
46. رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، ط: 01، 1982م.
47. رياض قاسم، اتّجاهات البحث اللُّغوي في العالم العربي، مؤسسة نوفل، لبنان، بيروت، ط: 01، 1982م.
48. الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عليشيتري، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1994م.
49. زبير دراقي، محاضرات في اللّسانيات التّاريخيّة العامّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، دت.
50. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ترجمة: كمال بشر، شركة مطابع الطناني، ط: 2، 1996م.
51. ابن السّكيت، إصلاح المنطق، شرح وتحقيق: أحمد محمد ستار وعبد السّلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط4، دت.
52. سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1411هـ-1991م.

53. السّيوطي جلال الدّين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 2003م.
54. السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 2004 م.
55. السّيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل، إبراهيم محمد علي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، دت.
56. شحدة فارغ وآخرون، مقدّمة في اللّغويات المعاصرة، وائل للطّباعة والنشر، ط: 01، 2000م.
57. شوقي النّجار، الهمزة: مشكلاتها وعلاجها، منشورات دار الرّفاعي للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ط: 1، 1404هـ-1984م.
58. صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التّطبيقيّة، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، دط، 2003م.
59. صلاح الدّين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات –دراسة مقارنة–، دار الاتحاد العربي للطّباعة، ط: 1، 1981م.
60. الصّياد فؤاد عبد المعطي، القواعد والنّصوص الفارسية، بيروت، ط: 2، 1970م.
61. أبو الطّيب اللُّغوي، كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدّين التّنوخي، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق، دط، 1960.
62. عاطف مدكور، علم اللُّغة بين التّراث والمعاصرة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 1987م.
63. أبو العباس، المقتضب، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1999م.
64. عبد الجليل مرتاض، اللُّغة والتّواصل (اقترابات لسانية للتّواصلين الشّفهي والكتابي)، دار هومة للطّباعة والنشر والتوزيع الجزائر، دط، دت.
65. عبد الحميد حاجيات، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، دط، 1980م.

66. عبد الرحّمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر، دار الكتاب لبناني للطباعة والنشر، 1946م.
67. عبد الرّحمان الحاج صالح، العاميات العربية ولغة التّخاطب الفصيحة، أعمال الندوة الدولية، الفصحى، الفصحى وعاميتها: لغة التّخاطب بين بين التّقريب والتّهذيب، 2007م، الجزائر.
68. عبد الرّحمان محمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982م.
69. عبد الصّبور شاهين، في علم اللُّغة العام، بيروت، ط: 04، 1404هـ-1984م.
70. عبد العزيز مطر، تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان، القاهرة، دط، 1425هـ-2004م.
71. عبد العزيز مطر، لحن العامة، القاهرة، ط: 2، 1981م.
72. عبد العزيز مطر، لهجة البدو في السّاحل الشّمالي لجمهورية مصر العربية، دار المعارف، دط، 1981م.
73. عبد الغفار حامد هلال، علم اللُّغة بين القديم والحديث، دار الثّقافة والنّشر والتّوزيع، دط، دت.
74. عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطور، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
75. عبد الفتاح محمد، الفصيح في اللُّغة والنّحو حتى أواخر القرن الرّابع الهجري، ط: 01، دت.
76. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللُّغوية، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط: 1، 1998م-1418هـ.
77. عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب: تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطّباعة والنّشر، القاهرة، 1968م.
78. عبده الرّاجحي، فقه اللُّغة في الكتب العربية، دار النهضة العربيّة، دط، 1972م.
79. عبده الرّاجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعيّة للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة، دط، 1996م.

80. عبد الواحد المراكش، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م.
81. عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، دار نهضة، مصر للطّبع والنّشر، ط: 7، 1967م.
82. عبد الوهاب السّيد عوض الله، محمد عبد العزيز القلماوي، مجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط، شركة الإعلانات الشّرقية، 1985م.
83. عثمان سعدي، اللُّغة العربية واللّهجات المتفرعة عنها:مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده، الجزائر، دط، 2007م،
84. ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، دط، 1987م.
85. علي عبد الواحد وافي، علم اللُّغة، نهضة مصر للطّبع والنّشر، ط: 6، 1387هـ-1967م.
86. علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، الفجّالة، القاهرة، ط: 07، 1973م.
87. علي عبد الواحد وافي، اللُّغة والمجتمع، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر، القاهرة، دط، دت.
88. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، دط، 1400هـ-1980م.
89. غوتي شريف، شجرة تلمسان، المطبعة الجهوية صاري، 1993م.
90. فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف الغازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطّباعة، دط، دت.
91. فندريس، اللُّغة، ترجمة: عبد الحميد الدّواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجان البيان العربي، دط، 1950م.
92. فوزي حسن شايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط: 1، 1425هـ-2004م.

93. أبو القاسم الزّجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن مبارك، مكتبة دار العروبة، القاهرة، دط، 1909م.
94. كمال بشر، علم اللُّغة العام –الأصوات–، دار المعارف، مصر، 1980م.
95. ماجد الصابغ، الأخطاء الشّائعة وأثرها في تطور اللُّغة العربية، دار الفكر اللّبناني، بيروت، ط: 1، 1990م.
96. ماريو باي، أسس علم اللُّغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط: 3، 1408هـ-1987م.
97. مازن واعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيات الحديث، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط: 1، 1988م.
98. المبرد أبو العباس، الكامل في اللُّغة والأدب، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م.
99. المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط.
100. مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، جمهوريّة مصر العربيّة، ط: 04، 2004م.
101. محمد الأنطاكي، ينظر: الوجيز في قفه اللُّغة، مكتبة دار الشّرق، بيروت، ط: 3، 1389هـ-1969م.
102. محمد بن أبي السّرور الصّديق الشّافعي، القول المقتضب: فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، تحقيق: السّيد إبراهيم سالم، راجعه وقدم له: إبراهيم الأبياري، المؤسسة المصرية العامة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، دط، دت.
103. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 01، 1979م.
104. محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر المؤسسة الوطنيّة للكتاب –الجزائر–، 1985م.

105. محمّد توفيق شاهين، النّحت في اللُّغة، عوامل تنمية اللّغة العربيّة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 01، 1400هـ-1980م.
106. محمّد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللّغويّة الحديثة في اللّغة العربيّة، معجم عربي أعجمي، وأعجمي عربي، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1987م.
107. محمد رمضان الشّاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1995م.
108. محمد صالح الشّنبطي وآخرون، فعاليات النّدوة العامة لمعالجة ظاهرة الضّعف اللّغوي، دار الأندلس للنّشر والتّوزيع، المملكة العربية السّعودية، حائل، ط1، 1994م.
109. أبو محمد عبد الله بن السّيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، حامد عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1981م.
110. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثّنائية اللّغوية، دار الفلاح للنّشر والتّوزيع، الأردن، دط، 2002م.
111. محمد عيد، المستوى اللُّغوي للفصحى واللّهجات والنّثر والشّعر، دار الثّقافة العربيّة للطّباعة، القاهرة، 1981م.
112. محمد مبارك، فقه اللُّغة وخصائص العربية –دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التّجديد والتّوليد، دار الفكر، ط: 5، 1392هـ-1972م.
113. محمود فهمي حجازي، علم اللُّغة العربية: مدخل تاريخي في ضوء التّراث واللّغات السّامية، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دط، دت.
114. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، القاهرة، دط، دت، 1987م.
115. ميشال زكرياء، الألسنية: المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 2، 1304هـ-1983م.
116. ابن مريم الرّيف المليانى المديوني التّلمساني، البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 1980م.
117. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط: 03، 1994م.

118. نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، عالم المعرفة، ط: 03، 1979م.
119. نسيمة ربيعة جعفري، الخطأ اللّغوي في المدرسة الأساسية الجزائرية مشكلاته وحلوله، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.
120. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة الإسكندرية، دط، 2002م.
121. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللّغوية، علّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية لبنان، ط: 01، 2000م.
122. ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر للطّباعة والنّشر، د ط، د ب.

2- المجلات:

1. أمينة طيبي، المصطلح اللّهجي الأصيل في التّراث اللُّغوي، مجلة المصطلح، تلمسان، 2005، العدد: 3.
2. التّبدل الصّوتي في لهجة توانت القديمة، مجلة المعرفة، العدد 574 السنة 50 عام جويلية 2011.
3. جميلة عابد أبو معلم، أبعاد الازدواج اللّغوي في تعليم العربية للناطقين بغيرها: دراسة تحليلية إحصائية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد: 42، ملحق 2، 2015م.
4. حنان إسماعيل عمايرة، الازدواجية والخطأ اللغوي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد: 34، العدد: 01، 2007م.
5. أبو الرّب توفيق، أصالة لغوية في اللّهجات الأردنية، مجلة العربي، مجلة ثقافية تصدر عن دولة الكويت، العدد: 287.
6. سعزوزن سمير، التّداخل الصّوتي بين العربية والفرنسية في السّنة الثّالثة من التّعليم الابتدائي الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدّراسات، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف، ميلة، الجزائر، المجلد: 4، العدد: 1، جوان 2018م.

7. صالح بلعيد، اللُّغة الأم والواقع اللُّغوي في الجزائر، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد: 9، 2003م.
8. عبد المنعم سيد عبد العال، اللغُّة العربيّة عاميتها والفصحى، مجلة العربي، طبعة 1976م.
9. علي القاسمي، التّداخل اللّغوي والتّحول اللّغوي، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد: 01، 2010م.

3- المذكرات والرّسائل الجامعية:

10. آمنة عبد المالك، مصطلحات الدّراسة الصّوتية في التّراث العربي (دراسة وتقويم)، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في فقه اللغة، جامعة الجزائر معهد اللغة والأدب العربي، 1987م.
11. أحمد قريش، لهجة تيانت، رسالة تقدم بها الطّالب لنيل شهادة الدّكتوراة في اللّغة، جامعة تلمسان، الجزائر2010م.
12. التيجيني بن عيسى، حول تحول صوت الهمزة إلى قاف، ينظر: لهجة تلمسان وعلاقتها بالعربية الفصحى، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد اللغُّة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 1990-1991م.
13. تجيني بن عيسى، لهجة تلمسان، رسالة تقدم بها الطّالب لنيل شهادة الماجستير في اللُّغة، جامعة تلمسان.
14. جيلالي بن يشو، الخطابات اللّهجية في منطقة ترارة دراسة صوتية ومورفولوجية، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في علم اللّهجات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1999-2000م.
15. حل محمد باسل، المعرب والدّخيل في اللُّغة العربية، بحث مقدم لنيل شهادة الدّكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، 2002م.
16. خالد عبد السّلام، دور اللُّغة الأم في تعلم اللُّغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية بالمدرسة الجزائرية، أطروحة مقدمة بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم علم النفس وعلوم التربية

والأرطوفونيا لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012،2011م.

17. رحمون حكيم، مستويات استعمال اللغة العربية –بين الواقع والبديل- مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود معمري - تيزي وزو - الجزائر، 2011م.

18. الطّيب شيباني، استراتيجية التّواصل اللّغوي في تعليم وتعلّم اللّغة العربيّة (دراسة تداوليّة)، مذكرة ماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009-2010م.

19. عبد الجليل مرتاض، دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة، رسالة دكتوراه في اللّسانيات غير منشورة، جامعة تلمسان، معهد اللغة والأدب العربي، 1414هـ-1994م.

20. عبد الحميد بوترعة، واقع الصّحافة الجزائرية في ظل التّعددية اللّغوية: الخبر اليومي والشّروق اليومي والجديد اليومي نماذجا، مجلة الدراسات.

21. قدور نبيلة، التّداخل اللُّغوي بين العربية والفرنسية وأثره في العملية التّعليمية، اللُّغة الفرنسية في قسم اللُّغة العربية وأدائها، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير لغويات، جامعة منتوري قسنطينة، 2005/2006م.

22. كمال بن جعفر، استعمال اللُّغة العربية في التدريس بالجامعة الجزائرية بين الواقع والمأمول، كلية الحقوق بجامعة بجاية أنموذجا، دراسة سوسيو لسانية، جامعة عبد الرّحمان ميرة، بجاية، الجزائر.

23. ليلى صديق، احتكاك اللّغات وأثره في التّطور اللغوي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

24. نادية بوقادوم، تأثير العاميّة التّلمسانيّة باللُّغة التركّيّة، رسالة ماجستير في علم اللّهجات، 2000-2001م.

25. نجوى فيران، لغة التّخاطب العلمي الجامعي – دراسة سوسيو لغوية – جامعة سطيف أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة محمد لمين دباغين – دباغين- سطيف 2، 2016/2017م.

26. هشام خالدي، القاف والكاف في عاميّة تلمسان، رسالة ماجستير في علم اللّهجات، 2000-2001م.

المصادر والمراجع الأجنبيّة (اللّغة الفرنسية):

1. Ferdinand De Saussure ،Cours de Linguistique Générale ،Edition Talantikit ،2002

2. In introduction to the theorical linguistics- lyons jones combridge university press.

3. miguel de toro y Gisbert ،dictionnaire larouse ،de poche billingue ، frainçais-espagnol ،librairie la rouse ،1968 ،paris ،p2680.

4. parisyulgaci ،grand dictionnaire rurc-francais ،3eme edition ، librairie inkilapaka ،Istanboul،1984 ،

5. Peter Trudgil ،Sociolinguistique ،An Introduction to language and Society ،Penguin books ،3 th ،1995.

6. Pier Paolo Giglioli ،language and social context ،Penguin book ، 1990.

7. -R.Galisson/D.Coste ،Dictionnaire de Didactique des langue ، librairie ،Hachette ،1976

الملاحق

الملاحق:

الألفاظ المتداولة في منطوق تلمسان الحضري:

1/الألفاظ البربريّة:

زَلِّيفْ[1]: في الأصل أزليف، فحذفت الهمزة للتّخفيف في النطق ومعناه رأس الخروف.

فرطَطُّو: في الأصل أفرطو، فحذفت الهمزة أيضا ومعناه الفراشة.

زَاوَشْ: بمعنى الفراشة.

ڤرجوم[2]: وأصل الكلمة أقرجوم، فحذفت الهمزة للتّخفيف أيضا ومعناها البلعوم.

فلاوسن[3]: من أفلا بمعنى فوق وأعلى، وأوسن بمعنى قرية.

مَزوارْ: معناها الطّفل الأكبر أو الأول في العائلة.

مازوزي: في الأصل البربري تعني الطّفل الأخير؛ أي الصّغير في الأسرة ونجد المعنى نفسه في منطوق تلمسان الحضري.

بغرير: وهو نوع من الحلويات.

2/الألفاظ الإسبانيّة:

سبَّاط: أصل الكلمة (zapato) فوقع التّحريف فيها، فأصبحت تنطق بالسّين بدلا من الزّاي وهي الحذاء ويعتقد أنها مأخوذة من العربية وهي محرّفة وتعني السبت أي النعل المدبوغ[4]، وقد جاء في القاموس السبت هو جلد مدبوغ[5].

بوڤَادو: أصلها (abogado) فحذفت (a) وهو المحامي الّذي يرافع عن المتهم.

دورو(douro) : وهي عملة نقدية إسبانية قيمتها 5 بسيتس (pestas)

1- معلومة من الأستاذ أوحساين، أستاذ الأمازيغيّة بمعهد الثقافة الاجتماعيّة.

2- المرجع نفسه.

3- وهي اسم منطقة بتلمسان قريبة من مدينة ندرومة

4- د.عبد المنعم سيد عبد العال، اللغة العربيّة عاميتها والفصحى، مجلة العربي، طبعة 1976م، ص: 37.

5- القاموس الجديد للطلاب، ص: 450.

مَاريُو: أصلها (armario) فحذفت (ar) وهي الخزانة الّتي تحفظ فيها الملابس.

قْمَجّة: أصلها[1](camisa) فوقع التّحريف فيها ومعناها القميص.

3/الألفاظ التركيّة:

أ/أسماء الأعلام:

أكل[2](**akli**): ومعناه ذو اللّون الأبيض.

أليجي[3](**alayci**): بمعنى السّاخر.

أرصلان(**arslan**)[4] : ومعناه في الأصل التّركي نقش قضي أو مزيت بقماش السّاتان.

أفندي(**efendi**): له معان عديدة وتطلق:

- على أمراء الملوك.
- على وزير الشّؤون الدينية.
- على كل من كانوا ينتمون إلى الطّبقة المتوسطة أو غير المسلمين.
- على كل جنود الجيش البري والبحري حتى مرتبة lieutenant colonel أي عقيد ملازم.
- على الأستاذ أو المدرس.

إنال(inal)[5] : بمعنى رجل موثوق به، والمعنى الثّاني هو مستشار أو سيد.

بوكلي(**bukle**) :بمعنى شعر مجعد يصفف على شكل أقواس، ونجد المعنى نفسه في اللُّغة الفرنسية boucler)

---

1 - miguel de toro y Gisbert, dictionnaire larouse, de poche billingue, frainçais-espagnol, librairie la rouse, 1968, paris, p2680.

2 - paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, 3eme edition, librairie inkilapaka, Istanboul,1984, p 25

3- المرجع نفسه، ص: 30.

4- المرجع نفسه، ص: 53.

5- المرجع نفسه، ص: 66.

باربار(berber)[1] :تعني هذه الكلمة في اللُّغة التركية حلاق الذّقون أو الحلاق، كما نجد في اللُّغة الفرنسية كلمة (berbere) وهي التّسمية الّتي تطلق على السّكان الأصليين لشمالي إفريقيا.

بابا(baba)[2]: بمعنى الأب أو السّيد أو الرّجل الّذي عمل الكثير من أجل مصلحة شعب أو طبقة اجتماعية.

بارودي(barudi)[3]: بمعنى لون البارود؛ أي اللّون الرّمادي الفضي.

بندي(bendi)[4]: بمعنى العبد.

- مخلوق.
- عبد الإله.

بركات(berket)[5] :ولها معنيان:

- التّخلي.
- التركة، وقد تكون الكلمة ذات أصل عربي من البركة.

حصار(hasar)[6]: بمعنى الخسارة والحسرة، وربما أخذت الكلمة من العربية "حسرة"، فقلبت السّين صادا في اللّغة العربيّة، ونلاحظ أن التركية أخذت أيضا من اللُّغة العربية كلمات، وهذا طبعًا راجع للاحتكاك اللُّغوي الَّذي كان موجودا في تلك الزّمنية من العهد التركي.

دالي(deli)[7]: بمعنى غصن من شجر العنب (الدّالية).

---

1 -paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p357.

2- نفسه، ص: 124.

3- نفسه، ص: 73.

4- نفسه، ص: 84.

5- نفسه، ص: 439

6- نفسه، ص: 321.

7- نفسه، ص: 57.

ساري(sari)[1] :هو اللّون الأصفر أو الرّجل الأشقر.

سقا(SAKAL)[2]: بقلب القاف همزة في منطوق تلمسان الحضري (سال)، ويقصد بالكلمة اللّحية.

ساسي(SASI)[3] :ويقصد بالكلمة الرّجل ذا الرّائحة الكريهة، وتطلق على كل شيء فاسد.

بن تشك (Buçuk)[4]: ومعنى الكلمة الذّيل.

بن عصمان(asman)[5]: بمعنى مدة خمس سنوات.

قارة(kara)[6]: بقلب القاف همزة في منطوق تلمسان الحضري (آر) والكلمة لها عدة معانٍ:

- أرض مغلقة.
- لون أسود.
- حزين.
- ظلام.
- عجيبوسر.

كازي وبن قازي(kazi)[7]: بمعنى الحفرة، يقلب القاف همزة في منطوق تلمسان الحضري.

قهواجي(kahwaci)[8]: تعني الكلمة صاحب المقهى أو بائع القهوة أو موزعها.

قليجي(kalayci)[9] :ومعنى الكلمة في اللُّغة التركّية صانع القصدير مفاتيح القصدير

---

1 -1 -paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p594

2- نفسه، ص: 587.

3- نفسه، ص: 595.

4- نفسه، ص: 179.

5- نفسه، ص: 58.

6- نفسه، ص: 398.

7- نفسه، ص: 404.

8- عرفت اللغة التركية بزيادة (جي) في آخر الأسماء وخاصة في الحروف.

9 - paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 541.

قلفاط وبن قلفاط (kalfat) : بمعنى دهان البواخر، وتنطق القاف همزة (بن ألفاط)

قيسي(kesi)[1]: لها ثلاث معان:

- قطعة قماش.
- إتمام عمل على أحسن وجه.
- كمية محددة من البارود.

كروغلي(koroglu): معنى الكلمة في اللُّغة التركية الزّوجة.

قورصو (KURSU): ولها عدة معان:

- مهنة التّدريس.
- الطّبقة العليا.
- المهم.
- والأساس.

مهتار(MEHTAR)[2]: اسم الموسيقى العسكرية و(MUHTAR) تعني الشّخص الّذي يدير شؤون القرية أو الحارة.

مصلي(MESLI)[3]: وتحمل ثلاثة معان:

- مشكل.
- سؤال.
- صفقة.

نهاري(NEHARI)[4]:معناه خارجي، ولهذه الكلمة أصل عربي نسبة إلى قبيلة أولاد نهار.

1- paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 410.

2- نفسه، ص: 476.

3- نفسه، ص: 481.

4- السابق، ص: 511.

يادي (YEDI)[1]:بمعنى الأجنبي أو الغريب.

عياشي(Laçe)[2]: أي الّذي يوزع المؤن والأغذية.

إسطنبولي(istambuli) : اسم واضح نسبة إلى مدينة إسطنبول.

برصالي(bursali) : هو الشّخص الّذي ينتسب إلى مدينة بورصة.

ب/ تعابير اجتماعية:

آسم(acem)[3]: تعني في منطوق تلمسان الحضري ماذا ؟ فيقول أهل تلمسان مثلا: "آسم كاين؟" بمعنى ماذا هناك ؟ والمعنى في اللّغة التركّية هي نقطة موسيقية أو نغمة.

بليم(bilim)[4]: يستعمل أهل تلمسان هذه الكلمة للقسم، فيقولون مثلا: "بليم حق ربي"، بمعنى أقسم بالله، والكلمة في اللُّغة التركّية تعني علم أو معرفة.

بَلِ أو بَدِ(bedi–beli)[5]: يستعمل أهل تلمسان كلتا الكلمتين، فيقولون مثلا: "ريك على بالك بد ما جاتش"؛ أي أنت تعلم أنّها لم تحضر، فالكلمة الّتي أبدلت باللّام عوضًا من الدّال عند الحضر تعني في اللُّغة التركية: شيئًا معروفًا، واضحًا، بالطّبع ومحدّدا.

باش(baç)[6]: تفيد هذه الكلمة في منطوق تلمسان الحضري الهدف، فيقولون مثلا: "باش جيت بلكشايف"، ومعناها أنني أتيت بعد معاناة، وفي اللُّغة التركية معناها حقوق الجمارك أو الدّمغة ونعتقد أن الكلمة محرفة من بأي شيء.

حي: يستعمل أهل تلمسان هذه الكلمة للتّحسر، فيقولون مثلا: "يا حي عل زهر" بمعنى يا حسرتي على حظي وهي توحي بالاكتفاء في اللُّغة التّركية.

1- paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, P782.

2- نفسه، ص: 354.

3- نفسه، ص: 13.

4- نفسه، ص: 103.

5- نفسه، ص: 97.

6- نفسه، ص: 74.

شيش (sis)[1] :والكلمة تستعمل في لعبة، ولكنها عند أهل تلمسان الحضري تستعمل للمراهنة على شيء ما ومعناها في التركّية المتكبر السّمين أو المنتفخ.

شو(su)[2]: بمعنى: انظر، ونظن أن الكلمة عربية شاف يشوف شوفا بمعنى نظر.

فئعة(facaat)[3] :تعني هذه الكلمة عند أهل تلمسان الفرع على شيء ما فيقولون: "فئعتني"، بمعنى أفزعتني، وتعني في اللّغة التركّية الشّيء الرّهيب أو سلوكا فظيعا.

قوندة (kunda)[4]: بقلب القاف همزة في منطوق تلمسان الحضري، فيستعمل أهل تلمسان هذه الكلمة للدّلالة على شخص غير جميل وتعني في اللُّغة التركّية عنكبوتا لاذعًا، وأيضًا اسم قرية صغيرة بمدينة تلمسان بالقرب من بوهناق.

كية(KIYA)[5]: تعني عند أهل تلمسان الحضر الفاجعة فهم يقولون مثلا: "يعطيك حلكية"، وفي اللُّغة التركّية تعني جريمة، ويعتقد أنها مأخوذة من اللُّغة العربية، فقد جاء في القاموس: كوى يكوي كيا والكية: موضع الكي[6].

كي:[7]**(KI)** يقصد بها عند أهل تلمسان الحضر (عندما، لما، مثلما)، وفي اللُّغة التركّية لها معان عديدة، الّذي، أي، الّتي، أين.

ج/أسماء الألبسة:

القاط:[8]**(KAT)** معنى الكلمة في الأصل التّركي لباس مطرز بخيط ذهبي تلبسه العروس.

---

1 -paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 170.

2- نفسه، ص: 671.

3- ، ص: 274.

4- نفسه، ص: 442.

5- نفسه، ص: 418.

6- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 926.

7 - paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 420.

8- نفسه، ص: 398.

بشماق (Baçmak)[1]: بنطق القاف همزة في منطوق تلمسان الحضري، وهو نوع من الأحذية الخفيفة تلبسها النساء في المناسبات والأفراح، والمعنى نفسه في اللُّغة التّركية.

كتان (keten)[2]: ومعناها في منطوق تلمسان الحضري القماش، وفي اللّغة التّركية الحرير.

قرفطان(kaftan)[3]: هو لباس مطرز بالذّهب خاص بالعروس الّتي ترتديه يوم زفافها، أما في اللُّغة التّركية فهو لباس للسّلاطين.

د/أسماء المأكولات:

بوراك(borek)[4]: بمعنى العجينة، وهي عند أهل تلمسان، أكلة تحش باللّحم المفروم ثم تقلى.

قطايف (katayif) : وهي عجينة ترفق وتجفف ثم تصنع بها أطباقا متعدّدة.

صامصة(samsa)[5]: هي نوع من الحلويات اللّذيذة تحش بالتّمر أو بأحد المكسرات، ثم تقلى وتعمل، وقد اشتهر بهاالأتراك دون غيرهم.

هـ/أشياء وأعمال منزلية:

دبارة(dubara)[6]: هي مكان توضع فيه الأشياء البالية والمستغنى عنها، والمعنى نفسه في اللُّغة التّركية.

السّينية(sinique)[7]: وهي ذلك الطّبق المعدني الّذي يوضع فوقه طاقم شرب القهوة أو الشّاي.

سطرمية(estermek) :هي نوع من الوسادات الدّائرية الشّكل الانتفاخ.

1- معلومة من الأستاذ معروف.

2 -paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 412.

3- نفسه، ص: 378.

4- نفسه، ص: 122.

5- نفسه، ص: 377.

6- نفسه، ص: 238.

7- نفسه، ص: 266.

تشنشانة[1](**çançan**): لعبة خاصة بالأطفال الرّضع، وعلى أشكال عدّة، وتوضع بداخلها أشكال صغيرة تصدر أصواتًا عند تحريكها للطّفل، والكلمة في اللُّغة التّركية تعني الشّخص الّذي يتكلّم كثيرا أو الثّرثار.

تشرشيفة(**çerçeve**)[2]: تعني هذه الكلمة في منطوق تلمسان الحضري ذلك المحيط الدّائري الّذي يحيط بالأغطية أو الألبسة، وتعني في اللُّغة التّركية إطارًا توضع فيه لوحات أو أعمال كالطّرز والمنتفخة، وتعني في اللّغة التّركية الانتفاخ.

تشرشيق أو تشرشير: هناك من يقول من أهل تلمسان تشرشير؛ بمعنى تدفق الماء وسيلانه، فيقولون مثلا (لما ريه يشرشر) بمعنى الماء غزير، أمّا كلمة (تشرشيق) بالهمزة بدلا من القاف، فتعني سكب الماء على الأرض للتّنظيف، وهاتان الكلمتان مأخوذتان من اللُّغة التّركية[3](çirçir)؛ بمعنى المنبع الصّغير للماء.

و/أشياء خاصة بالحمام:

كاسه(**kese**)[4]: تستعمل لحك الجلد وغسله عند الاستحمام، وهي من أصل تركي وتعني كيسًا صغيرًا مصنوعا من قماش خشين.

فوطة(**futa**)[5]: هي نوع من أقمشة النيلون، وهو لباس للخروج من الحمام وترتديه النسوة خاصة.

برنوس (**bormuz**)[6]: بمعنى لباس، ولكن في منطوق تلمسان الحضري؛ يعني البرد الّذي يرتديه الشّيوخ، كما يعني أيضا sortie de bain وهو اللّباس الّذي يستعمل للخروج من الحمام.

1- paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 152.

2- نفسه، ص: 162.

3- نفسه، ص: 168.

4- نفسه، ص: 410.

5- نفسه، ص: 284.

6- نفسه، ص: 116.

ز/أدوات حرفية وحربية:

الباردة(barda)[1]: هي أداة تستعمل لصقل الخشب والمعنى نفسه في اللُّغة التّركية.

بارود (barout)[2]: وقع فيها بعض التّحريف، وهي اسم يطلق على المسحوق الّذي يستعمل في حشو البنادق والمدافع.

ح/أسماء حرف:

دراز(terzi)[3]: هي محرفة بعض الشّيء، وتطلق على الشّخص الّذي يصنع نوعًا من الأغطية الصّوفية يدعى (البورابح)، وفي اللُّغة التّركية تعني الخياط.

سوعاجي: تعني في اللُّغة التّركية مصلح السّاعات، والمعنى نفسه في منطوق تلمسان الحضري.

قهواجي: بنطق القاف همزة في منطوق تلمسان الحضري، وتعني صاحب المقهى أو بائع القهوة.

قمارجي : وهو الشّخص الّذي يلعب القمار[4].

4/الألفاظ الفرنسية:

أ/الأدوات المطبخ:

فرشيطة: هي محرفة وأصل الكلم (FOURCHETTE) وهي الشّوكة الّتي تستعمل لأكل مختلف الأطعمة.

مرميطة: وهي في الأصل (MARMITE) وهي القدر تطهى فيها الأطعمة.

كوزينة: وربما اخذت من الإسبانية لا من الفرنسية لأن الكلمة في الإسبانية (COCINA) وفي الفرنسية (CUISINE)

---

1 - paris yulgaci, grand dictionnaire rurc-francais, p 84.

2- نفسه، ص: 39.

3- نفسه، ص: 715.

4- عرف عنج الأتراك بزيادة (جي) في الكلمات وخاصّة منها الحرف.

شيفونة: في الأصل (CHIFFON) وهي الممسحة الّتي تجفف بها الأواني والأغراض الخاصة بالمنزل.

كسرون: وفي الأصل (CASSEROLE) فأبدلت اللام نونا كما سبق أن ذكرنا، وهو الإناء الّذي يغلى فيه الماء.

طابله: وأصل الكلمة (TABLE) وهي الطّاولة.

فريجيدار: (FRIGIDAIRE) وهي الثّلاجة.

ب/بيانات مدرسية:

كايي: (CAIHIER)، وهو الدّفتر.

ڤومه: هي في اللُّغة الفرنسية (GOMME) وهي المحاة.

ستيلو: أصل الكلمة (STYLO) وهو القلم.

كربون: وقع التّحريف في الكلمة وأصلها CRAYON) وقلم الرّصاص.

كرطاب: حذفت اللام في الكلمة وأصلها(CARTABLE)

لاكريه: هي في الأصل (LA CRAIE) وهو الطّبشور.

بروصة: هي في الأصل (BROSSE)

كوليج: ينطق الجيم صوتا مزدوجا (دج) وفي الفرنسية (COLLEGE)بمعنى المدرسة.

ليكول (ECOLLE) :بمعنى المدرسة أيضا.

ريقلا: هي في الأصل (REGLE) أي المسطرة.

طابلي: هي محرفة من الكلمة (TABLIER)وهو المئزر الّذي يلبسه التّلاميذ الذهاب إلى المدرسة، وترتديه النساء المطبخ.

بيرُ: في الأصل (BUREAU)فتحولت (U) إلى (I) وهو المكتب.

ج/أدوات خاصة بالمنزل:

كلوار: أصل الكلمة (COLULOIR) وهو الرّواق الّذي يوجد في وسط البيت، والّذي يفصل بين غرفة وأخرى.

لاميه:أصل الكلمة (LAMPE) فتحولت (P) إلى (B) وهو المصباح.

بالكون: في الأصل (BALCON) وهي الشّرفة.

تيليفزيو: أصلها (TELEVISION) وهو التّلفاز.

لافابو: في الأصل (LAVABO) وهو المغسل.

بوست: وهو المذياع(RADIO) ولم نجد أي كلمة تقارب بين المعنيين فكلمة (POSTE)لها عدة معان وهي كالآتي:

- مؤسسة لنقل الرسائل.
- المكان الذي يقف فيه الجندي بأمر من رئيسه للمراقبة والاطلاع على الأخبار
- مكتب الحريق (POSTE DINCENDIE)
- عمل ما (POSTE DE TRAVAIL)

تابي: في الأصل (TAPIS) وهي الزّربية.

فييوز:أصلها (VEILLEUSE) وهي المصباح الصّغير الّذي يبقى ينير حتى الصّباح.

د/أسماء ألبسة:

كوستيم:أصلها(Costume)؛ بمعنى الطّقم الّذي يلبسه الرّجل في المواسيم والأفراح.

تريكه: أصلها (tricot) بمعنى القميص.

سوفاتمو:أصلها (sous vetement) وهي ملابس داخلية.

جيبه: أصلها (jupe) أي التنورة.

سربيته: أصلها (serviette) أي المنشفة، فتحولت (V) إلى(b) .

مايو: أصلها (maillot) وهو الّذي يلبس للسّباحة (maillot de bain).

ماشوار: أصلها (mouchoir) وهي المنديل.

بيجاما: (pyjama) وهي البدلة الّتي تلبس للنوم.

شابو: أصلها (chapeau) وهي القبعة الّتي توضع الرّأس للوقاية من حرارة الشّمس ومن المطر[1].

هـ/حرف وأعمال:

فاكتور: أصلها (facteur) وهو ساعي البريد المكلف بتوزيع الرّسائل والبرقيات.

مانوفري: أصلها (main-deuvre) وقد وقع فيها تحريف وهي تعني العمال المكلفين بتأدية عمل موجه إليهم.

ماصو: أصلها(maçon) وتعني العامل الّذي ينجز أعمال البناء من حجر وآجر.

بلومبي:أصلها (plombier) وتعني العامل المكلف بإنجاز كل ما يتعلّق بقنوات المياه والغاز.

بيجوتري: أصلها(bijoutier)وهو صانع المصوغات الذّهبية وبائعها.

كوافور: أصلها (coiffeur) وتعني الشّخص الّذي مهنته الحلاقة.

و/أماكن العمل:

سانتيكه: أصلها (syndicat) بنطق الدّال ثاء وهي النقابة؛ وتعني مجموعة مكونة من عمال للدّفاع عن حقوق العمل المهنية والاقتصادية.

بوشطة(POSTE) : بنطق السّين شينا وهي مقر البريد.

بونكه: أصلها (BANQUE) وهي البنك.

ز/وسائل النقل:

لوطو: في الأصل (AUTO)وهي اختصار لكلمة (TOMOBILE)

–ماشينه: بمعنى القطار أو (MACHINE A VAPEUR) أي (TRAIN) ونجد الاسم نفسه يطلق على آلة الخياطة.

1- dictionnaire la rousse, librairie la rousse, paris, 1956, p634 et 635.

بابور: بمعنى الباخرة وفي اللُّغة الفرنسية كلمة (BABORD) تعني الجهة اليسرى للباخرة إذا نظرنا من الأمام وعكسها(TRIBORD)

لاموتو:أصلها (MOTO) وهي مختصرة من كلمة (MOTOCYCLETTE) بمعنى دراجة نارية.

بيسكلات: أصلها (BYCICLETTE) بمعنى دراجة عادية، وقد يستعمل أهل تلمسان فيلو (VELO) وهي مختصرة من كلمة. (VELOCIPEDE)

تراكتور: أصلها (TRACTEUR) بمعنى جرار.

فلوكة: أصلها (FELOUQUE) بمعنى زورق صغير.

ح/أدوات حربية:

ميتريات: أصلها (MITRAILLETTE) وهي بندقة رشاشة، وميترايوز (MITRAILLEUSE) هي سلاح ناري ميكانيكي سريع.

شار (CHAR) : هي كلمة كانت تعني قديما سيارة بعجلتين تستعمل للألعاب والحروب، ثم أصبحت تعني وسيلة من وسائل الحرب مدرعة ومجهزة بأسلحة رشاشة.

شاريطه: أصلها (Charrette) بمعنى عربة تستعمل لحمل مختلف الأغراض.

ط/تعابير اجتماعية:

داكور(DACCORD) : بمعنى نعم أو موافق.

كرازي(ECRASER) :يقول أهل تلمسان (كرازات لوطو)؛ بمعنى صدمته السّيارة.

ألور (ALORS) : بمعنى وماذا بعد؟ والمعنى نفسه في اللّغة الفرنسية.

يبوجي(BOUGER) بمعنى يتحرك.

كادو (CADEAU) : بمعنى الهدية.

بوكي(BOUQUET) : وهي باقة الأزهار.

بول: أي الكرة أصلها (BOULE) والكلمة تعني:

- شكلا كرويا.
- كرة من الثلج(BOULE DE NEIGE)
- لعبة

بالو:أصلها (BALLON) وأيضا تعني الكرة.

ملحق الألفاظ الدّخيلة لمنطقة غزوات:

النعوت:

Blanka (**بْلانْكَ**): بيضاء.

Boreas (**لْبُرِي**): حالة الضّباب الكثيف.

Jaloque (**خَالُوط**): بحر مضطرب في كلّ الاتجاهات.

Kalma(**كَالْم**): بحر هادئ.

Léhéché (**لفِتْشّ**) **بنطق الباء:"V"** من الجنوب الشّرقي.

Oskuro (**سْكُورُ**):مظلم.

Solo (**صُلُ**): وحيد.

الأسماء:

Abordo (**بُورْدُ**) **بتفخيم الدّال**: ظهر السّفينة.

Acogeta (**لْكُوشِتاتْ**): مرقد البحارة الصّيادين.

Babor (**لبَابُورْ**):السّفينة الكبيرة.

Bafanya (**لبني**):الطّقس السّيء.

Barra (**لْبَارْ**):القضيب.

Bote (**لْبوطِ**):الزّورق الصّغير، وجمعه "لباط"، بتفخيم كل الحروف.

Boya (**لْبُويَ**): عوامة أو إشارة توضع على سطح الماء.

Braza(**لَبْرَصْ**): وحدة قياس بحرية تساوي 1.83م.

Calafate(**لْكَلْفَاطْ**): صانع السّفن أو مصلحها.

Defensa(**دِّفِنْسَ**):حامية الصّدمات.

Gantso(**لْقَنْتْشُو**): المحسن.

Garbillo(**لْقُرْبِي**): وأصله الغربال، أمّا اليوم فيقصد به الصّياد المساعد المكلف بتحضير لوازم الباخرة قبل خرجاتها.

Gualva(**لْقَالْفَ**): حصة السّمك اليومية الموزعة على الصّيادين.

Kapsa(**لْكَابْسَ**): العلبة.

Kosta(**لْكُصْطَ**): السّاحل أو منطقة البر.

Lampista (**لْمِبِيسْطْ**) **بهمس الباء**: وهو الكهربائي.

Maya (**لْمَايْ**) **بتفخيم الميم**: وهي عين الشّبكة.

Motor (**لْمُوتُور**): المحرك.

Motorista (**لْمُتُرِسْت**): وهو الميكانيكي.

Pompa (**لْبُمْبَ**) **همس البائينمعا**: المضخة.

Papa (**لْبُوبَ**) **همس البائين معًا**:مؤخرة السّفينة.

Parro (**لْبُورَ**) **همس الباء**: الكراث.

Posta (**لبُشْطَ**): مكتب البريد.

Prima (**بْرِيمَ**) **همس الباء وترقيق الراء**: الأولى أو هي غروب الشّمس.

Prova (**بْرُوفَ**): مقدمة السفينة أو نحو الأمام.

Puna (**لْبُنِي**): قبضة اليد بجمع الأصابع أو بمعنى الشّجار واللّكمة.

Pupilla (**لبُبّي**) **همس الباءين معا**: الدّمية أو لعبة الأطفال.

Quilla (**لْتْشِيَ**): الصّالب.

Quinque (**لْتْشَّنْتْشْ**): القنديل.

Raqueta (**رَّكْلِيطَ**): مضرب التّنس.

Raza (**رَّصَ**): الأصل.

Recibo (**رّسِيبُ**): وصل يدل على دفع المال.

Regla (**رِّدْجْلَ**): المسطرة أو قطعة من الخشب تستعمل في البناء.

Rol (**رُّولْ**) **بتفخيم الرّاء**: قائمة الصّيادين الّذين هم على متن السّفينة.

Remolca (**رِّمُرْكَ**): المقطورة.

Roca (**رُّوكَ**): الصّخرة، ويقال: روك بمعنى: وقع له مشكل.

Sala (**صَّالَ**): قاعة استقبال الضّيوف.

Salamorra (**صَلَامُورًّا**): ملح خاص لتحفيف السّمك.

Senal (**سِّنْيَالْ**): الإشارة.

Semana (**سِّمَنَ**): الأسبوع.

Servilleta (**سَّرْبِتَ**): المنشفة

Siroco (**سِّرُوكُ**): ريح ساخن من الجنوب الشّرقي.

Cable (**لْكَابْلِ**): حبل من فولاد.

Caidéro (**لْكَالْدِير**): طبق من الأرز والسّمك المتنوع.

Calentica (**كَرَنْتِيتْ**): أكلة تحضر بالحمص لذيذة المذاق.

Canasta (**لكناس**): سلة لجمع الخضر والفواكه.

Capsa (**لْكَبْسَ**): العلبة.

Carosa (**لْتْشَّرُّص**) **بقلب الكاف** (**تش**): العربة.

Carta (**لْتْشَّرْطَ**) **بقلب الكاف** (**تش**): تطلق على بطاقة التّعريف الشّخصية أو لعبة الورق أو الخريطة.

Casserola(**لْتْشَّصْرُون**) **بقلب الكاف** (**تش**): القدر.

Cintura (**سَّنْتُرَ**): الحزام.

Cisterna (**سِّتِرْنَ**): خزان الماء.

Compana (**لْكُبَّنِي**): المجموعة من النّاس.

Cuerda (**لْكُرْدَ**): الحبل.

Curva (**لْكُرْبَ**): السّلة.

Escuela (**سَّكْوِيلْ**): المدرسة.

Espana (**سْبَانْيَا أو سْبَنْيول**): إسبانيا، ومنه: سبنيول، نسبة للمواطن الإسباني.

Esperar (**سْبِرَ**) **بهمس الباء ونطقها**: "**P**" انتظر.

Factura (**لْفَتُرَ**): الفاتورة.

Familia (**لْقَمِلْي**): العائلة.

Fiesta (**لْفِشْطَ**): الحفل.

Fresca (**فْرِشّكَ**): طري.

Gavina (**لْكَبِنَ**): غرفة ربان السّفينة ومساعديه.

Grua (**لَدْجْرُيَ**): الرّافعة.

إحصاء للمفرادات الأمازيغيّة الأصل في مسيردة:

1-أسماء الأماكن:

اَغْرَمْ: دشرة بمسيردة التّحاتة.

تيزِي حَمَّادْ: دشرةب مسبردة الفواقة.

زَنْدَلْ: جبل بمسيردة التّحاتة.

تُوغْنيتْ: مرتفع فيه عين طبيعيّة قرب بوعدال.

سمَارين: دشرة بمسيردة التّحاتة.

بُوخْنَايَسْ:دشرة بمسيردة التّحاتة.

وَادْ عَلّيشْ: واد بمسيردة التّحاتة.

مَزْاورو: منطقة بين مسيردة التّحاتة وتونان.

تِلوِين:دشرة بمسيردة التّحاتة.

2-أسماء أشياء مختلفة ومجال استعمالها:

مَغْدور: كسكس باللّبن.

تاغْواوَتْ: قمح مقلي يحضّر في موسم النّاير.

أَحَلْحُول: يصنع من الشّعير أو القمح.

انَاير: يوم الاحتفال برأس السّنة.

اكَرْكُورْ: كومة من الحجارة.

أَشَليقْ: كومة من السّدرة.

اعَرْومْ: الشّيء الكثير من السّلع والخضر.

اَزْلِيفْ: رأس الغنم أو البقر.

أَخَنْشوشْ: الوجه.

اَزَرْبيقْ: خيط ملطوم بالعقيق.

اَخْرطْ: عبارة عن فجوة في الأرض.

أَغْروقْ: حفرة في الأرض شبه عميقة.

أَمَسْرُوق: ممرّ يكون جدّ ضيّق.

أَسَلْوانْ: عبارة عن دخان يتصاعد أثناء الطّبخ، فينتج عنه سواد بالحائط.

أَسْفَطْ: تطاير شرارة النار.

أَمْشَط: يستعمل لدقّ الصّوف مع الخيط خلال عمليّة النّسج.

القَرْدَاشْ: يستعمل لنسج الصّوف.

أَدْغِيسْ: الحليب الأول لدى حدوث الولادة عند الشّاة.

وْنَايَسْ: الأقراط.

يَلْمَط: يأكل كثيرًا وأي شيء.

جوالْ: دربوكة.

يْنَاصِ: يطلب الشّيء بإلحاح.

يْدَوَع: يرى الشّيء رغم بعد المسافة

مْوَدَّح: متّسخ لدرجة كبيرة.

بُسَرَايْ: المشط.

بَزّوَ: بوّاقة.

أَمْلُوسْ: الطّين.

دِسر: مرتفع من الأرض.

أَشْقُوفْ: قطع صغيرة.

مْطَهْوَن: مغفل.

رْيَام، يْريم: افتخار مفتخر.

3-أسماء نباتات وحيوانات:

أَغْلَالْ: الببوش، الحلزون.

أقوِيرْ: مجموعة من أشجار نبات الصّبار يزرب بها.

تغِغْيت: تستعمل لغسل الصّوف.

تِبِيَ: نبات يؤكل.

أكْفيلْ: بصل البرواك، يفصل به بين حدود الأراضي الفلاحيّة.

تَزْرَا: خيط يفتل من الحلفاء ومن الدّوم الشّريط.

تَافْغَا: نبات يؤكل كما يستخرج من دواء.

الزَّاز: نبات لصبغ الصّوف.

أخْمار: بيت العنكبوت.

مَجْيورْ: دجاج.

أغْيول: الجمار.

بَرْطالْ: عصفور صغير.

أغدو، القرنين: نبات يؤكل.

تيفَرْقوز: يستعمل لصنع القرداش.

4-أسماء أدوات منزليّة ومجال استعمالها:

أدِيدِي: تستعمل لدقّ القهوة.

أجدّو: البوش، يستعمل لجلب الماء الصّالح للشّرب.

أقْبُوبْ: تستعمل لحمل أجدو.

أقْلَالْ: تستعمل لتحضير الكسكس.

أيْدورْ: يستعمل للحليب له يد واحدة.

القَصْريّة: تستعمل لمخض الحليب.

أَشْطَاطو: يستعمل لغربلة الدّقيق.

رُواي: إناء للشّرب.

زَمْبيلْ: السّكرية.

أَصَغْرَف: جلد يصنع منه لسفن.

أسڤن: يستعمل لغلق فوهة القصرية.

أيْرُوجْ: الغراف.

5-أسماء الأدوات الفلاحية ومجال استعمالها:

أسَرْس: إناء يشرب منه الدّجاج.

أَمَرَارْ: تُربط بها الشّباك الّتي يوضع فيها الحصاد قبل الدّرس.

تطَرْسَا: تستعمل لربط الحجارة فوق كومة التّبن.

الفهرس العام

الفهرس العام:

العنوان	الصّفحة
مقدمة	أ
مدخل: الفضاء المعرفي العام لمدينة تلمسان	2
تمهيد	2
1–الإطار الجغرافي	2
2–الإطار التاريخي	4
3– الإطار الثّقافي والحضاري والاجتماعي	9
الفصل الأوّل:الإطار المنهجي	13
المبحث الأول التّحدي اللّغوي والاصطلاحي: اللُّغة واللّهجة والفصاحة والعامية والصّوت والتّداخل اللّغوي	13
1–اللّغة	13
2–اللّهجة	17
3–مفهوم الفصاحة	21
4– العاميّة	25
5–الصّوت	27
6–التداخل اللُّغوي	28

المبحث الثّاني: وظائف وخصائص اللّغة واللّهجة	31
1–وظائف اللُّغة	31
2– خصائص اللُّغة	34
3–خصائص اللّهجة	37
المبحث الثّالث: العلاقة بين اللُّغة واللَّهجة	41
المبحث الرّابع: اللَّهجة بين الماضي والحاضر	46
المبحث الخامس: واقع اللُّغة العربية في الجزائر وعوامل شيوع العامية فيها	49
1– عوامل نشوء العامية	52
الفصل الثّاني: اللّهجات العربية بين التّغيرات الصّوتية وآثار عوامل التّوحد اللّغوي	59
المبحث الأول: أسباب وعوامل نشأة اللّهجات	59
1–أسباب جغرافية	59
2–أسباب اجتماعية	60
3–احتكاك اللّغات واختلاطهانتيجة غزو أوهجرات أومجاوره	61
4–أسباب فردية	62

المبحث الثّاني: أثرها في اختلاف اللّهجات العربية	64
المبحث الثّالث: التغيرات الصّوتية والعوامل المتحكمة فيها	68
1–اللُّغة نظام متغير	68
2–خصائص التّغير الصَّوتي	72
3– التّأثير والتّأثر بين الأصوات	74
4–أثر القوانين الصّوتية في التّغيرات الصّوتية	82
5–العوامل المتحكمة في التّغير الصّوتي	86
المبحث الرّابع: مستويات التّداخل اللّغوي	99
1–التّداخل الصّوتي	99
2 –التّداخل المفرداتي	102
3– التّداخل النّحوي	106
4 –التّداخل الصّرفي	109
المبحث الخامس: عوامل التّوحد اللُّغوي	113
1–العامل السّياسي	114
2–العامل الاجتماعي والاقتصادي	115
3–العامل الأدبي	116
4–وسائل الإعلام	116

5–المدن الكبرى	117
6–الدّين والعلم والثّقافة والخدمة العسكرية	118
الفصل الثّالث: التّعدد اللّهجي وعلاقته بالعربية الفصحى ولاية تلمسان –أنموذجا–	
تمهيد	120
المبحث الأول: المنطوق التّلمساني	121
1–خصائص الأصوات	123
المبحث ا لثّاني: العربيّة الفصحى واللّهجة التّلمسانيّة	126
1- بداية الكلمة بالصّوت السّاكن	126
2- استبدال أصوات اللّين القصيرة في آخر الكلمة بالسكون	126
3–تحول أصوات اللّين الطّويلة إلى حركات قصيرة	127
4– الإشباع	127
5– تحول صوت الهمزة إلى واو	128
6– تحول الهمزة إلى الحركة الطّويلة	128
7– التخفيف في وسط حرفا للّين	128
8– إبدال بعض الأصوات بأصوات أخرى	128
9 –الإدغام	129
10 –المخالفة	130

11 –تبادل مواقع الأصوات	131
12 – النّحت	132
المبحث الثّالث: الدّراسة اللّغويّة والتّغيرات الصّوتيّة لمنطوق تلمسان	133
أولا:الأصوات اللّهجية المسموعة في منطوق تلمسان المدينة (الحضر والأحواز)	136
1 – القاف الهمزية	136
2 – التّاء السّينية	138
3 – الثّاء الكافية	138
4 – الجيم التّلمسانيةDJ	138
5 – الأصوات المطبقة في نطق حضر تلمسان (ض،ظ،ط)	139
6 – الدّال التّائية	139
7 – الدّال الطّائية	140
8 – التّاء الطّائية	140
9 – الأصوات الصّفيرية في نطق التّلمسانيين حضر وأحواز	140
10 – الفاء المجهورة	141
11 – السّين الشّينية	141
12 – الشّين الصّادية	141
13 – اللام النّونية	142

14 – الغين الخائية	142
15 – نطق القاف على ألسنة التّلمسانيين الحوز	142
16 – الجيم الدّالية والدال الجيمية	143
17 – الدّال الطّائية	144
17 – الدّال الطّائية	
ثانيا: الأصوات اللّهجية المسموعةفي المناطق الشّمالية من الولاية	144
1 – نطق القاف	144
2 – القاف الكافية	144
3 – الضّاد الطائية	145
4 –الجيم الشّينية	146
5 – الجيم الكَافيةGA	146
6 – الصّاد السّينية	146
7 – السّين الصّادية	147
8 – القاف الخائية	147
9 – نطق الهمزة عينا أوهاء أوياء أو واوا	147
10 – نطق الهاء	149
11 – الذّال الدّالية	149
12 – الكاف الشّينية أو التّشينية	150

13 – الشّين الصّادية	151
14 – الشّين السّينية	151
15 – الصّاد الزّائية	153
16 – الثّاء التّائية	153
17 – التّاء الطّائية	154
18 – الطّاء التّائية	154
19 –القاف الگافية (الصّوت السّامي)	155
20 – الجيم الگافيةGA	155
21 – الجيم الدّالية	155
22 – الزّاي الجيمية	155
23 – نطق الجِيم: دجDJ	156

25 – القاف الكافية والقاف الگافية	156
26 – الضّاد الطّائية	157
27 – التّناوب بين المصوتات	157
ثالثا: الأصوات اللّهجية الجارية على ألسنة أهل المناطق الشّرقية من لولاية	159
1 – القاف الگافية	160

2 – الذّال الدّالية والثّاء التّائية	160
3 – التّاء الطّائية	160
4 – الضّاد الظّائية	160
5 – نطق الجيم	161
6 – نطق الجيم گِيما	161
7 – الطّاء التّائية	161
8 – الباء المفخمة	161
9 – الدّال التّائية	161
10 –العينالحائية	162
11 – الصّاد السّينية	162
رابعاً: الأصوات اللّهجية في منطوق المناطق الدّاخلية	162
1 – الضّاد الظّائية	161
2 – الذّال الظّائية	163
3 – الظّاء الضّادية	163
4 – الثّاء الذّالية	163
5 – الطّاء التّائية	163
6 – الطّاء الظّائية	163
7 – السّين الصّادية	163

8 – الجيم الگِيمية	164
9 – الجيم الزّائية	164
10 – الغين الخائية	164
11 – الحذف في الأصوات	164
خامسا: الأصوات اللّهجية الجارية في منطوق المناطق الجنوبية	164
1 – الضّاد الظّائية	165
2 – الضّاد الدّالية	165
3 – الصّاد السّينية	165
4 – القاف الگافية	165
5 – الجيم في نطق جنوب الولاية	166
6 – الهمزة العينية	166
سادسا: الأصوات اللّهجية الجارية على ألسنة النّاطقين في المناطق الغربية من الولاية	166
سابعا: العادات الكلامية في منطوق عا ميات ولاية تلمسان	177
1– تنميط المصوتات وتوحيدها	177
2– اختزال المصوّت أو اختلاسه	179
3– تحقيق الواو والياء في حالتهما اللّينه	179
4– الجنوح نحو الضّمأ والفتح	180

5– الجنوح نحو الكسر أو الفتح	181
6– الضّمة المشربة كسرا	183
7– عادةالقلبالمكاني	183
8– عادة الحذف	186
9– العادات ا لكلامية القائمة على لإبدال	190
10– عادة الإلصاق والإلحاق	195
خاتمة	201
قائمة المصادر والمراجع	204
الملاحق	218
الفهرس	241

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التَّعدد اللَّهجي وعلاقته بالعربية الفصحى لولاية تلمسان، والهدف منها بيان التَّنوع اللُّغوي واللّساني والصّوتي الّذي يتّصف به الواقع المعاش، مع إبراز خصائص التّعدد وأسبابه وتجلياته، وذلك بمنهج وصفي تاريخي قصد بلوغ النّتائج ككيفية المعالجة للتّعدد دون الإضرار بالهوية الوطنية واللّغوية بحكم أنّ اللُّغة العربية فوق أيّ تعدّد، وذلك عن طريق الجمع بين أصل المكانة الَّتي تختصّ بها لغة الإعجاز الَّتي تحفظ الهوية وعدم إقصاء التَّنوع اللُّغوي.

الكلمات المفتاحية: التَّعدد، اللَّهجة ، اللغة، الفصحى ، تلمسان.

Résumé

Cette recherche vise à étudier la pluralité dialectique et son rapport à l'Arabe dans le contexte de la wilaya de Tlemcen. Elle est conçue pour démontrer la diversité linguistique et phonétique qui caractérise la réalité. Elle met également en évidence les caractéristiques du pluralisme, ses causes et ses manifestations, réutilisant tune approche historique descriptive, afin d'atteindre le résultat souhaités. Ces derniers concernent la manière d'assurer la pluralité dialectique sans nuire à la langue nationale, étantdonné que la langue Arabeest au-dessus de toute pluralité. Ceci peut être atteint en préservant la stature de l'Arabe sans exclure la diversité linguistique .

Mots clés : pluralité - dialecte - langue - classique - Tlemcen.

Abstract

This research aims to study dialectal diversity an dits relationship with standard Arabic in the state of Tlemcen .The aim is to reflect the linguistic, lexical, and phonological diversity of reality, as well as to highlight the characteristics, causes, and manifestations of this diversity. This is done through the historical descriptive approach to reach results, such as how to deal with diversity without prejudice to national and linguistic identity, given that Arabic is superior to any diversity, by combining between the status of Arabic that preserves identity and non-exclusion of linguistic diversity.

Keywords: diversity, dialect, language, standard, Tlemcen .